وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد

معاني النحو

الجزء الرابع

الدكتور فاضل صالح السامرائي

ساعدت جامعة بغداد على نشره
تسلسل التعضيد (٢) للعام ١٩٩٠

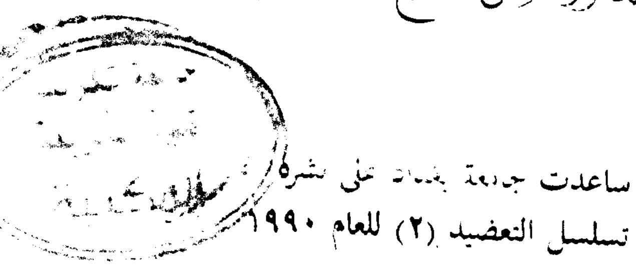
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد



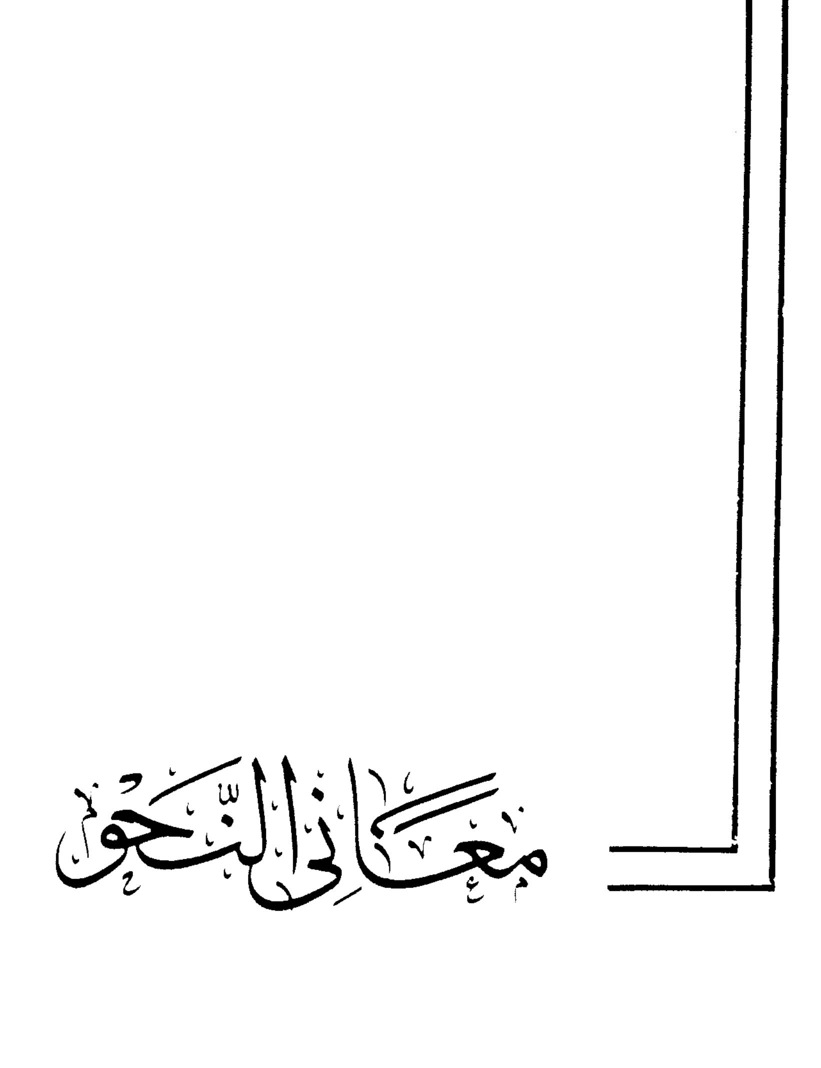
معاني النحو

الجزء الرابع

الدكتور فاضل صالح السامرائي



ساعدت جامعة بغداد على نشره
تسلسل التعضيد (٢) للعام ١٩٩٠


معاني النحو

جـزم الـمـضـارع

يجزم المضارع بعد ادوات ظاهرة وهي لم ولما ولام الامر ولا الناهية وبعد ادوات الشرط ، وقد يجزم بغير اداة ظاهرة نحو: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة ـــ ابراهيم ٣١﴾ .

واذا لاحظنا ادوات الجزم وجدناها على ثلاثة اقسام :

١ ـ القسم الاول : ما يقلب زمن المضارع الى ماض وهي لم ولما .

٢ ـ القسم الثاني : ما يقلبه الى الامر وهي لام الامر ولا الناهية ، اذ إن لا الناهية امر بالتَّرك فقولنا (افعلْ) امر بالفعل و (لاتفعلْ) امر بالتَّرك .

٣ ـ القسم الثالث : ادوات الشرط وهي ادوات تقوم بربط الجمل لغرض تعليق حصول شيء بحصول شيء آخر نحو (ان تأتني اذهب معك) فذهابك معلق باتيانه .

جاء في (نحو الفعل) للدكتور احمد الجواري : "وانما يكون الجزم في المضارع اذا تعين لواحد من المعاني الآتية :

١ ـ معنى المضي : وذلك اذا دخلت عليه لم ولما فانها تقلبان معناه الى معنى الفعل الماضي كـ (لم يذهب ولما يذهب) .

٢ ـ معنى الطلب : وذلك اذا تقدمته لام الامر نحو (ليذهبْ زيد) ... أو لا الناهية نحو (لاتذهب) ...

٣ ـ معنى الشرط : والشرط صيغة فعلية مستقلة تخالف باقي الصيغ في مدلول الفعل وهو الحدث والزمن لان الفعل في جملة الشرط معلق حدوثه أو وقوعه فهو اذن ليس تام الدلالة في قولك : (ان تذهب اذهب) تعلق ذهابك على ذهاب المخاطب فأنت لم يقع منك الذهاب والمخاطب كذلك لم يقع منه ذلكَ وانما علقت ذهابك على ذهابه بأداة الشرط"[1] .

---

(١) نحو الفعل ٤٨-٤٩ .

ونحن نخالفه في القسم الثاني وهو معنى الطلب ، اذ معنى الطلب عام يدخل فيه الاستفهام والتمني والترجي والعرض والتحضيض وغير ذلك وهو لا يجزم في كل هذه المواطن بل يجزم اذا ادى معنى الامر فعلاً أو تركاً .

يتبين من هذا أن ادوات الجزم — عدا ادوات الشرط — تخرج المضارع عن حقيقته الى فعل آخر ماضياً أو امراً .

ومما مرّ من دراسة الفعل المضارع تبين لنا أن :

١ — النصب يفيد الدلالة على الاستقبال في الغالب أو للعدول الى معنى المصاحبة والسببية تنصيصاً .

٢ — الجزم للدلالة على المضي أو الامر — فيما عدا الشرط — .

٣ — الرفع للدلالة على الزمن العام المطلق حالا واستقبالا ومضيا فالحال نحو (يرزق الله مخلوقاته) ونحو (هو يقرأ الآن) .

والاستقبال نحو ﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون — المائدة ١٤﴾ ونحو ﴿يوم يُنفخ في الصور فتأتون افواجا — النبأ ١٨﴾ .

والمضي كقوله تعالى ﴿ويصنع الفلك — هود ٣٨﴾ وقوله ﴿ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال — الكهف ١٨﴾ وذلك في حكاية الحال .

ونترك الشرط الى باب الاساليب فهو الصق به .

الادوات التي يجزم بعدها الفعل

لام الامر

وتلزم فعل غير المخاطب للدلالة على الامر وذلك أمر المتكلم لنفسه نحو : (لأذهبْ اليه) ونحو قوله صلى الله عليه وسلم : (قوموا فلأصلّ بكم) ومنه قوله تعالى ﴿اتبعوا سبيلنا ولنحملْ خطاياكم — العنكبوت ١٢﴾ .

وأمر الغائب نحو (ليخبْره خالد بما حدث) وكقوله تعالى : ﴿ولتأتِ طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك — النساء ١٠٢﴾ .

ومن هذا الاخير المبني للمجهول نحو (لتُخبَرْ بما حدث) ونحو (لأُعطَ حقي) فان الفاعل غائب.

وقد وردت قليلا في امر المخاطب فان الاصل في المخاطب أن يؤمر بفعل الامر لا باللام وذلك نحو قوله (ﷺ) (لتزرّه ولو بشوكة) وقوله (لتقوموا الى مصافكم). وهذا في الشعر اكثر نحو قوله:

لتقم أنت يا ابن خير قريش فتقضي حوائج المسلمينا[2].

وقد يخرج المجزوم بلام الامر الى معنى آخر كما يخرج الامر عن معناه الى معنى آخر وذلك كالدعاء نحو (ليغفر الله لك).

والتهديد نحو ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر — الكهف ٢٩﴾

والخبر نحو ﴿من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً — مريم ٧٥﴾ أي فيمد[3].

لا الناهية

وهي موضوعة لطلب الترك[4] نحو ﴿لا تفتروا على الله كذبا — طه ٦١﴾ و ﴿لا تبغ الفساد في الارض — القصص ٧٧﴾.

ومن اساليب العربية ان يُنهى الفاعل والمراد غيره نحو (لا أرينّك ههنا) فقد جاءت (لا) لنهي المتكلم والمنهي في الحقيقة هو المخاطب أي لا تكن ههنا حتى لا اراك[5].

---

(٢) انظر شرح الرضي على الكافية ٢/٢٧٩—٢٨٠.
(٣) المغني ١/٢٢٣؛ الهمع ١/٧.
(٤) المغني ١/٢٤٦.
(٥) شرح الرضي ٢/٢٨٠ وانظر الاصول ١/٨٣.

ونحو ﴿ولا تُعجبْك اموالهم ـــ التوبة ٨٥﴾ فالنهي للاموال اذ أسند الاعجاب اليها والمنهي في الحقيقة هو المخاطب أي لا تعجب يامحمد بأموالهم [٦].

ونحو قوله تعالى: ﴿لا يفتننكم الشيطان ـــ الاعراف ٢٧﴾ فقد نهى الشيطان والمنهي في الحقيقة هم المخاطبون، وكذلك قوله تعالى: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغَرور ـــ فاطر ٥﴾ فالنهي موجّه لفظاً للدنيا وللغَرور وهو الشيطان والمنهي في الحقيقة هم المخاطبون.

وقد يخرج المجزوم بـ (لا) الناهية عن معنى النهي الى معنى آخر، كالدعاء نحو (لايقطعِ الله يمينك ولا يفضضِ الله فاك)، والتهديد نحو قولك لابنك مهدداً (لا تقرأ ولا تذهب الى المدرسة).

والتمني ومنه مخاطبة مالا يعقل نحو (لاتخنّي ايها الصبر) و (ياعينيّ لاتجمدا) وغير ذلك من المعاني.

لــم

تختص بنفي المضارع وتقلب زمنه ماضيا نحو (لم اذهب امس). قال تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ـــ الانفال ١٧﴾ وهي لنفي (فَعَل) [٧] فاذا قلتَ (حفظ) فنفيه (لم يحفظ).

والمنفي بها قد يكون منقطعاً نحو قوله تعالى: ﴿لم يكن شيئا مذكوراً ـــ الانسان ١﴾، ونحو قولنا (لم يقم خالد أمس)، وقد يكون متصلاً بالحال نحو ﴿لم أكن بدعائك رب شقياً ـــ مريم ٤﴾ يعني الى الآن، ونحو قوله تعالى: ﴿الاّ الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا ـــ التوبة ٤﴾، وقد يكون مستمراً نحو قوله تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ـــ الاخلاص ٣، ٤﴾ [٨].

وقوله: ﴿وانهار من لبن لم يتغير طعمه ـــ محمد ١٥﴾

---

(٦) امالي ابن الشجري ١/١٤٨.

(٧) كتاب سيبويه ١/٤٦٠.

(٨) انظر شرح شذور الذهب ٢٦، المغني ١/٢٧٩.

لـمّـا

وتختص بنفي المضارع ايضا وتقلب زمنه ماضيا نحو قوله تعالى: ﴿ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم﴾ — الحجرات ١٤ وقوله ﴿بل لمّا يذوقوا عذاب﴾ — ص٨ وقولنا (لمّا يأتِ خالد) وهي لنفي (قد فعل) فاذا قلت (قد حضر) فنفيه لّما يحضر[٩].

والفرق بين (لم) و (لمّا) من أوجه هي:

١ – ان المنفي بـ (لم) قد يكون منقطعاً وقد يكون مستمراً في حين أن المنفي بـ (لما) مستمر النفي الى حين التكلم فاذا قلت (لما يحضر خالد) فمعناه انه الى الآن لم يحضر في حين ان قولك (لم يحضر خالد) يحتمل انه لم يحضر الى الآن ويحتمل انه لم يحضر في وقت من اوقات المضي ثم حضر ولذا يصح أن يقال (لم ينجح محمد في العام الماضي وقد نجح هذا العام) ويمتنع أن يقال (لما ينجح ثم نجح) لان قولنا (لما ينجح) يفيد استمرار النفي الى وقت التكلم، وتقول (لم يقم ثم قام) ويمتنع ان نقول (لما يقم ثم قام)[١٠].

جاء في (شرح الرضي على الكافية): "واختص (لمّا) ايضا بامتداد نفيها من حين الانتفاء الى حال التكلم وهذا هو المراد بقوله (بالاستغراق)... واما (لم) فيجوز انقطاع نفيها دون الحال نحو (لم يضرب زيد أمس لكنه ضرب اليوم"[١١].

٢ – ان منفي (لمّا) لا يكون الاّ قريبا من الحال ولا يشترط ذلك في منفي (لم) فقد يكون منفيها قريباً أو بعيداً، تقول: (لم يكن زيد في العام الماضي مقيماً) ولا يجوز (لمّا يكن)[١٢].

---

(٩) كتاب سيبويه ١/٤٦٠.

(١٠) انظر المغني ١/٢٧٨؛ شرح قطر الندى ٨٣–٨٤، الاشباه والنظائر ٢/٢٢٣، ٢٢٨؛ التصريح ٢/٢٤٧.

(١١) شرح الرضي على الكافية ٢/٢٧٨.

(١٢) المغني ١/٢٧٩.

وذلك ان (لم) لنفي (فعلَ) وهذا الفعل يحتمل القرب والبعد فمن البعيد قوله: ﴿خلق الله السماوات والارض — العنكبوت ٤٤﴾ وقوله ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم — الاعراف ١١﴾، ومن القريب قولنا: (حضر الآن محمد) وقوله تعالى: ﴿اني تبت الآن — النساء ١٨﴾ في حين ان (لمّا) لنفي (قد فعل) و (قد) تفيد القرب كما سبق تقريره.

٣ – ان المنفي بـ (لمّا) فيه معنى التوقع وليس كذلك المنفي بـ (لم) فقولنا (لما يحضر خالد) معناه انه لم يحضر وهو متوقع حضوره وليس في قولنا (لم يحضر خالد) معنى التوقع. قال تعالى: ﴿بل لمّا يذوقوا عذاب — ص ٨﴾ ومعناه انهم لم يذوقوه الى الآن، وان ذوقهم له متوقع[13].

وذلك ان (لمّا) لنفي (قد فعل) و (قد) فيها معنى التوقع[14]، و (لم) لنفي (فعل) وليس فيه معنى التوقع فقولك (قد حضر محمد) معناه انه كان متوقعا حضوره فحضر. و (لمّا يحضر) معناه انه لم يحضر وهو متوقع حضوره.

قال في (المغني): "وهذا الفرق بالنسبة الى المستقبل فأما بالنسبة الى الماضي فهما سيّان في نفي المتوقع وغيره. مثال المتوقع أن تقول: (مالي قمت ولم تقم) أو (ولمّا تقم). ومثل غير المتوقع أن تقول ابتداء: لم تقم او لمّا تقم"[15].

وجاء في (شرح الرضي): وقد تستعمل في غير المتوقع ايضا نحو (ندم ولمّا ينفعه الندم)[16] وذلك ان (قد) ربما جاءت في غير المتوقع كما اسلفنا.

٤ – ان (لمّا) لاتقترن باداة الشرط بخلاف (لم). قال تعالى: ﴿وان لم تفعل فما بلغت رسالته — المائدة ٦٧﴾. وقال: ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون — المائدة ٤٥﴾ ولايقال (انْ لمّا تفعل) ولا (من لما يحكم).

---

(١٣) المغني ١/٢٧٩، التصريح ٢/٢٤٧، شرح الرضي على الكافية ٢/٢٧٨.

(١٤) كتاب سيبويه ٢/٣٠٧.

(١٥) المغني ١/٢٧٩.

(١٦) شرح الرضي على الكافية ٢/٢٧٨.

وذلك "لأن الشرط يليه مثبت (لم) تقول : (إن قام زيد قام عمرو) ولا يليه مثبت (لما) لا تقول : ان قد قام زيد"[17] .

وسبب ذلك ان (لمّا) اذا نفت الفعل صرفته الى المضي ولا يحتمل أن يكون لغير المضي مثل (قد) في الاثبات فان (قد) اذا دخلت على الفعل الماضي تعين انه للمضي ولا يصح صرفه الى الاستقبال بخلاف (لم) فإنه يصح صرف مابعدها الى الاستقبال كما في مثبتها ، فان (فعلَ) للمضي وقد يحتمل الدلالة على الاستقبال بقرينة نحو قوله تعالى ﴿ونُفِخَ في الصور— الزمر ٦٨﴾ ومنفيه اعني (لم يفعل) كذلك فهو للمضي ، وقد يحتمل الدلالة على الاستقبال كقوله تعالى : ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون— الاعراف ٤٦﴾ وهذا في اصحاب الأعراف وهو من مشاهد القيامة .

ولذا جاز اقتران (لم) باداة الشرط كما جاز اقتران مثبتها بها لأن الشرط يصرف الفعل الى الاستقبال تقول : (ان زرتنا اكرمناك وان لم تزرنا لم نكرمك) ولم يجز اقتران (لمّا) بها كما لم يجز اقتران مثبتها بها ، فلا تقول : (إن قد قام) ولا (إن لمّا يقم) .

٥ - يجوز الاستغناء بـ (لما) عن ذكر منفيها اذا دل عليه دليل تقول : (قاربت البلد ولما) أي : ولما ادخله ولا يجوز حذف الفعل بعد (لم) فلا يقال : (قاربت البلد ولم)[18] . وذلك ان (قد) يستغنى بها فلا يذكر ما بعدها قال :

ازف الترحل غير ان ركابنا   لمّا تزل برحالنا وكأن قد[19]

أي : وكأن قد زالت .

جواب الطلب

ذكرنا ان الفعل المضارع قد يجزم بعد ادوات ظاهرة ، وقد يجزم بغير اداة ظاهرة وهو الذي يسميه النحاة جواب الطلب نحو (زرني أزرك) و (اين بيتك ازرك) و (ليتني اعرف بيتك ازرك) والمعنى كما يقول النحاة : ان تزرني ازرك وان دللتني على بيتك ازرك .

---

(١٧) التصريح ٢ /٢٤٧ .

(١٨) المغني ١ /٢٧٩ ، شرح قطر الندى ٨٤ .

(١٩) شرح الرضي على الكافية ٢ /٢٧٩ .

جاء في (الكتاب) : "(هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل اذا كان جواباً لامر أو نهي أو استفهام أو تمن أوعرض)" فأما ما انجزم بالامر فقولك (إئتني آتك) وما انجزم بالنهي فقولك (لا تفعل يكن خيرا لك) واما ما انجزم بالاستفهام فقولك (ألا تأتيني احدثْك) و (اين بيتك ازرك) وأما مانجزم بالتمني فقولك (ألا ماءَ أشربْه) و (ليته عندنا يحدثْنا) وأما ما انجزم بالعرض فقولك (ألا تنزل تصب خيراً) وانما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب (ان تأتني) بإن تأتني لانهم جعلوه معلقا بالاول غير مستغن عنه اذا ارادوا الجزاء كما ان (ان تأتني) غير مستغنية عن (آتك).

وزعم الخليل ان هذه الاوائل كلها فيها معنى (ان) فلذلك انجزم الجواب لانه اذا قال (ائتني آتك) فان معنى كلامه : إن يكن منك اتيان آتك. واذا قال (اين بيتك ازرك) فكأنه قال : إن اعلم بيتك ازرك، لان قوله (اين بيتك) يريد به (أعلمني). واذا قال (ليته عندنا يحدثْنا) فان معنى هذا الكلام : (ان يكن عندنا يحدثنا). وهو يريد ههنا اذا تمنى ما اراد في الامر. واذا قال (لو نزلت) فكأنه قال انزل" [٢٠].

وهذا الاسلوب كما هو ظاهر اسلوب شرطي فيه جزاء مترتب على ماقبله ومرتبط به ارتباط الجزاء بالشرط فقولك (زرني اكرمْك) معناه ان اكرامك له مرتبط بزيارته لك ارتباطاً شرطياً وكذلك (الا تأتيني احدثْك) فان التحديث مسبب عن الاتيان ومرتبط به ارتباط الجزاء بالشرط. فاذا لم يرتبط الفعل بما قبله هذا الارتباط لم يجزم. قال تعالى : ﴿واخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقُني— القصص ٣٤﴾ بالرفع ولم يجزم لانه ليس على ارادة معنى الشرط اذ ليس معناه إن ترسله يصدقني وانما المعنى : ارسله ردءا فانه يصدقني ولذا ارتفع ولو اراد معنى الشرط لجزم. ونحوه ان تقول (زرني ازورُك) فانك لم تقصد فيه ترتب زيارتك على زيارته وانما المقصود انا ازورك فزرني اي انا ممن يزورك.

ومثله قولك (دعه يضربْه) و (دعه يضربُه) فبالجزم معناه ان تدعه يضربه. وبالرفع معناه : دعه ضارباً له. فالضرب بالجزم غير حاصل وبالرفع هو حاصل. أو

---

(٢٠) كتاب سيبويه ٤٤٩/١.

يكون على الاستئناف على معنى دعه إنه يضربه. وتقول: (تعالَ ينادك) و(تعال يناديك) فبالجزم معناه ان تأت ينادك والمعنى انه لايناديك الآن وانما إذا جئت ناداك، وبالرفع معناه: انه يناديك فتعال، ومعنى ذلك ان المناداة حاصلة.

قال سيبويه: "وتقول (ائتني آتك) فتجزم على ما وصفنا، وان شئت رفعت على أن لاتجعله معلقا بالاول ولكنك تبتدئه وتجعل الاول مستغنيا عنه كأنه يقول: ائتني انا آتيك. مثل قول الشاعر (وهو الاخطل):

وقال رائدهم أَرسوا نزاولُها ... فكل حتف امرىء يمضي لمقدار

وقال الانصاري:

يا مالِ والحق عنده فقفوا ... تؤتون فيه الوفاء معترفا

كأنه قال انكم تؤتون فيه الوفاء معترفاً.....

وتقول: (ذره يقلْ ذاك) و(ذره يقولُ ذاك) فالرفع من وجهين: فاحدهما الابتداء. والآخر على قولك ذره قائلا ذاك....

وتقول (قم يدعوك) لانك لم ترد ان تجعل دعاءً بعد قيامه ويكون القيام سببا له ولكنك اردت: قم انه يدعوك. وان اردت ذلك المعنى جزمت"[21].

وجاء في (المفصل): "وان لم تقصد الجزاء فرفعت كان المرفوع على احد ثلاثة أوجه: اما صفة كقوله تعالى: ﴿فهب لي من لدنك وليا يرثني﴾[22] او حالا كقوله تعالى: ﴿فذرهم في طغيانهم يعمهون﴾[23]. أو قطعاً واستئنافاً كقولك (لا تذهب به تغلبُ عليه) و(قم يدعوك) ومنه بيت الكتاب:

---

(21) كتاب سيبويه ١/٤٥٠-٤٥١ وانظر المقتضب ٢/٨٢.

(22) مريم ٥-٦.

(23) ليس ثمة آية بهذا النص وانما هي (ونذرهم في طغيانهم يعمهون ـ الانعام ١١٠) وليس فيها شاهد. وانما الشاهد في قوله تعالى (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ـ الانعام ٩١).

ومما يحتمل الامرين الحال والقطع قولهم (ذره يقول ذاك) و (مره يحفرها) وقول الاخطل: كروا الى حرّتيكم تعمرونها.

وقوله تعالى: ﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لاتخاف دركاً ولاتخشى﴾(٢٤) (٢٥) "

ويدلك على معنى الجزاء أنه اذا تخلف معنى الشرط لا يصح جزمه وذلك واضح في النهي نحو (لا تدن من النار تحترق) فانه لا يصح جزم (تحترق) هنا لانه لايصح أن تقول (ان لاتدن من النار تحترق) بخلاف قولك (لاتدن من النار تسلم) فانه يصح القول (ان لاتدن من النار تسلم) ولذا يجزم الفعل (تسلم) ولا يجزم (تحترق).

جاء في (شرح الاشموني): "(وشرط جزم بعد نهي) فيما مر أن يصح ان تضع (ان) الشرطية قبل (لا) النافية دون تخالف في المعنى يقع، ومن ثم جاز (لاتدن من الاسد تسلمْ) وامتنع (لاتدن من الاسد يأكلك) بالجزم(٢٦) ".

"ولكنك ترفع على القطع كأنك قلت: لاتدن منه فانه يأكلك" (٢٧).

ومثاله من غير النهي قولك (اقتل العقرب تلدغك) فانه لا يصح جزم (تلدغك) لانه لا يصح تقدير الشرط فلا تقول (ان تقتل العقرب تلدغْك) بخلاف قولك (اقتل العقرب تنج منها) فانه يصح جزمه، ونحو (تجنب النار تحرقُك) فانه لا يصح فيه الجزم لانه لا يصح تقدير الشرط وانما هو مرفوع على القطع اي انها تحرقك بخلاف (تجنب النار تنج) فانه يجزم.

ومثله (هلا تحفظ ترسبُ) فانه لا يصح الجزم فيه بخلاف قولك (هلا تحفظ دروسك تنجحْ) ونحو (ليتني اجد ماء يهلكُني العطش) فانه لا يجوز فيه الجزم لانه لا يصح تقدير الشرط بل هو على تقدير انه يهلكني العطش بخلاف قولنا (ليتني اجد ماء اعشْ) فان الفعل فيه مجزوم لانه مقدر بالشرط.

---

(٢٤) طه ٧٧.

(٢٥) المفصل ٢/١٤٦-١٤٧.

(٢٦) شرح الاشموني ٣/٣١١.

(٢٧) المفصل ٢/١٤٦.

ويدلك على ذلك ايضا أي على معنى الجزاء ان مانصب بعد فاء السببية في الطلب اذا اسقطت منه الفاء جزمت وذلك نحو قولك (اين بيتك فأزورك) فاذا اسقطت الفاء منه وبقي في الجملة معنى السبب جزمت. وهذا يدلك على ان معنى الجزم هو أن يكون الثاني مسببا عن الاول وهو المقصود من الشرط.

جاء في (التصريح): "واذا سقطت الفاء من المضارع الواقع بعد الطلب المحض وقصد بالفعل الذي سقطت منه الفاء معنى الجزاء[٢٨] للطلب السابق عليه جزم الفعل. والمراد بقصد الجزاء انك تقدره مسببا عن ذلك الطلب المتقدم كما ان جزاء الشرط مسبب عن فعل الشرط" [٢٩].

وهنا يبرز سؤال وهو؟ ما الفرق بين سقوط الفاء وبقائها في المعنى؟ ما الفرق مثلا بين قولك (هل تزورني اكرمْك) و (هل تزورني فأكرمَك)؟ آلمعنى واحد أم مختلف؟

الذي يبدو انهما اسلوبان متغايران معناهما مختلف، وذلك ان التعليل بالفاء انما هو لبيان السبب فقط وليس الارتباط بها ارتباطاً شرطياً ولذا يصح ان نأتي بالفاء احياناً ولكن لا يجوز اسقاطها وجزم الفعل بعدها لان معنى الشرط لا يصح وذلك نحو قولنا (لاتدن من الاسد فيأكلَك) فان هذا التعبير صحيح وهو بيان لعلة عدم الاقتراب من الاسد بخلاف ما لو قلنا (لاتدن من الاسد يأكلْك) فانه لا يصح فيه الجزم لانه لا يصح تقدير الشرط فيه، اذ لا يقال: (ان لاتدن من الاسد يأكلك). قال تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ــ الاعراف ١٩﴾ فانت ترى أنه لا يصح اسقاط الفاء والجزم على الطلب لانه لا يصح في المعنى (ان لاتقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين). فالفاء لبيان علة النهي عن الاقتراب من الشجرة ولكن ليس ارتباط ما قبلها بما بعدها ارتباطا شرطيا. ومثله قوله تعالى ﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عَدْواً بغير علم ــ الانعام ١٠٨﴾ وقوله ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم ــ الاعراف ٧٣﴾ وقوله: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب

---

(٢٨) في الاصل (معنى الجزم) وهو غلط مطبعي كما هو ظاهر وكما يدل عليه مابعده والحاشية.

(٢٩) التصريح ٢/٢٤١ وانظر شرح الاشموني ٣/٣٠٨.

ريحكم — الانفال ٤٦ ﴾ ، وقوله ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونَ من الخاسرين — يونس ٩٥ ﴾ وقوله ﴿ لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً — يوسف ٥ ﴾ .

فأنت ترى في هذاونحوه أنه لا يصح اسقاط الفاء منه وجزمه لانه لا يصح تقدير الشرط اذا حذفت .

وكذلك النفي فانه لا يصح اسقاط الفاء فيه والجزم [٣٠] لانه لا يحتمل جعله اسلوبا شرطيا فلا يصح في نحو (ما تأتينا فتحدثَنا) (ما تأتينا تحدثْنا) ولا في نحو قوله تعالى ﴿ لايُقضَى عليهم فيموتوا — فاطر٣٦ ﴾ (لايُقضَى عليهم يموتوا) لان المعنى لا يصح ، اذ لا يصح (ان لايُقضَ عليهم يموتوا) .

وبذلك يتضح الفرق بين ذكر الفاء واسقاطها فالفاء انما هي لمجرد بيان السبب ، واما اسقاطها فعلى ارادة الشرط والجزاء .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يكون الفرق بينهما في المعنى من غير هذا السبيل وذلك نحو قوله تعالى ﴿ يا هامان ابن لي صرحاً لعلّي ابلغ الاسباب اسباب السماوات فأطّلعَ الى اله موسى واني لأظنه كاذباً — غافر٣٦ ، ٣٧ ﴾ فأنت ترى أنه لا يحسن اسقاط الفاء من (فأطّلع) والقول (لعلّي ابلغ الاسباب اطّلع) لان المعنى سيختلف وذلك ان الترجي في الآية مستمر الى ما بعد الفاء والمعنى لعلّي اطلع بخلاف ما لوجزمت وقلت (أطّلعْ) لان المعنى سيكون (ان بلغت الاسباب اطلعت الى اله موسى) وهذا غير مراد ولايصح لان فرعون ينكر ان يكون لموسى اله غيره قال ﴿ وما علمت لكم من اله غيري — القصص ٣٨ ﴾ فأنت ترى ان الجزم يختلف عن النصب بالفاء .

ونحوه قوله تعالى ﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا — الانعام ١٤٨ ﴾ فأنت ترى انه لا يحسن اسقاط الفاء والقول (تخرجوه لنا) ، لأنّ المعنى سيتغير وذلك ان الاستفهام مستمر الى ما بعد الفاء بخلاف ما لو جزمت فان الاستفهام سينقطع قبلها

---

(٣٠) انظر المفصل ٢/ ١٤٦ ، الاشموني ٣/ ٣٠٩ .

ويصبح اسلوباً شرطياً فيكون (ان كان عندكم علم تخرجوه لنا) وهو مخالف للمقصود. وكذلك قوله تعالى: ﴿لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم — البقرة١٦٧﴾ فان التمني مستمر الى ما بعد الفاء فما بعد الفاء داخل في التمني، وقوله ﴿ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها — النساء٩٧﴾ فان الانكار مستمر الى ما بعد الفاء ولا يصح اسقاط الفاء والقول (الم تكن ارض الله واسعة تهاجروا فيها) لان المعنى سيتغير، ثم لايصح ان يقال: ان كانت واسعة تهاجروا فيها على المعنى السابق.

وكذلك قوله تعالى ﴿افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها — الحج٤٦﴾ فالاستفهام مستمر بخلاف ما لو اسقطت الفاء وجزمت فان المعنى لايصح.

ويوضحه ايضا قوله تعالى: ﴿ربنا اطمس على اموالهم واشْدُدْ على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم — يونس٨٨﴾ فأنت ترى انك اذا اسقطت الفاء فقلت (يؤمنوا) تغير المعنى تغيراً كبيراً وذلك ان قوله تعالى ﴿فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم﴾ داخل في الدعاء وان المقصود طلب عدم ايمانهم حتى يروا العذاب الاليم بخلاف ما لواسقطت الفاء فقلت (ربنا اطمس على اموالهم ... لايؤمنوا) فعند ذلك يخرج قولك (لايؤمنوا) من الدعاء ويكون المعنى: (إن طمست على أموالهم وشددت على قلوبهم لايؤمنوا) فتكون نتيجة الطمس عدم الايمان وليس فيه تنصيص على أن ذلك مراد له وانما هو تقرير حقيقة فقط.

يتبين من ذا أن ثمة فرقاً كبيراً بين ذكر الفاء واسقاطها والجزم على الطلب فان لكلٍّ معنى. قال تعالى ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي احدكم الموت فيقولَ ربي لولا اخرتني الى اجل قريب فأصّدقَ واكنْ من الصالحين — المنافقون١٠﴾. فانت ترى انه نصب الفعل بعد الفاء (فأصدّق) ثم عطف عليه بالجزم (واكن من الصالحين) والسبب والله اعلم ان قوله (واكن من الصالحين) ليس على ارادة الفاء بل على نية اسقاطها فيكون الثاني جزاء كأنه اراد (ان اخرتني اكن من الصالحين) فأسقط الفاء على ارادة الشرط ولو عطف لكانا شيئا واحدا.

ولا تقل كيف يصح عطف الجزاء على ما ليس جزاء فهذا كثير فانه معلوم انه يصح العطف بفاء السبب و واو المعية على الشرط والجزاء[31] فتقول (ان تأتني فتكرمني اشكر لك صنيعك) وتقول (من يزرني اكرمه فأشكرَ له صنيعه) وتقول (من يزرني اكرمه واشكرَ له صنيعه) فهذا عطف سبب على جزاء وذاك عطف جزاء على سبب.

فاتضح بهذا ان ما يسمى بجواب الطلب انما هو اسلوب شرطي غير أن هذا الاسلوب يختلف عن اسلوب الشرط المشهور وهو الذي تذكر فيه اداة الشرط وفعله وجزاؤه نحو (ان تزرني ازرك) وذلك ان الارتباط هنا ليس باداة شرط بل الارتباط بمعنى الجزاء، وان الشرط في الاسلوب الشرطي المشهور يكون فعلا ماضيا أومضارعاً بخلاف هذا الاسلوب فان الشرط فيه يكون طلبا دائما.

ثم ان هذا التعبير يؤدي معنى لايؤدّيه الاسلوب الشرطي المشهور فمثلا ان قوله تعالى ﴿فادع لنا ربك يُخرجْ لنا مما تنبت الارض – البقرة ٦١﴾ لايؤديه قولنا (ان تدع لنا ربك يخرج) وذلك ان قوله (ادع لنا ربك) يفيد ان الدعاء مطلوب مراد للقائلين بخلاف قولنا (إن تدع لنا يُخرج) فانه لايدل على ان الدعاء مطلوب لهم، ومثله قوله تعالى ﴿نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لايهتدون – النمل ٤١﴾ فهذا يختلف عن قولنا (إن تنكّروا لها عرشها ننظر) فان قوله تعالى (نكّروا لها عرشها) يفيد أن التنكير مأمور به مطلوب بخلاف قولنا (إن تنكّروا لها عرشها ننظر) فان معناه اذا فعلتم ذلك نظرنا ولا يفيد أن التنكير مطلوب.

ومثله قوله تعالى ﴿قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم – التوبة ١٤﴾ فانه يدل على ان القتال مطلوب بخلاف ما لو قلنا (إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فانه لايفيد أن القتال مطلوب صراحة، وكذلك قوله تعالى ﴿ادعوني استجب لكم – غافر ٦٠﴾ يختلف عن قولنا (ان تدعوني استجب لكم) فانه في الآية يفيد أن الدعاء مطلوب من العبد مراد لله تعالى بخلاف الثانية. وكذلك قوله ﴿ربنا أخّرنا الى أجل قريب نُجبْ دعوتك ونتبع الرسل – ابراهيم ٤٤﴾ فان التأخير مطلوب لهم مراد

(٣١) انظر شرح الاشموني ٤/ ٢٤.

بخلاف ما لو قلنا : (ان تؤخرنا نجب دعوتك) فانه لايفهم هذا المعنى بل هو اسلوب اشتراطي مع الله سبحانه وهو كما ترى يختلف عن الاول.

وكذلك بقية انواع الطلب ، فالجزاء هنا يكون جوابا للتمني والاستفهام والعرض والتحضيض والنهي مما لايمكن ان يؤدى بالشرط. تقول (ليت محمدا هنا يدافعْ عني) فيدافع جواب للتمني ولا يؤدَّى هذا المعنى بالشرط فيما اذا قلت (إن يكن محمد هنا يدافع عني) اذ ليس في هذا معنى التمني. وكذلك قولنا (ألا تأتينا تصبْ خيرا) فان هذا عرض و (تصب) جواب العرض ولا يؤدّى هذا المعنى بالشرط فيما اذا قلنا (ان تأتنا تصب خيرا) لانه ليس فيه عرض.

جاء في (بدائع الفوائد) ان الفرق بين قولنا (قم اكرمك) و (ان تقم اكرمك) أنه "في قوله (قم اكرمك) فائدتان ومطلوبان :

احدهما جعل القيام سببا للاكرام ومقتضيا له اقتضاء الاسباب لمسبباتها.

والثاني كونه مطلوبا للآمر مراداً له. وهذه الفائدة لايدل عليها الفعل المستقبل فعدل عنه الى لفظ الامر تحقيقا له وهذا واضح جدا" [٣٢].

في الشرط فائدة واحدة وهو اقتضاء الاسباب لمسبباتها ، وفي هذا التعبير فائدتان هما فائدة الشرط المذكورة ، والثانية افادة معنى الطلب من أمر ونهي واستفهام وتمن ونحوه مما لايتحقق بالشرط.

اضمار اللام :

ذهب بعض النحاة الى ان لام الأمر قد تضمر بعد قول هو أمر نحو قوله تعالى : ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن - الاسراء ٥٣﴾ وقوله ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة - ابراهيم ٣١﴾ والمعنى : قل لهم ليقولوا وليقيموا [٣٣].

---

(٣٢) بدائع الفوائد ١ / ١٠٥.

(٣٣) انظر المغني ١ / ٢٢٥ ، شرح الرضي ٢ / ٢٧٩ ، الهمع ٢ / ٥٥.

وذهب الجمهور الى أن الجزم هو مثله في قولنا (ائتني اكرمك) أي على تقدير إن تقل لهم يقيموا الصلاة "وابطل ابن مالك بالآية أن يكون الجزم في جواب شرط مقدّر لان تقديره يستلزم أن لايتخلف أحد من المقول له ذلك عن الامتثال ولكن التخلف واقع .

وأجاب ابنه بان الحكم مسند اليهم على سبيل الاجمال لا الى كل فرد فيحتمل ان الاصل (يقم اكثرهم) ثم حذف المضاف وانيب عنه المضاف اليه فارتفع واتصل بالفعل ، وباحتمال انه ليس المراد بالعباد الموصوفين بالايمان مطلقا بل المخلصين منهم" [٣٤] .

والذي يبدو لنا أن الرأي الاول اصوب لان المعنى على تقدير الشرط قد يبعد بخلاف تقدير اللام فقولنا (قل له يحفظِ القصيدة) معناه : قل له ليحفظْها وليس معناه (إن تقل له يحفظها) وقد ابطل ذلك ابن مالك .

واما جواب ابنه ففيه نظر وذلك انه قد يؤتى بهذا التعبير فيما لايصح فيه الشرط ، فقد نقول هذا التعبير عمّن لم نتيقن من استجابته فيصح ان نقول عن شخص لم نتيقن من استجابته (قل له ينته عن الخمر) فلا يصح تقدير (ان تقل له ينته عن شرب الخمر) وكذلك أن تقول (قل له ينته عن القول بالرجعة) وأنت تعلم انه لاينتهي أو غير متيقن من استجابته ، وأن تقول (قل لهم يكفّوا عن التخريب) لمن لاتعلم انهم سينتهون بمجرد القول فلا يصح تقدير (ان تقل لهم يكفوا عن التخريب) بخلاف تقدير اللام فانه موافق للقصد .

وليس معنى ذلك انه بعد كل قول هو أمر يكون المحذوف لاماً ، بل قد يكون اسلوبا شرطيا فان المعنى هو الحاكم في قولك (قل الحق يعصمْك الله) معناه إن تقل الحق يعصمك الله وليس معناه ليعصمك الله ، ونحوه قوله تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يُصلحْ لكم اعمالكم – الاحزاب ٧٠﴾ فان معناه الشرط وليس الامر .

---

(٣٤) المغني ١ / ٢٢٦ .

وقد يحتمل التعبير المعنيين الشرط والامر وذلك نحو قولنا (قل له يفعلْ ذاك) فهذا يحتمل الامر ويحتمل الشرط فاذا اردت انك ان تقل له يفعلْ ذاك كان شرطا والاّ كان أمرا.

كما ان حذف اللام ليس محصورا بالقول بل قد يكون مع غيره حسبما يقتضي المعنى وذلك نحو قوله ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب - غافر ٤٩﴾. فان المعنى الاظهر له (ادعوا ربكم ليخفف عنّا يوما من العذاب)، وليس (ان تدعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب). وكذلك قوله تعالى: ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها - البقرة ٦٩﴾ فالارجح انه على تقدير ادع ليبين لنا ما لونها وليس على تقدير إن تدع يبين.

ونحوه قوله تعالى: ﴿واذا قيل لهم تعالوا يستغفرْ لكم رسول الله لووا رؤوسهم - المنافقون ٥﴾ فانه ليس المعنى ان تأتوا يستغفر لكم رسول الله، اذ ليس الاستغفار حاصلا من مجرد الاتيان، بل الراجح ان المعنى تعالوا ليستغفر لكم رسول الله.

ومثله قوله تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبسْ من نوركم - الحديد ١٣﴾ فانه ليس المقصود: إن تنظرونا نقتبس من نوركم، بل هو طلب النظر لاقتباس النور، أي على معنى (انظرونا لنقتبس من نوركم)، ومثله ﴿ربِّ أرِني انظرْ اليك - الاعراف ١٤٣﴾ فان الراجح أن المعنى ارني لأنظر اليك وليس: إن تُرِني انظرْ اليك.

وربما احتمل بعض هذه التعبيرات الشرط من وجه بعيد الاّ ان تقدير اللام اظهر.

ولو قال قائل ان المعنى على تقدير لام التعليل في نحو قوله تعالى: ﴿تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ وقوله ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ لكان اشبه بالمعنى والله اعلم.

وقد تقول: ما الفرق بين التصريح باللام واضمارها، فما الفرق بين قولنا (قل له يفعلْ) و (قل له ليفعلْ)؟

حرفا الاستقبال
السين وسوف

من المناسب بحث حرفي الاستقبال سوف والسين هنا لاختصاصها بالفعل المضارع.

ان سوف والسين حرفا استقبال[1]. قال تعالى : ﴿ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا – النساء ٥٦ ﴾ وقال : ﴿سأصليه سقر – المدثر ٢٦ ﴾.

ولفظ (السَّوْف) يدل على البعد عموما فمن معانيه الموت ومثله السواف ومنه قولهم : ساف المال يسوف اذا هلك ، ويقال : رماه الله بالسواف أي الموت ، والسوف الصبر. ومنه المسافة والسيفة وهو بعد المفازة والطريق[2].

والسوف الشم وقيل بل هو لشم رائحة ماليس حاضرا.

جاء في (بدائع الفوائد) : "وأما سوف فحرف ولكنه على لفظ السوف الذي هو الشم لرائحة ماليس بحاضر وقد وجدت رائحته كما ان سوف هذه تدل على ان مابعدها ليس بحاضر وقد علم وقوعه وانتظر ايابه . ولا غرو أن يتقارب معنى الحرف من معنى الاسم المشتق المتمكن في الكلام"[3].

فلفظ السوف عموما يفيد البعد.

وحرف الاستقبال (سوف) موافق للفظ السوف ومعناه فان الاستقبال بـ (سوف) فيه بعد وتراخٍ وربما أُخذ منه وجرّد لمعنى الاستقبال كما اخذ حرف (على) من العلو وحرف (خلا) من الخلو .

قالوا : و (سوف) اكثر تنفيسا من السين فان لفظها اكثر فهو يؤذن بالبعد.

---

(١) انظر المغني ١٣٨/١ ، كتاب سيبويه ٣١١/٢ ، شرح الرضي على الكافية ٢٤٨/٢ .

(٢) انظر (لسان العرب – سوف) ٦٥/١١ ، تاج العروس (سوف) ١٤٧/٦ .

(٣) بدائع الفوائد ٩١/١ – ٩٢ .

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "وسوف اكثر تنفيسا من السين... وقيل ان السين منقوص من سوف دلالة بتقليل الحرف على تقريب الفعل"[٤].

وقال ابن اياز في (شرح الفصول) ان" التراخي في سوف اشد منه في السين بدليل استقراء كلامهم : قال تعالى : ﴿وسوف تسألون﴾[٥] وطال الامد والزمان، وقال تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاّهم﴾[٦] فتعجل القول"[٧].

وقال : ﴿ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا – النساء ٥٦﴾.

وقال : ﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون – المائدة ٥٤﴾.

وقال : ﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم – النساء ٩١﴾.

وقال : ﴿سنراود عنه اباه – يوسف ٦١﴾.

وقال : ﴿سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا – الكهف ٧٨﴾.

فاستعمل (سوف) للبعيد والسين للقريب.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى على لسان يعقوب (ع) لابنائه : ﴿قال سوف استغفر لكم ربي – يوسف ٩٨﴾ وقوله على لسان ابراهيم (ع) لأبيه : ﴿سأستغفر لك ربي – مريم ٤٧﴾ فجاء بوعد يعقوب بسوف ووعد ابراهيم بالسين لان وعد يعقوب اطول من وعد ابراهيم وذلك لما فعلوه به وبأخيهم يوسف فهو وعدهم بالاستغفار في المستقبل حين طلبوا ذلك منه قال تعالى ﴿قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انّا كنّا خاطئين. قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم يوسف ٩٧، ٩٨﴾ بخلاف آية ابراهيم فانه دعا اباه الى الاسلام فلم يستجب وفي نهاية الحديث قال له ﴿سلام عليك سأستغفر لك ربي – مريم ٤٧﴾ فجاء بالسين الدالة على القرب، يدل على ذلك بدؤه بقوله ﴿سلام عليك﴾ فالفرق واضح.

ومما يدل على افادة (سوف) للبعد والتراخي انه يؤتى بها للتبعيد وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني – الاعراف ١٤٣﴾

---

(٤) شرح الرضي على الكافية ٢٤٨/٢ وانظر الكليات ٢٠٤ .

(٥) الزخرف ٤٤ .

(٦) البقرة ١٤٢ .

(٧) الاشباه والنظائر ٢/ ٢٧٤ .

وهذا في طلب موسى (ع) من ربه أن يريه ذاته ﴿قال رب أرني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني﴾ فجاء بـ (سوف) ولم يأت بالسين الدالة على القرب للدلالة على بعد هذا الامر وان وقوعه بعيد المنال مستحيل الحصول .

ونحوه قوله تعالى ﴿ويقول الانسان أإذا مامت لسوف أُخرَج حيّا – مريم ٦٦﴾ وهذا للتبعيد ، وذلك ان هذا القائل يعتقد أن الحياة بعد الموت امر بعيد الوقوع لايكون فجاء بـ (سوف) الدالة على البعد ولم يأت بالسين.

وقالوا هما حرفان مؤكدان اذا دخلا على فعل أفادا أنه واقع لامحالة .

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : ﴿اولئك سوف يؤتيهم اجورهم – النساء ١٥٢﴾ "معناه ان ايتاءها كائن لامحالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لاكونه متأخرا"[٨] .

وجاء فيه في قوله ﴿اولئك سيرحمهم الله – التوبة ٧١﴾ :"السين مفيدة وجود الرحمة لامحالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك : (سأنتقم منك) ، تعني انك لاتفوتني وان تباطأ ذلك"[٩] .

وجاء فيه في قوله تعالى ﴿فسيكفيكهم الله – البقرة ١٣٧﴾ " ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ومعنى السين أن ذلك كائن لامحالة وان تأخر الى حين"[١٠] .

والذي يبدو ان (سوف) اكثر توكيدا من السين لزيادة حروفها عليها ، ويدل على ذلك الاستعمال القرآني لها . قال تعالى : ﴿ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا – النساء ١٠﴾ .

وقال : ﴿ولاتقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما . ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا – النساء ٢٩ ، ٣٠﴾ فجاء بـ (سوف) هنا بخلاف آية الايتام

---

(٨) الكشاف ٤٣٤/١ .

(٩) الكشاف ٤٨/٢.

(١٠) الكشاف ٢٤١/١ وانظر المغني ١٣٨/١ – ١٣٩ ، التفسير الكبير للرازي ١٣١/١٦ .

وذلك ان المقام يقتضي الزيادة في التهديد لانه في عقوبة قتل النفس عدوانا وظلما بخلاف الآية السابقة فأنها في اكل اموال اليتامى، والقتل اشدّ ولاشك. فزاد لهم في التهديد والتوكيد لما زاد الفعل سوءا ونكرا. ثم انه لما قال (عدوانا وظلما) فزاد العدوان على الظلم زاد لهم التهديد فجاء بـ (سوف) التي هي آكد من السين ونسب الاصلاء الى نفسه فقال (فسوف نصليه نارا) بخلاف الآية السابقة فانه قال (وسيصلون سعيرا) فنسبه اليهم.

ومن الطريف أن يؤتى بلفظ (السوف) الذي يفيد الهلاك والموت مع فعلة القتل بخلاف آية الايتام.

ونحو ما مرّ قوله تعالى: ﴿فستذكرون ما اقول لكم وافوّض امري الى الله - غافر ٤٤﴾.

وقوله: ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون. اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبون في الحميم ثم في النار يُسجَرون - غافر ٧٠-٧٢﴾.

وذلك انه في الآية الاولى لم يزد التهديد على ماذكر وهو قوله ﴿فستذكرون ما اقول لكم﴾ اما في الآيات التالية فان التهديد يطول ويستمر الى الآية ٧٦ فلما طال التهديد وازداد جاء بـ (سوف) التي هي اطول من السين واكثر توكيدا.

وقد يكون المقام مقام اطالة فيؤتى بـ (سوف) أو مقام ايجاز فيؤتى بالسين وذلك لزيادة حروف الاولى على الثانية فمن ذلك قوله تعالى ﴿ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا - النساء ٥٦﴾، وقوله ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار - النساء ٥٧﴾.

فجاء في الاولى بـ (سوف) وفي الثانية بالسين وذلك ان المقام يقتضي أن يكون كل في موضعه فان الآيات التي قيلت في الكافرين تسع آيات تبدأ بقوله تعالى ﴿ان الله لايغفر أن يُشرك به - النساء ٤٨-٥٦﴾ بخلاف آية المؤمنين فانها آية واحدة وهي الآية المذكورة. فجاء في مقام الاطالة بـ (سوف) وفي مقام الايجاز بالسين.

ونحوه قوله تعالى ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتَلْ أو يغلِبْ فسوف نؤتيه اجرا عظيما – النساء ٧٤﴾.

وقوله : ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل – النساء ١٧٥﴾.

فأنت ترى انه في الآية الاولى قال (فسوف نؤتيه) وفي الثانية قال : (فسيدخلهم في رحمة منه) وذلك للسبب نفسه. فان الآية الاولى في سياق القتل والشهادة الذي يبدأ بالايماء الى الشهادة في قوله تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول .. والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا – النساء ٦٩﴾.

ويستمر بالتحريض على القتال ﴿يأيها الذين آمنوا خذوا حِذْركم فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعا – ٧١﴾ وتستمر آيات القتال ومقدارها عشر آيات بخلاف آية المؤمنين فانها آية واحدة وهي الآية المذكورة وتأتي بعدها آية المواريث.

فاقتضى المقام ان يؤتى بـ (سوف) الكثيرة الحروف في مقام الاطالة والسين في مقام الايجاز.

وقد يكون القصد اظهار ان ما يوعدون به قريب فيؤتى لذلك بالسين وذلك نحو قوله تعالى : ﴿سأصليه سقر – المدّثر ٢٦﴾ وقوله ﴿سندعو الزبانية – العلق ١٨﴾ وقوله ﴿سنفرغ لكم ايها الثقلان – الرحمن ٣١﴾ فجاء بالسين للدلالة على ان ذلك قريب الوقوع وهو نظير قوله تعالى : ﴿انّا انذرناكم عذابا قريبا – النبأ ٤٠﴾ وقوله ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه – النحل ١﴾.

فأنت ترى أنه يستعمل كلا منها حسبما يقتضيه المقام.

فعل الامر

وهو طلب الفعل بصيغة مخصوصة[1] وصيغته (افعَل) نحو (اذهبْ)، ويكون بحذف حرف المضارعة من الفعل المضارع ولا يكون بصيغته المعلومة الآ للمخاطب واما غير المخاطب فيؤمر باللام نحو ﴿ليقض علينا ربك – الزخرف ٧٧﴾ و (لأذهب معكم).

وقد يخرج الامر عن معناه الحقيقي الى المجاز ومن اشهر معانيه المجازية:

١ – الاباحة نحو ﴿واذا حللتم فاصطادوا – المائدة ٢﴾.
٢ – الدعاء نحو ﴿رب اغفر لي ولوالديّ – نوح ٢٨﴾.
٣ – التهديد نحو ﴿اعملوا ما شئتم – فصلت ٤٠﴾ وكأن تقول لابنك مهددا (العب ولا تدرس).
٤ – التوجيه والارشاد نحو ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة – البقرة ٤٥﴾، و (احفظ الله يحفظك).
٥ – الاكرام نحو ﴿ادخلوها بسلام آمنين – الحجر ٤٦﴾.
٦ – الاهانة نحو ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم – الدخان ٤٩﴾.
٧ – الاحتقار نحو ﴿فاقض ما أنت قاض – طه ٧٢﴾.
٨ – التسوية نحو (افعل أو لاتفعل) ونحو قوله ﴿فاصبروا أو لاتصبروا – الطور ١٦﴾.
٩ – الامتنان نحو (كل مما انفق عليك) ونحو ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه الملك ١٥﴾.
١٠ – العجب نحو (انظر ماذا يصنع) و ﴿انظر كيف ضربوا لك الامثال – الاسراء ٤٨﴾.
١١ – التكذيب نحو ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها – آل عمران ٩٣﴾. اذ القصد اظهار كذب ادعائهم.

---

(١) شرح ابن يعيش ٧ / ٥٨.

١٢- التعجيز نحو ﴿فاتوا بسورة من مثله- البقرة ٢٣﴾ اذ ليس المراد طلب ذلك منهم ، بل اظهار عجزهم ، ونحو قوله ﴿انبؤني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين- البقرة ٣١﴾ .

١٣-الاذلال نحو ﴿كونوا قردة خاسئين- البقرة ٦٥﴾ فليس المخاطب مكلفا أن يفعل شيئا.

١٤-اظهار القدرة وفي هذا يكون المخاطب غير مأمور بأن يحدث فعلا ، نحو ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا- الاسراء ٥١﴾ : "يعني لو كنتم حجارة أو حديدا لأعدناكم . الم تسمع الى قوله حاكيا عنهم ومجيبا لهم (فسيقولون من يعيدنا؟ قل الذي فطركم أول مرّة) فهذا يبين لك ان لفظ الامر في هذا الموضع تنبيه على قدرته سبحانه[٢]".

الى غير ذلك من المعاني .

زمنه :

يقول النحاة : "والامر مستقبل ابداً لانه مطلوب به حصول مالم يحصل أو دوام ما حصل نحو﴿يا ايها النبي اتق الله﴾[٣] .

قال ابن هشام : الا ان يراد به الخبر نحو (ارم ولا حرج) فانه بمعنى رميت والحالة هذه والاّ لكان امراً بتجديد الرمي وليس كذلك"[٤] .

من هذا القول يتبين أن زمن فعل الامر كما يرى النحاة هو الاستقبال وقد يراد به دوام ما حصل .

والحق ان تحديد زمن فعل الامر بما هو مذكور في هذا القول فيه نظر ، اذ هو اوسع من ذلك :

١- فقد يكون فعل الامر دالا على الاستقبال المطلق سواء كان الاستقبال قريبا ام بعيدا ، فمن المستقبل القريب أن تقول مثلا (أغلق النافذة) و (افتح الباب)

---

(٢) امالي ابن الشجري ١ / ٢٧٠ وانظر الاتقان ٢ / ٨١.

(٣) الاحزاب ١ .

(٤) الهمع ١ / ٧.

وكقوله تعالى ﴿فافعلوا ماتؤمرون – البقرة ٦٨﴾ وقوله : ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين – الحجر ٩٩﴾ .

ومن البعيد قوله تعالى : ﴿ربنا اصرف عنّا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما – الفرقان ٦٥﴾ وقوله ﴿وآتنا ما وعدتنا على رسلك – آل عمران ١٩٨﴾ وكقولك : (رب ادخلني الجنة) .

٢ – وقد يكون دالا على الحال وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ثم صُبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم. ذق انك أنت العزيز الكريم – الدخان ٤٨ – ٤٩﴾ فزمن الذوق مصاحب لصب الحميم ، ومثله قوله تعالى ﴿يوم هم على النار يُفتَنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون – الذاريات ١٣﴾ فزمن الذوق هو زمن تعذيبهم في النار. ومثله قوله تعالى : ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر – القمر ٤٨﴾ .

وهذا كله واضح في أنه للحال ، ونحو ذلك أن تقول لمن لايعلم ماذا خبئ له وماذا يراد به وهو يضحك ويصخب (اضحك قبل أن تبكي) ونحوه قوله تعالى ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا – التوبة ٨٢﴾ فالضحك للحال والبكاء في الاستقبال .

٣ – الامر الحاصل في الماضي وذلك نحو قوله تعالى : ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين – يوسف ٩٩﴾ فقوله (ادخلوا مصر) كان بعد دخولهم اياها فهو أمر يفيد المضي .

ونحوه قوله تعالى : ﴿ان المتقين في جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين – الحجر ٤٥ ، ٤٦﴾ فقوله (ادخلوها) كان بعد دخولهم الجنة يدل على ذلك قوله (ان المتقين في جنات وعيون) .

ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر. فذوقوا عذابي ونذر – القمر ٣٨ ، ٣٩﴾ فقوله (فذوقوا عذابي ونذر) كان بعد تصبيحهم العذاب وذوقه .

وهذا له نظائر في الكلام ، فقد تقول لشخص قُتل بسبب فعلة سوء فعلها : (ذق عاقبة ما فعلت) وتقول : (اشربْ من الكأس التي جرّعتها لغيرك).
وهذا كله امر واقع في الزمن الماضي.

ومن ذلك قول المنصور بعد ما قتل ابا مسلم :

اشرب بكأس كنت تسقي بها ... أمرّ في الحلق من العلقم
زعمت أن الدَّين لايُقتضى ... كذبت فاستوف أبا مجرم

ومن دلالة فعل الامر على المضي قوله صلّى الله عليه وسّلم لشخص رمى في الحج بعد الذبح (ارم ولا حرج) فليس القصد أمره بالرمي في المستقبل، لأنّ الرمي قد حصل في الماضي وانما المعنى هو الموافقة على مافعل. ونحوه قوله (ص) لرجل قال له : رميت بعدما أمسيت. (افعلْ ولا حرج). فهذا من باب الاقرار على ماحصل والموافقة عليه وليس من باب طلب القيام بالفعل مرّة أخرى. فقد دلّ فعل الامر على المضي كما هو ظاهر.

ونحو هذا أن يقول لك شخص : اني هجوت فلانا وسببته.

فتقول له : اهجه وسبه ، موافقا على مافعل وليس القصد تكرار الهجاء والسب. ومثله قولك لمن شرب دواء أو شرابا : (اشرب بالهناء والشفاء) وهو قد شربه. فالفعل دل ههنا على المضي وليس القصد الامر بالشرب.

ومن دلالة فعل الامر على المضي ان تقول : (كن قد اطعت وسمعت لفلان) و (كن قد نفّذت وصيتي) و (لتكن قد فعلت الخير) فهذا كله من باب الامر الواقع في الزمن الماضي وهو مقابل النهي عن أمر حدث في الزمن الماضي في نحو قولك (لاتكن قد اسأت اليه) و (لاتكن قد غششت احدا).

والحق انه ليس في يدي شاهد على نحو قولنا (كن قد اطعت له) ولكن مؤدى قول النحاة جواز ذلك فانهم جوزوا وقوع الفعل الماضي خبرا لكان وشواهده كثيرة من القرآن وغيره وذلك نحو قوله تعالى ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل - الاحزاب ١٥﴾ وقوله : ﴿عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون - النمل ٧٢﴾ وقوله ﴿وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم - الاعراف ١٨٥﴾ ، وقوله ﴿لاينفع

نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل – الانعام ١٥٨ ﴾ وقوله ﴿ فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم – النساء ٢٣ ﴾ .

قال امرؤ القيس :

وان تك قد ساءتك مني خليقة   فسلّي ثيابي من ثيابك تنسل

ولم يستثنوا وقوعه خبراً لأمر "كان" مع انهم ذكروا مالايصح وقوعه خبراً للافعال الناقصة فقد ذكروا أن خبر الأفعال الناقصة لايكون جملة طلبية ولايكون خبر صار وما بمعناها ماضيا[5] .

وعلى اية حال فالشواهد كثيرة على دلالة الامر على الماضي وقد ذكرنا مافيه الكفاية .

٤ – الأمر المستمر : وذلك نحو قوله تعالى ﴿وقولوا للناس حُسنا – البقرة ٨٣﴾ وقوله ﴿ كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم – النساء ١٣٥﴾ وقوله في معاملة الابوين ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً – لقمان ١٥﴾ وقوله ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه – الملك ١٥﴾ وقوله ﴿وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون – النحل ٦٨﴾ وقوله ﴿فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم – طه ٥٣ ، ٥٤﴾ . فهذا الامر كله مطلوب استمراره والعمل به على وجه الدوام .

وقد يكون الأمر مستمراً الى اجل أو مشروطا بشرط وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم – التوبة ٤﴾ وقوله ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم – التوبة ٧﴾ فالاستقامة لهم مشروطة باستقامتهم هم ، ونحو قوله (ص) : (اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة مااقام فيكم كتاب الله). فالسمع والطاعة مشروطان باقامة كتاب الله .

والامر المستمر له صورتان :

---

(٥) انظر الهمع ١ / ١٣ .

أ- الامر باستمرار ماهو حاصل وذاك نحو قوله تعالى: ﴿ياأيها النبي اتق الله - الاحزاب ١﴾ فالمطلوب هو الاستمرار على التقوى لان الرسول (ص) متقٍ الله قبل نزول الآية . ونحو قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله - النساء ٣٦﴾ فقد طلب منهم الاستمرار والثبات على الايمان لا أن يحدثوا ايمانا جديدا لم يكن في قلوبهم فانهم مؤمنون قبل نزول هذه الآية ، ألا ترى أنه خاطبهم بقوله (ياأيها الذين آمنوا) ؟ ونحوه قوله تعالى ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى - البقرة ٢٣٨﴾ فأنهم مقيمون للصلاة محافظون عليها قبل نزول هذه الآية . ومثله قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك - هود ١١٢﴾ وقوله: ﴿فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم - الاحزاب ٤٣﴾ وقوله: ﴿ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم - البقرة ٧٢﴾ فقد طلب منهم الاستمرار على اختيار الطيبات من الرزق فانهم ولاشك كانوا يأكلون ممّا رزقهم الله قبل نزول هذه الآية ، والآ فمن أي شيء كانوا يأكلون؟

فهذا كله من باب الامر بالاستمرار على ماهو حاصل وطلب الثبات والمداومة عليه .

وقد يكون الامر تهديدا لمن كان على حالة غير مرضية وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ ذرهم يأكلون ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون - الحجر ٣﴾ وقوله : ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين - المؤمنون ٥٤﴾ فيقول له : اترك هؤلاء مستمرين على ماهم عليه فسوف يرون جزاءهم.

ب- الامر بفعل لم يكن حاصلا وطلب الاستمرار عليه وذلك نحو قولك : (حافظ على ماسأعطيك ولاتفرّط فيه ابدا) ، ونحو قولك (اكتم ماسأخبرك به ولا تخبر به احدا) . قال تعالى : ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى - البقرة ١٢٥﴾ فقد طلب الله من المسلمين ان يتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى ، وليس ذلك موقوتا بزمن ، بل الامر مستمر لاينقطع . ونحوه قوله ﴿فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره - البقرة ١٤٤﴾ وهذا الامر مستمر من حين الامر به الى قيام الساعة . ونحو قوله : ﴿ياأيها الذين امنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا ان كنتم

مؤمنين – البقرة ٢٧٨﴾ فقوله ﴿ذروا مابقي من الربا﴾ أمر بالانتهاء عن الربا بصورة دائمة . ونحوه قوله : ﴿انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه – المائدة ٩٠﴾ وقوله : ﴿ قال أنظرني الى يوم يبعثون – الاعراف ١٤﴾ وقوله : ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر . وثيابك فطهر. والرجز فاهجر – المدثر ١ – ٥﴾ .

فقد أمره بالانذار على وجه الدوام.

فكل ذلك مما يفيد طلب الفعل في المستقبل ثم الاستمرار والمداومة عليه .

ثم ان الامر المستمر له صورتان تعبيريتان شائعتان :

احداهما أن يؤمر بالفعل نفسه نحو ما مر من قوله تعالى : ﴿وصاحبها في الدنيا معروفا﴾ وقوله ﴿ قم فأنذر﴾ .

والاخرى أن يؤتى بأمر (كان) ويؤتى بالخبر اسما للدلالة على طلبه الاتصاف بالحدث على وجه الثبوت وذلك نحو قولنا (كن حافظا للعهد) ونحو قوله تعالى : ﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾ . فالفرق بين قولك (احفظ العهد) و (كن حافظا للعهد) هو ما مرّ من الفرق بين الاسم والفعل من ان الفعل يفيد الحدوث والتجدد والاسم يفيد الثبوت . فمعنى (كن حافظا للعهد) لتكن هذه صفتك الثابتة . واظنك ترى الفرق واضحا بين قولنا (اطّلعْ) و (كن مطّلعا) ، و (تعلّم) و (كن متعلما) وقد مرّ في مثل هذا مافيه الكفاية .

والقياس يجيز أن يكون خبر أمر (كان) فعلا مضارعا نحو (كونوا تحافظون على العهد) و (كونوا تقولون الحق) وهو نوع من انواع الامر المستمر، غير أني لم احفظ شاهداً عليه .

وقد ورد خبر النهي فعلاً مضارعاً والنهي مقابل للأمر وذلك نحو قول المغيرة بن حبناء :

خذ من اخيك العفو واغفر ذنوبه

ولاتـك في كـل الامـور تـعـاتـبـه

فاذا جاز وقوع خبر النهي فعلا مضارعا جاز وقوع خبر الامر مضارعا ايضا .
واما الاخبار عن أمر (كان) بأمر فقد منعه النحاة وشذذوا ماورد من نحو قوله :

وكوني بالمكارم ذكّريني

فقد ذكروا ان خبر الافعال الناقصة لايكون جملة طلبية كما اسلفنا .

٥ – وربما كان فعل الامر مطلقا غير مقيّد بزمن لكونه دالا على الحقيقة أو لكونه دالا على التوجيه والحكم أو لغير ذاك ، وذلك كقوله :

كن ابن من شئت واكتسب ادبا　　　يغنيك محموده عن النسب

فهو لا يأمرك بأن تكون ابن من شئت على وجه الحقيقة فليس بمقدورك ذاك وانما القصد ان يأمرك باكتساب الادب ولايهم بعد ذلك ان تكون ابن من ممن خلق الله . فقوله (كن ابن من شئت) لايدل على زمن ما وانما هو ذكر لحقيقة من حقائق الحياة وهي ان الادب يغني عن النسب ونحوه قوله (تعرّفْ الى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة) فهذا لايقصد به التعرف الى الله والالتجاء اليه في وقت دون وقت وانما هو من باب التوجيه للالتجاء اليه في كل وقت اذ من المعلوم ان اغلب الناس تبطرهم الراحة وينسيهم الرخاء فهم لايلتجئون الى الله الآ في وقت الشدّة والضيق ونزول المكروه فيقول لهم اذا اردتم أن يعينكم الله ويخلصكم مما تقعون فيه من محن وكروب فالتجئوا اليه واعرفوا له حقّه في كل وقت .

ومن باب الحقائق ان تقول مثلا : (احترم الناس يحترموك وتواضع لهم يرفعوك) فهذه قاعدة عامة وحقيقة مطلقة غير مقيّدة بزمن ، فمن احترم الناس احترموه ومن تواضع لهم رفعوه .

وقد يكون فعل الامر غير مطلوب حصوله ، بل انما يذكر للتحذير منه ، وذلك كأن تقول : (تواضعْ للناس يحبوك واستعل عليهم يبغضوك) فأنت لاتأمره بالاستعلاء على الناس وانما تحذره منه فتقول له : اذا استعليت على الناس ابغضوك. ونحوه أن تقول : (اكذب مرة تفقد ثقة الناس ولو صدقت بعدها الف مرّة) . فأنت لاتأمره بالكذب وانما تحذّره منه .

ونحوه أن تقول : (اعمل خيرا تلق خيرا واعمل شرا تلق شرا) وان تقول : (ازرع شوكا تجن شوكا) ومنه المثل المشهور (سمّن كلبك يأكلك).

فأنت لاتأمره بعمل الشر ولا بزرع الشوك وانما أنت تحذره من مغبّة فعل السوء. وهذا كله من باب الحقائق المطلقة غير المقيدة بزمن.

وقد يكون استعمال فعل الامر في الدلالة على الحقيقة على نحو آخر، وذلك نحو ما روي في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم رأى رجلا مبيّضا[٦] يزول به السراب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كن أبا خيثمة) فاذا هو ابو خيثمة الانصاري.

فقوله (ﷺ) : (كن أبا خيثمة) ليس أمرا بأن يكون الشخص على غير حقيقته ، بل اراد أن يكون هذا الشخص القادم هو من ذكر أو وقع في روعه ذاك.

ونظير هذا أن تقول على جهة الحدس أو التمني أو نحوهما (كن فلانا) أو (كن كذا وكذا) فتطلب ان يصدق حدسك أو متمناك وذلك كأن تسمع خشخشة شخص أو حركة ويقع في نفسك انه (محمود) مثلا فتقول : (كن محمودا) فأنت لاتأمر الشخص أن يكون على غير حقيقته وانما تطلب أن يصدق حدسك وما وقر في نفسك. وقد تقوله على جهة التمني فقد تسمع حركة أو نأمة وتتمنى أن يكون صاحب هذه الحركة خالداً فتقول (كن خالدا) . ونحوه أن ترى شخصا قادما من بعيد وأنت جائع عطشان فتقول : (كن شخصا يحمل الماء والطعام) . وقد يأتي أحد اقاربك بظرف مليء فتتمنى ان يكون مافيه عسلا مثلا فتقول (كن عسلا) أو ليكن مافيه عسلا ، تقول ذلك متمنيا.

فهذا ونحوه ليس امرا بشيء وانما تطلب ان تكون الحقيقة على ماتذكر.

وقد نستعمل فعل الامر بطريقة اخرى فقد تقول مثلا (أخفق ثم أخفق ، ولكن لاتيأس) فأنت ههنا لاتأمره بالاخفاق ولاتحذره منه ولكنك تقول اذا

---

(٦) أي : لابس البياض.

اخفقت فلاتيأس، فانت توجهه الى عدم اليأس عند الاخفاق.
وهو كما ترى ايضا خالٍ من الدلالة على زمن معيّن
فقد تبين أن زمن فعل الامر لاينحصر فيما ذكره النحاة.

اسماء الافعال

وهي الفاظ تؤدي معاني الافعال ولاتقبل علاماتها وليست هي على صيغها فسماها النحاة اسماء الافعال.

وهي عند جمهور النحاة اسماء لان قسما منها يقبل بعض علاماته كالتنوين وذلك نحو صهٍ وأفٍّ، والألف واللام نحو (النجاءك) وليست هي عند النحاة "بمنزلة بين الأسماء والأفعال" أي قسماً رابعاً من أقسام الكلام ولذلك سموها بأسماء الأفعال كما ذهب اليه بعضهم[1]، بل هي اسماء حقيقية[2] عندهم.

قال سيبويه: "واعلم ان هذه الحروف التي هي اسماء للفعل لاتظهر فيها علامة المضمر وذلك لانها اسماء"[3]. وقال ابن مالك:

والأمـر إن لـم يـك للنـون محل فيـه هـو اسم نـحو صـه وحيهل

وسميت (اسماء الافعال) بهذا الاسم لانها اسماء تؤدي معاني الأفعال كما تؤدي المصادر أحيانا معاني الافعال في نحو قولك (سكوتاً) بمعنى (اسكت) و (انكفافاً) بمعنى (انكفّ) و (صبراً) بمعنى (اصبر) غير أن هذه مصادر معربة واسماء الافعال مبنية غير متصرفة، وذلك نحو (صه) اسم للفعل اسكت فهو بمعنى (سكوتا) و (مه) اسم للفعل (انكنف) بمعنى (انكفافا).

وهكذا بقية اسماء الافعال. "والذي حملهم على أن قالوا إن هذه الكلمات وامثالها ليست بافعال مع تأديتها معاني الافعال امر لفظي وهو ان صيغها مخالفة لصيغ الافعال، وانها لاتتصرف تصرفها، ويدخل اللام على بعضها والتنوين في بعض، وظاهر كون بعضها ظرفا وبعضها جارا ومجرورا"[4].

---

(١) في النحو العربي ١٤٠.

(٢) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٨٩/٢.

(٣) كتاب سيبويه ١٢٣/١ وانظر المقتضب ٢٠٢/٣.

(٤) شرح الرضي على الكافية ٧٣/٢.

وذهب الكوفيون الى أنها افعال لدلالتها على الحدث والزمان ، وذهب ابن صابر الى انها قسم رابع زائد على اقسام الكلام الثلاثة سماه الخالفة[٥].

ومذهب الكوفيين بعيد في نحو (رويد خالداً) و (بله زيداً) و (النجاءك) ومكانك وعليك . فان رويد وبله مصدران معلومان يستعملان مصدرين نحو (رويد خالدٍ) و (بله محمدٍ) بجر ما بعدهما .

ويستعملان اسمي فعل نحو (رويد خالداً) و (بله محمداً) بنصب مابعدهما[٦] ؛ و (النجاءك) مصدر محلى بأل ومكانك ظرف وعليه جار ومجرور. فجعلُ اسماء الافعال افعالا فيه نظر.

وعلى أي حال لاخلاف بين النحاة في انها تؤدي معاني الأفعال سواء قلنا باسميتها أم بفعليتها.

التنوين الداخل عليها :

يدخل التنوين على قسم من هذه الالفاظ وذلك نحو صهٍ وايهٍ وافٍّ . وهذا التنوين عند الجمهور يفيد التنكير فاذا قلت (صهْ) بالتسكين كان امراً له بالسكوت عن حديث معيّن واذا قلت (صهٍ) بالتنوين كان امراً له بالسكوت عن كل حديث ، فيكون معنى (صهْ) السكوت و (صهٍ) سكوتا وهكذا (إيهِ) و (إيهٍ) فان (إيهِ) بلا تنوين طلب الاستزادة من حديث معين و (ايهٍ) طلب الاستزادة من أي حديث يشاء المتكلم. ومعنى (مهٍ) بالتنوين انكفافا ومعنى (مهْ) بالتسكين الانكفاف.

قال سيبويه : " وزعم – أي الخليل – أن بعضهم قال (صهٍ) ذلك ارادوا النكرة كأنهم قالوا سكوتا "[٧].

---

(٥) همع الهوامع ١٠٥/٢ .
(٦) شرح ابن الناظم ٢٥٠ .
(٧) كتاب سيبويه ٥٣/٢ .

وجاء في (الأمالي الشجرية): "ومَن نوّنه اراد به التنكير لان تنوين هذا الضرب علم للتنكير كقولهم في المستزادة من الحديث (إيهٍ) اذا ارادوا حدثني حديثا ما و (ايهِ) من حديث يعرفه المحدِّث والمحدَّث ومثله صهٍ وصه ومهٍ ومه فمن نوّن فكأن قال: افعل سكوتا وكفّا، ومن لم ينوّن فكأنه قال افعل السكوت وكذلك من قال (افٌّ) فنوّن أراد أتضجر تضجرا، ومن لم ينوّن فهو بمنزلة اتضجر التضجر المعروف"[8].

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): "واما التنوين اللاحقة لبعض هذه الاسماء فعند الجمهور للتنكير... فصهٍ بمعنى سكوتا وايهٍ بمعنى زيادة فيكون المجرد من التنوين مما يلحقه التنوين كالمعرف، فمعنى (صهْ) اسكت السكوت المعهود المعيّن، وتعيين المصدر بتعيين متعلقه أي المسكوت عنه، أي افعل السكوت عن هذا الحديث المعين فمجاز على هذا أن لايسكت المخاطب عن غير الحديث المشار اليه. وكذا (مه) أي كف عن هذا الشيء، و (ايه) أي هات الحديث المعهود، فالتعريف في المصدر راجع الى تعريف متعلقه.

واما التنكير فكأنه للابهام والتفخيم كما في قوله:

الا أيها الطير المربة بالضحى ... على خالد لقد وقعت على لحم

أي لحم وأيّ لحم. فكان معنى (صهٍ) اسكت سكوتا وأيّ سكوت أي سكوتا بليغا أي اسكت عن كل كلام"[9].

وذهب ابن السكيت والجوهري الى أن التنوين فيما يدخل عليه منها دليل الوصل وحذفه دليل القطع فاذا وصلت في الكلام نوّنت واذا وقفت حذفت فتقول صهٍ صهْ بتنوين الاول وسكون الثاني[10].

---

(8) الامالي الشجرية ١/٣٩١.

(9) شرح الرضي على الكافية ٢/٧٧.

(10) شرح الرضي على الكافية ٢/٧٧.

وذهب الرضي الى ان التنوين الداخل عليها تنوين الحاق وتنوين مقابلة كما قيل في تنوين مسلمات . قال : ونستريح اذن مما تكلفناه لتوجيه التنوين[11].

وقال الدكتور سليم النعيمي : "ولانعتقد ان لديهم دليلا يؤيد مايقولون من أن (صه) بلا تنوين تدل على طلب السكوت عن حديث معيّن ، وان (صهٍ) بالتنوين تدل على طلب السكوت عن كل حديث ، وان الذي يقول (اف) بغير تنوين يريد التضجر المعروف ومن يقول (افٌ) بالتنوين يريد تضجراً غير معروف.

بل الذي نراه ان (صهٍ) بالتنوين ابلغ في الزجر وطلب السكوت من التي لم تنون لزيادة لفظها وكذلك الذي يقول (افٌ) بالتنوين فانه يعبّر عن ضجر بلغ في نفسه درجة يحتاج للترفيه عنها صوتا اطول من صوت (اف) غير منوّنة"[12].

وما ذهب اليه النحاة في التفريق بينها مقبول من ناحية مردود من ناحية وذلك ان التنوين هنا يفيد العموم والشمول فما نّون يكون أعم واشمل مما لم ينون فاذا قلت (صهٍ) اردت السكوت التام المطبق وكذلك (ايهٍ) فانه يراد به الحديث العام الشامل لان التنكير قد يفيد العموم نحو (عنده مال) و (هو ذو علم ومعرفة ونشاط وقوة).

اما قولهم ان (صهٍ) معناه سكوتا و (صه) معناه السكوت وكذلك الباقي فهذا مردود ومغاير لتفسيرهم فان (السكوت) ليس معناه : اسكت عن حديث معّين وانما هو تعريف للسكوت لا للمسكوت عنه أي اسكت السكوت المعهود. فقولك (افعل سكوتا) لايفيد نصا ان المسكوت عنه عام ولا (افعل السكوت) يدل على ان المسكوت عنه خاص ، بل يصح أن يقال (سكوتا عن هذه المسألة) فيكون خاصا كما يصح ان يقال (السكوت عن كل حديث) فيكون عاماً.

ثم اننا لانقول – كما يقولون – إن كل مالم يدخله التنوين يكون معرفة فيكون نزال معرفة وهيهات معرفة اذ لامعنى لتعريف نزال وهيهات واشباهها وانما نقول فقط إن مادخله التنوين منها يفيد العموم والشمول بخلاف مالم يدخله والله أعلم .

---

(11) شرح الرضي على الكافية ٢/٩٠–٩١.

(12) اسم الفعل دراسة وطريقة تيسير – بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد السادس عشر ص (٦٨).

فائدتها

ان فائدة اسماء الافعال الدالة على الطلب هي المبالغة والتوكيد ، فـ (صه) مثلا آكد وابلغ في الزجر من (اسكت) ، و (مه) آكد وابلغ من انكفف ، و (حيّ) آكد وأبلغ من (أقبل) وذلك لانه يراد بها الحدث المجرد ، الا ترى انها لاتتصل بالضمائر صاحبة الحدث فلا يقال صها ولا صهوا كما يقال اسكت واسكتوا بل يقال بلفظ الافراد دوما وذلك اكتفاء بالحدث.

ويدل استعمالنا لها في اللغة الدارجة على ذلك فـ (اص) أو (هص) مقلوب (صه) أبلغ في الزجر من اسكت وأشد. وقد نستعملها في المواقف التي تستوجب الصمت المطبق كأن يكون موقف رعب أو موقف يستدعي الصمت لسماع شيء مهم.

وكذلك (مكانك) ابلغ من (اثبت مكانك) و (عليك نفسك) ابلغ من (الزم عليك نفسك) لما فيه من الاختصار والسرعة.

وما كان بمعنى الخبر يفيد التعجب اضافة الى المبالغة والتوكيد وذلك نحو (هيهات الامل) أي ما أبعده . قال تعالى ﴿ هيهات هيهات لما توعدون – المؤمنون ٣٧﴾ و (شتان زيد وخالد) أي ما أشد الافتراق بينهما. و (وي لخالد) أي ما أعجب امره.

واستعمالنا في الدارجة يؤكد هذا المعنى فنحن نقول (هيهات) لما كان بعيدا جدا ، ونستعمل (وي) مكررة ومفردة للتعجب فنقول (وي وي) اذا كان ثمة امر يدعو الى العجب ونستعمل (اف) للتضجر الشديد.

قال ابن يعيش : ''والغرض منها الايجاز والاختصار ونوع من المبالغة... ووجه الاختصار فيها مجيئها للواحد والواحدة والتثنية والجمع بلفظ واحد وصورة واحدة. ألا ترى أنك تقول في الامر الواحد : صه يازيد ، صه يازيدان ، وفي الجماعة صه يازيدون ، وفي الواحدة : صه ياهند وصه ياهندان وصه ياهندات. ولو جئت بمسمى هذه اللفظة وهو اسكت واسكتا للاثنين واسكتوا للجماعة واسكتي للواحدة المخاطبة واسكتن لجماعة المؤنث فتركهم اظهار علامة التأنيث والتثنية والجمع... دليل على ماقلناه من قصد الايجاز والاختصار.

واما المبالغة فان قولنا (صه) ابلغ في المعنى من اسكت وكذلك البواقي"[١٣].

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : "ومعاني اسماء الافعال امرا كانت أو غيره ابلغ وآكد من معاني الافعال التي يقال ان هذه الاسماء بمعناها.

[illegible] الاصوات الصادرة مصادر ثم اسماء الافعال فلما تبين في المفعول المطلق بما وجب حذف فعله قياسا.

واما الظروف والجار والمجرور فلأن نحو امامك ودونك زيدا بنصب (زيدا) كان في الاصل : امامك زيد ودونك زيد فخذه فقد امكنك. فاختصر هذا الكلام الطويل لغرض حصول الفراغ منه بالسرعة ليبادر المأمور الى الامتثال قبل أن يتباعد عنه.

وكذا كان اصل (عليك زيدا) وجب عليك اخذ زيد، و (اليك عنّي) أي ضم رحلك وثقلك اليك واذهب عنّي، و (وراءك) أي تأخر وراءك فجرى في كلّها الاختصار لغرض التأكيد.

وكل ما هو بمعنى الخبر ففيه معنى التعجب فمعنى هيهات أي ما أبعده وشتان أي ما أشد الافتراق وسرعان ووشكان أي : ما أسرعه. وبطآن أي ما أبطأه والتعجب هو التأكيد المذكور"[١٤].

اقسامها

يقسم النحاة اسماء الافعال الى مرتجلة ومنقولة.

فالمرتجلة ما وضع من اول الامر كذلك نحو (صه ومه ووي وزه وحي)

والمنقولة مانقل عن ظرف أو جار ومجرور أو مصدر نحو (مكانك) بمعنى اثبت، و (اليك) بمعنى ابتعد، و (رويدك) بمعنى أمهل[١٥].

---

(١٣) شرح ابن يعيش ٤/٢٥.

(١٤) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٧٦، ٨٢، ٨٣، وانظر الصحاح للجوهري ١ / ٣٦ - ٣٧ (بطأ).

(١٥) انظر التصريح ٢ / ١٩٧.

واسماء الافعال على اقسام منها ماهو أصوات تشير الى احداث وذلك نحو (صه ومه واف [16] ووى وآه وايه وبس). فهذه في الحقيقة اصوات تشير الى احداث معينة فالمتكلم بصدر هذه الاصوات يرمز بها الى حدث متعارف عليه.

ومنها ماهو ظرف وجار ومجرور كان في الاصل يستعمل مع متعلق أو جزء من جملة وبكثرة الاستعمال حذف متعلقه او الجزء الآخر وأصبح الاكتفاء به يدل على معنى معين وذلك المعنى هو معنى الفعل.

جاء في (شرح الرضي على الكافية): "واما الظروف والجار فلأن نحو امامك ودونك زيدا بنصب زيدا كان في الاصل: امامك زيد ودونك زيد فخذه فقد امكنك، فاختصر هذا الكلام الطويل لغرض حصول الفراغ منه بالسرعة ليبادر المأمور الى الامتثال قبل أن يتباعد عنه.

وكذا كان اصل (عليك زيدا) وجب عليك اخذ زيد، واليك عني أي ضم رحالك وثقلك اليك واذهب عني، ووراءك أي تأخر وراءك فجرى في كلها الاختصار لغرض التأكيد" [17].

ومنها ماله مادة لغوية معلومة سواء كانت مصدرا أم غيره. فالمصدر نحو (رويد) تصغير (إرواد) تصغير ترخيم ومعناه الامهال، ونحو (حذرك) بمعنى احذر و (بله) بمعنى دع، و (النجاءك) بمعنى انج، و (فرطك) بمعنى تقدم.

وغير المصادر نحو (بطآن) من البطء و (سرعان) من السرعة و (شتان) من الشتّ وهو التفرق والتباعد.

وقسم منها مختلف في اصله ومادته أو مجهول وذلك نحو (هيت وهلم وآمين وهيهات) [18]، وأياً كان الاصل فهي تؤدي معاني معلومة

---

(16) جاء في (مفردات الراغب الاصفهاني) ص 19 أن "اصل الأف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراها. ويقال ذلك لكل مستخف استقذاراً له نحو (افٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله). وقد أففت لكذا اذا قلت ذلك استقذاراً له ومنه قيل للضجر من استقذار شيء أفف فلان".
(17) شرح الرضي 2 / 76.
(18) جاء في رسالة (اسماء الافعال والاصوات – دراسة ونقد) لعبد الهادي الفضلي ان اصل (آمين)، (هيت) سريانية وعبرانية، و (هيت) قبطية ص 198.

فَعالِ

يصاغ من الفعل الثلاثي على وزن (فَعالِ) بفتح الفاء وكسر اللام قياسا عند بعضهم وسماعا عند بعضهم[١٩] لقصد الامر نحو (سَماعِ) بمعنى اسمع و (كَتابِ) بمعنى اكتب و (حَفاظِ) بمعنى احفظ و (حذار) بمعنى احذر.

وهذه الصيغة يراد بها التوكيد والمبالغة[٢٠] فـ (سماع) آكد من اسمع و (حذار) آكد وابلغ في الامر من احذر. يدلك على ذلك أن هذه الصيغة تدل على المبالغة عموما في اسم الفعل او في غيره نحو (ياخَباثِ) و (يافَساقِ) ونحو (حَلاقِ) للمنية و (أَزامِ) للسنة و (صَرامِ) للحرب وغيرها.

والخلاف في هذه الصيغة في كونها فعلا أو اسما هو الخلاف في عموم اسماء الافعال، وعلى اية حال فدلالتها معلومة سواء قلنا هي اسم أم فعل.

وعلى هذا يكون للامر أربع صيغ :

١ - فعل الامر نحو اذهب وقم.

٢ - الفعل المضارع المتصل بلام الامر نحو ليقم وليذهب.

٣ - اسماء الافعال سواء ما كان منها قياسيا وهو ما كان على وزن (فعال) بفتح الفاء وكسر اللام، أم ما كان مسموعا نحو صه ومه وحيّ وهي كلها تفيد المبالغة والتأكيد[٢١].

٤ - المصدر النائب عن فعل الامر نحو صبرا واقداما وهو يفيد المبالغة ايضا.

وقد يفيد الخبر الدلالة على الامر كما مر في قوله تعالى ﴿والوالدات يرضعن اولادهن - البقرة ٢٢٣﴾ أي ليرضعن اولادهن.

---

(١٩) انظر شرح الرضي على الكافية ٢/ ٨٥، التصريح ٢/ ١٩٦.

(٢٠) انظر شرح الرضي على الكافية ٢/ ٨٥، شرح ابن يعيش ٤/ ٥٠، المخصص ١٧/ ٦٥- ٦٦.

(٢١) انظر بحث (اسم الفعل- دراسة وطريقة تيسير) للدكتور سلم النعيمي، مجلة المجمع العلمي العراقي ٨٩.

اسماء الاصوات

اسماء الاصوات هي كل لفظ حُكي به صوت أو صُوِّت به للبهائم ولما لايعقل عموما ، فالاول نحو (قب) حكاية وقع السيف و (طق) لوقع الحجارة ، والثاني ك (عدس) لزجر البغل و (هيد) لزجر الابل[1] .
وهي كما نرى ممّا مرّ على قسمين :

الاول : حكاية صوت صادر عن الحيوانات او عن الانسان أو عن الجمادات وشرطها ان تكون مشابهة للمحكي فمن ذلك (غاق) حكاية صوت الغراب و (ماء) صوت الظبية اذا دعت ولدها و (طيخ) حكاية صوت الضاحك و (عيط) حكاية صوت الفتيان اذا تصايحوا في اللعب ، و (طق) حكاية صوت وقع الحجارة بعضها على بعض و (قب) لوقع السيف و (قاش ماش) للقماش كأنه سمي باسم صوته[2] ، ونحوه (طب) حكاية لوقع الكرة على الارض و (دُم) حكاية صوت الطبل و (قيق) حكاية صوت الدجاجة .

الثاني : اصوات يصوّت بها للحيوانات عند طلب شيء منها اما المجيء واما الزجر نحو (عاه) و (هاب) لزجر الابل و (عوه) و (عه) للضأن والجحش . أو لامر آخر كالشرب والتسكين والامر بالسير وذلك ك (سأ) للشرب و (هدع) للتسكين[3] . وعندنا في عامية اهل العراق (هوش) لتسكين الحمار و (ده) لامره بالسير .

وأصلها "ان الشخص كان يقصد انقياد بعض الحيوانات لشيء من هذه الافعال فيصوت لها اما بصوت غير مركب من الحروف كالصفير للدابة عند ايرادها الماء وغير ذلك ، واما بصوت معيّن مركّب من حروف معينة لامعنى تحته ثم يحرضه مقارنا لذلك التصويت على ذلك الامر. اما بضربه وتأديبه واما بايناسه واطعامه . . .

(١) انظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٨٩ ، شرح الالفية لابن الناظم ٢٥١ .
(٢) انظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٨٩ ، ٩١ ، شرح الالفية لابن الناظم ٢٥١ ، كتاب سيبويه ٢ / ٦٣ .
(٣) انظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٨٩ ، ٩٢ ، شرح ابن الناظم ٢٥١ .

فلما كان الافعال المطلوبة من الحيوانات مختلفة أرادوا اختلاف العلامات الدالة عليها[٤]".

وذكر الرضي من اسماء الاصوات قسما ثالثا وهي الاصوات الخارجة عن فم الانسان "غير موضوعة وضعا بل دالة طبعا على معان في انفسهم كـ (أُف) و (تف) فان المتكره لشيء يخرج من صدره صوتا شبيها بلفظ (اف) ومن يبزق مستكره يصدر منه صوت شبيه بـ (تف).

وكذلك (آه) للمتوجع أو المتعجب فهذه وشبهها اصوات صادرة منهم طبعا كـ (اح) لذي السعال الا انهم لما ضمنوها كلامهم لاحتياجهم اليها نسقوها نسق كلامهم وحركوها تحريكه وجعلوها لغات مختلفة كما مرّ من لغات (أُف) و (اوه)"[٥].

التنوين الداخل عليها:

ذهب الجمهور الى أن التنوين الداخل عليها تنوين تنكير فما نوّن منها نكرة وما لم ينوّن معرفة.

جاء في (الكتاب): "وزعم الخليل ان الذين يقولون غاقٍ غاقٍ وعاءٍ وحاءٍ فلا ينونون فيها ولا في اشباهها انها معرفة وكأنك قلت في عاءٍ وحاءِ الاتباع وكأنه قال الغراب هذا النحو، وان الذين قالوا عاءٍ وحاءٍ جعلوها نكرة"[٦].

وجاء في (شرح ابن يعيش): "وكذلك اذا قلت في حكاية صوت الغراب (غاق غاق) اذا نونت كان نكرة ومعناه بعداً بعداً أو فراقا فراقا لأن صوت الغراب يؤذن بالفراق عندهم، ولذلك سموه غراب البين. وكأنهم فهموا ذلك من لفظه اذ كان الغراب من الغربة والاغتراب، واذ اريد به المعرفة ترك منه التنوين نحو غاق غاق"[٧].

---

(٤) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٨٩- ٩٠.

(٥) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٨٩.

(٦) كتاب سيبويه ٢/ ٥٣، وانظر المقتضب ٣/ ١٨٠.

وقال الرضي ان التنوين الداخل عليها تنوين الحاق ومقابلة . قال في شرحه على الكافية : "والتنوين فيما دخله تنوين الحاق ومقابلة كما قيل في تنوين (مسلمات) وليس ماقاله بعضهم من أن تنوين غاق للتنكير بشيء اذ لامعنى للتعريف والتنكير فيه" [٨].

ولعل التنوين الداخل عليها للوصل فاذا وقف قطع نحو قولك غاقٍ غاق وعاءٍ حاء والله اعلم .

(٨) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٩٠ .



الاساليب

الشرط

معنى الشرط أن يقع الشيء لوقوع غيره[1] أي ان يتوقف الثاني على الاول[2] . فاذا وقع الاول وقع الثاني وذلك نحو (ان زرتني اكرمتك) فالاكرام متوقف على الزيارة ، ونحو قوله تعالى : ﴿فان قاتلوكم فاقتلوهم – البقرة ١٩١﴾ وقوله : ﴿فان أُحصرتم فما استيسر من الهدي – البقرة ١٩٦﴾ وقوله : ﴿فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره – البقرة ٢٣٠﴾ وقوله : ﴿وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة – البقرة ٢٨﴾ .

هذا هو الاصل وقد يخرج الشرط عن ذلك فلا يكون الثاني مسببا عن الاول ولا متوقفا عليه ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث – الاعراف ١٧٦﴾ فلهث الكلب ليس متوقفا على الحمل عليه او تركه فهو يلهث على كل حال ، وانما ذكر صفته فقط . ونحو قوله : ﴿فان تولوا فان الله لايحب الكافرين – آل عمران ٣٢﴾ ، والله لايحب الكافرين سواء تولوا أم آمنوا فليس الثاني مشروطا بالاول ولا مسببا عنه . ونحو قوله تعالى ﴿فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا – النساء ١٩﴾ وقوله ﴿قل ياايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله – يونس ١٠٤﴾ فهو لايعبد غير الله سواء شكّوا أم آمنوا ، وقوله ﴿ان تحرص على هداهم فان الله لايهدي من يضل – النحل ٣٧﴾ ، وقوله ﴿ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم – فاطر ١٤﴾ فهم لايسمعون الدعاء سواء دعوهم ام لم يدعوهم ، وقوله ﴿فان يصبروا فالنار مثوىً لهم وان يستعتبوا فما هم من المُعتَبين – فصلت ٢٤﴾ والنار مثواهم صبروا ام لم يصبروا ، وقوله : ﴿قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك – البقرة ٩٧﴾ وهو قد أنزله على قلبه سواء عادوه أم والوه . وقوله : ﴿وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما – النساء ١٢٧﴾ وهو عليم بالافعال فعلوا خيراً أو شرا .

---

(١) المقتضب ٢ / ٤٦ .

(٢) البرهان ٢ / ٣٥٤ .

فليس الشرط على هذا من باب السبب والمسبب دوما وانما الاصل فيه ان يكون ذلك .

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "قد لايكون مضمون الشرط والجزاء متعقبا لمضمون الشرط بل يكون مقارنا له في الزمان نحو (ان كان هناك نار كان احتراق) و (ان كان احتراق فهناك نار) و (ان كان الانسان ناطقا فالحمار ناهق) لكن التعقب المذكور هو الاغلب"[3] .

وجاء في (حاشية الصبان) : "الجزاء قسمان :

احدهما أن يكون مضمونه مسببا عن مضمون الشرط نحو (ان جئتني اكرمتك) .

والثاني : ان لايكون مضمون الجزاء مسبباً عن مضمون الشرط وانما يكون الإخبار به مسبباً نحو (ان تكرمني فقد أكرمتك أمس) والمعنى ان اعتددت عليَّ بإكرامك إيَّايَ فأنا أيضاً أعتد عليك بإكرامي إيَّاك"[4] .

وجاء في (البرهان) : "وقال صاحب المستوفي : اعلم ان المجازاة لايجب فيها أن يكون الجزاء موقوفا على الشرط ابدا ، ولا أن يكون الشرط موقوفا على الجزاء ابدا بحيث يمكن وجوده ، ولا ان تكون نسبة الشرط دائما الى الجزاء نسبة السبب الى المسبب ، بل الواجب فيها أن يكون الشرط بحيث اذا فرض حاصلا لزم مع حصوله حصول الجزاء سواء كان الجزاء قد يقع لا من جهة وقوع الشرط كقول الطبيب (من استحم بالماء البارد احتقنت الحرارة باطن جسده) لان احتقان الحرارة قد يكون لا عن ذلك ، أو لم يكن كذلك كقولك : (ان كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا) .

وسواء كان الشرط ممكنا في نفسه كالامثلة السابقة أو مستحيلا كما في قوله تعالى : ﴿قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين﴾[5] .

---

(٣) شرح الرضي على الكافية ١/ ٢٧٢ .

(٤) حاشية الصبان ٤/ ٢٢ .

(٥) الزخرف ٨١ .

وسواء كان الشرط سببا في الجزاء ووصلته اليه كقوله تعالى : ﴿وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم﴾[٦] ، أوكان الأمر بالعكس كقوله تعالى : ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾[٧] ، أو كان لا هذا ولا ذاك فلا يقع إلاّ بمجرد الدلالة على اقتران احدهما بالآخر كقوله تعالى : ﴿وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذن ابدا﴾[٨] اذ لايجوز أن تكون الدعوة سببا للضلال ومفضية اليه ولا أن يكون الضلال مفضيا الى الدعوة"[٩] .

فاتضح بهذا أن الشرط والجواب ليسا دائما بمنزلة السبب والمسبب ولا ارتباطها بهذه المنزلة دوما .

فعل الشرط

يقع فعل الشرط ماضيا ومضارعا نحو قوله تعالى : ﴿ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد – ابراهيم ١٩﴾ ، وقوله : ﴿وان عدتم عدنا – الاسراء ٨﴾ .

قالوا والماضي يفيد الاستقبال في الشرط نحو قوله تعالى : ﴿فان قاتلوكم فاقتلوهم – البقرة ١٩١﴾ ونحو : (ان زرتني اكرمتك) والمقصود ان تزرني .

ومن المعلوم ان الفعل الماضي يخرج الى الاستقبال في غير باب الشرط كما اسلفنا في باب الفعل كما يخرج المضارع الى المضي ، فانه قد يؤتى بالماضي مرادا به الاستقبال وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الارض الاّ من شاء الله – الزمر ٦٨﴾ وقوله ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنّة زمرا – الزمر ٧٣﴾ .

وقد يؤتى بالفعل المضارع مرادا به المضي نحو قوله : ﴿والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت – فاطر ٩﴾ وقوله : ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمٰن – البقرة ١٠٢﴾ أي ماتلت .

---

(٦) محمد ٣٦ .

(٧) النساء ٧٩ .

(٨) الكهف ٥٧ .

(٩) البرهان ٢ / ٣٥٥ – ٣٥٦ .

ومن المعلوم ان الفعل المضارع المسبوق بـ (لم) و (لما) يفيد المضي، فخروج الفعل من باب الى باب آخر غير منكور في اللغة.

وهو في الشرط كذلك فان الماضي في الشرط يفيد الاستقبال كثيرا.

واستعمال الفعل الماضي في الشرط للدلالة على المستقبل ليس مختصا بالعربية وحدها بل هو كثير في اللغات السامية ايضا كالاكدية والعبرية والحبشية. واكثر اللغات السامية تستعمل الماضي في الشرط والحاضر او المستقبل في الجزاء[10] غير ان العربية تستعمل الماضي والمضارع للشرط والجواب.

وقد ذهب النحاة الى ان القصد من مجيء الشرط ماضيا وان كان معناه الاستقبال هو انزال غير المتيقن منزلة المتيقن وغير الواقع منزلة الواقع وهذا ما فسروا به التعبير عن الاحداث المستقبلة بافعال ماضية في غير الشرط ايضا نحو قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور﴾ وقوله: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا - الكهف ٤٧﴾. قالوا جيء بهذه الافعال على صيغة الماضي وان كانت مستقبلة للدلالة على انها متيقنة الحصول وانها بمنزلة الفعل الماضي في التحقق.

فهو تفسير عام للتعبير عن الاحداث المستقبلة بافعال ماضية.

جاء في (الخصائص): "وكذلك قولهم (إن قمت قمت) فيجيء بلفظ الماضي والمعنى معنى المضارع وذلك انه اراد الاحتياط للمعنى فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه حتى كأن هذا قد وقع واستقر لا انه متوقع مترقب. وهذا تفسير ابي علي عن ابي بكر وما احسنه"[11].

قالوا وقد يكون ذلك لاسباب أخرى كالتفاؤل أو "لاظهار الرغبة في وقوعه نحو (ان ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام) فان الطالب اذا تبالغت رغبته في حصول أمر يكثر تصوره اياه فربما يخيل اليه حاصلا"[12].

---

(١٠) انظر التطور النحوي ١٣٣.

(١١) الخصائص ٣/ ١٠٥ وانظر شرح الرضي على الكافية ٢/ ٢٩٣.

(١٢) الايضاح للقزويني ٩٣ وانظر البرهان ٢/ ٣٥٨، مختصر المعاني للتفتازاني ٦٣.

اويكون للتعريض "بأن يخاطب واحدا ومراده غيره كقوله تعالى: ﴿لئن اشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر ٦٥]"(١٣).

وذهب الدكتور مصطفى جواد الى ان الفعل اذا كثر عبّر عنه بالمضي بخلاف مالم يكثر، قال: "ان الفعل المعبّر عنه بلفظ الشرط اذا كثر حدوثه استعمل الماضي واذا قلّ حدوثه استعمل المضارع، فالماضي أولى بالكثير لانه كالحادث، والمضارع أولى بالقليل لانه لم يحدث. فهما متشابهان. تقول (من صبر ظفر) و (من سار وصل)، و (من جدّ وجد) و (من يكذب منكم يعاقب) و (من يفعل كذا وكذا اكافئه مكافأة حسنة) و (من يخالف منهم يطرد) و (ان تكن وزيرا تكن كبيرا) ورغبة القائل كالكثرة"(١٤).

ويبدو ان استعمال الشرط بصيغة الماضي أو المضارع قد يكون لغير ذلك.

١ – فان التعبير بالفعل الماضي قد يفيد افتراض حصول الحدث مرة في حين أن المضارع قد يفيد افتراض تكرر الحدث وتجدده. قال تعالى: ﴿ان تُبدوا الصدقات فنعمّا هي وإن تُخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم – البقرة ٢٧١﴾. فجاء بالفعل المضارع وذلك لان هذه الاحداث تتكرر وتتجدد.

وقال: ﴿فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليها أن يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله – البقرة ٢٣٠﴾.

فجاء بالفعل الماضي وذلك لان الطلاق لايتكرر تكرر الصدقات. وقال: ﴿لاجناح عليكم ان طلقتم النساء – البقرة ٢٣٦﴾.

وقال: ﴿وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن – البقرة ٢٣٧﴾ لما ذكرت.

وقال تعالى: ﴿ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد – لقمان ١٢﴾ فجاء بـ (يشكر) بصيغة المضارع و (كفر) بصيغة المضي، وذلك لان الشكر يتجدد ويكثر وليس كذلك الكفر، فان الكفر يحصل ابتداء ويبقى صاحبه عليه الا اذا شاء الله. فالشكر عمل يومي متجدد بخلاف الكفر الذي هو الاعتقاد.

---

(١٣) البرهان ٢ / ٣٥٨ وانظر الايضاح ٩٣.

(١٤) المباحث اللغوية في العراق ٤٨.

جاء في (تفسير الرازي) في هذه الآية : "قال في الشكر (ومن يشكر) بصيغة المستقبل وفي الكفران (ومن كفر فان الله غني)، وان كان الشرط يجعل الماضي والمستقبل في معنى واحد كقول القائل : من دخل داري فهو حر، ومن يدخل داري فهو حر. فنقول فيه اشارة الى معنى وارشاد الى امر وهو ان الشكر ينبغي أن يتكرر في كل وقت لتكرر النعمة، فمن شكر ينبغي أن يكرر، والكفر ينبغي أن ينقطع. فمن كفر ينبغي ان يترك الكفران، ولان الشكر من الشاكر لايقع بكماله. بل ابدا يكون منه شيء في العدم يريد الشاكر ادخاله في الوجود كما قال : ﴿رب اوزعني أن اشكر نعمتك﴾ [15] وكما قال : ﴿وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾ [16] فاشار اليه بصيغة المستقبل تنبيها على ان الشكر بكماله لايوجد. واما الكفران فكل جزء يقع منه تام فقال بصيغة الماضي [17].

وقال تعالى : ﴿وما انفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه - البقرة ٢٧٠﴾.

وقال : ﴿وما تنفقوا من خير فلأنفسكم البقرة ٢٧٢﴾.

وقال : ﴿وما تنفقوا من خير يوفّ اليكم وانتم لاتُظلمون البقرة ٢٧٢﴾.

وقال : ﴿وما تنفقوا من خير فان الله به عليم - البقرة ٢٧٣﴾.

فانه جاء في الآية الاولى بالفعل الماضي (وما انفقتم ...)

والآيات الاخرى بالمضارع وذلك لان الآية الاولى اخبار بأن مافعلته أو نذرته فقد علمه الله، أي ماحصل منك فقد علمه الله.

اما الآيات الاخرى، فتفيد الاستمرار والتكرار يدلك على ذلك انه عطف النذر على النفقة في الآية الاولى وهو لايتكرر تكرر النفقات.

وقال : ﴿بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون البقرة ١١٢﴾.

وقال : ﴿فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشدا - الجن ١٤﴾.

---

(١٥) النمل ١٩.

(١٦) النحل ١٨.

(١٧) التفسير الكبير ٢٥ / ١٤٥.

وقال : ﴿ومن يُسلمْ وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى - لقمان ٢٢﴾ .

فقد جاء في الآيتين الاوليين بالفعل الماضي (اسلم) والاخيرة بالمضارع (يسلم) وذلك لان (اسلم) في الآيتين الاوليين معناه الدخول في الاسلام يدلك على ذلك في الآية الاولى موازنته باليهودية والنصرانية . قال تعالى قبل هذه الآية : ﴿وقالوا لن يدخل الجنة الاّ من كان هودا أو نصارى تلك امانيهم - البقرة ١١١﴾ فردّ عليهم الله بقوله (بلى من اسلم وجهه لله ...) أي بلى يدخل الجنة المسلم ، وكذلك الآية الثانية .

في حين ان قوله ﴿ومن يسلم وجهه الى الله ...﴾ معناه الخضوع والانقياد لله وهو عمل يومي يفيد الاستمرار والتجدد بخلاف الآيتين الاوليين اللتين معناهما الدخول في الاسلام .

وقال تعالى : ﴿ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة — النساء ٩٢﴾ وقال : ﴿ومن يقتلْ مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها — النساء ٩٣﴾ .

فجاء في القتل الخطأ بالفعل الماضي لانه خطأ لا يتكرر وهو قليل بخلاف القتل العمد وهو الاصرار على قتل المؤمن . فقد جاء به بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار والتجدد لانه يتكرر وقوعه .

وقال تعالى : ﴿ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً — الاسراء ١٩﴾ .

وقال : ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها — آل عمران ١٤٥﴾ .

وذلك لان ارادة الآخرة أمر واحد فجاء بالفعل الماضي بخلاف (ارادة الثواب) ، فأن ارادة الثواب تتجدد لان الثواب يتجدد بخلاف الآخرة فانها واحدة ، وهذا السر في انه قال (ومن اراد الآخرة) بالفعل الماضي لكنه قال (ومن يرد ثواب الآخرة) بالمضارع .

وكذلك بالنسبة الى الدنيا . فارادة الثواب مستمرة متجددة فكل عمل له ثواب .

وقال : ﴿فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين — التوبة ١١﴾ .

وقال فيمن يفعل الزنى : ﴿فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما — النساء١٦﴾ .

فجاء بالآيتين بالفعل الماضي لان المقصود بالتوبة هي التوبة العامة فالتوبة الاولى معناها الدخول في الاسلام والثانية معناها الانخلاع عن الفاحشة .

في حين قال : ﴿إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما — التحريم ٤﴾ ، والكلام موجّه الى زوجي النبي (ﷺ) والمقصود بالتوبة هنا التوبة الجزئية العارضة التي يتكرر امثالها من الوقوع في اللمم والصغائر.

وقال : ﴿وان تعودوا نعد — الانفال ١٩﴾ .

وقال : ﴿وان عدتم عدنا — الاسراء ٨﴾ .

فجاء في الآية الاولى بالمضارع (تعودوا) وفي الآية الثانية بالماضي (عدتم) وذلك ان الآية الاولى نزلت بعد معركة بدر في كفار قريش وهو تهديد للمشركين واشعار للمؤمنين بأن المشركين سيكررون العودة الى القتال وهو ما حصل ، واخبرهم بأن الله سيعود الى نصر المؤمنين ومحق باطل الكافرين

واما الآية الثانية ففي بني اسرائيل وقد ذكر انهم يفسدون في الارض مرتين فأخبر بأن لهم عودة بعد تلك المرة .

فجاء بالمضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد بخلاف الثانية .

وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين. فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لاتَظلمون ولاتُظلَمون — البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩﴾ .

فجاء بالشرط ماضياً (فان لم تفعلوا) و (ان تبتم) وذلك لانه خروج عن الربا والخروج عنه يكون دفعة واحدة في حين قال :

﴿إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً اليما ويستبدل قوماً غيركم — التوبة ٣٩﴾ فجاء الشرط مضارعا (الاّ تنفروا) وذلك لانه في الجهاد وهو ماض الى يوم القيامة يتكرر

حصوله ، فجاء في الربا بالفعل الماضي (فان لم تفعلوا) وذلك لان لم والمضارع يفيدان المضي ، وجاء في الجهاد بالفعل المضارع.

ونحوه قوله تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الاّ اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب اليم — المائدة ٧٣﴾ .

وذلك لان الانتهاء هنا دفعة واحدة لكنه قال في الجهاد والتناصر بين المؤمنين ﴿إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير — الانفال ٧٣﴾ .

فلما كان التناصر مستمراً متجدداً جعله بصيغة المضارع بخلاف ما قبله .

وقال : ﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فانّ الله بما يعملون بصير — الانفال ٣٩﴾ .

وقال : ﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلاّ على الظالمين — البقرة ١٩٣﴾ .

فجاء بالفعل الماضي في الآيتين (فان انتهوا) وذلك لان القصد هنا الانتهاء الكامل عن الحرب والدخول في الاسلام بدليل قوله (حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وذلك يكون بالانتهاء الكامل والكف التام عن القتال . لكنه قال ﴿ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد — الانفال ١٩﴾ .

فقال (ان تنتهوا) بخلاف الآيتين السابقتين وذلك لان الانتهاء هنا ليس انتهاء تاما بل قد تتكرر الحروب بينها بعد . كما حصل فعلا . فجاء بالمضارع للدلالة على التجدد . وهذه الآية نزلت بعد وقعة بدر .

وقال : ﴿ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني — الكهف ٧٦﴾ لانه سيحصل الفراق بعد سؤال واحد .

وقال : ﴿ان يسألكموها فيُحفكم تبخلوا ويُخرجْ اضغانكم — محمد ٣٧﴾ وهذا في سؤال الاموال وهو يتجدد بتجددها فجاء في المتجدد بالفعل المضارع وفي غيره بالفعل الماضي والله اعلم .

٢ — وقد يؤتى بالفعل الماضي مع الشرط للدلالة على وقوع الحدث جملة واحدة وان كان مستقبلا ، ويؤتى بالمضارع لما كان يتقضّى ويتصرم شيئا فشيئا ، أي مستمرا

وذلك نحو قوله تعالى : ﴿فان أُحصرتم فما استيسر من الهدي — البقرة ١٩٦﴾ أي اذا حصل هذا ولذا عبّر عنه بالماضي ، بخلاف قوله تعالى : ﴿ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم — البقرة ٢٢٠﴾ وذلك ان المخالطة مستمرة متطاولة ليست كالاحصار فعبّر عنها بالمضارع.

ونحو قوله تعالى : ﴿ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا — البقرة ٢٨٦﴾ أي لاتؤاخذنا اذا حصل منا نسيان أو خطأ أي وقع.

وقوله : ﴿فان خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا امنتم — البقرة ٢٣٩﴾ فان معناه اذا وقع الخوف او اذا حصل الامن بخلاف قوله تعالى : ﴿وامّا تخافَنّ من قوم خيانة — الانفال ٥٨﴾ فان فيه معنى الاستمرار والتحسّب بخلاف ما قبلها. ونحو قوله تعالى : ﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال — الكهف ١٧﴾.

فالطلوع والغروب يقعان جملة واحدة فعبر عنها بالماضي بخلاف قوله تعالى : ﴿والليل اذا يسر — الفجر ٤﴾ فانه يفيد الاستمرار والتطاول.

ونحو قوله تعالى : ﴿ولايسمع الصم الدعاء إذا ماينذرون — الانبياء ٤٥﴾ أي وان تطاول عليهم الانذار وتكرر واستمر، بخلاف قوله تعالى : ﴿ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين — النمل ٨٠﴾ أي اذا ادبروا عنك.

وقال : ﴿وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها — النحل ١٨﴾ ولايحسن في هذا (ان عددتم) وذلك لان هذا الفعل لايفرغ منه لان نعم الله كثيرة فجاء فيه بالفعل المضارع لانه متطاول.

وقال : ﴿والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله — آل عمران ١٣٦﴾ اي اذا صدر منهم هذا الامر. ولا يحسن (اذايفعلون فاحشة) لان فيه معنى الاستمرار وعدم الانتهاء بعد من الفاحشة فيكون المعنى انهم يذكرون الله حين يفعلون ذلك.

فإذا أردت انقضاء الحدث وتمامه جئت بالفعل الماضي وان كان الحدث مستقبلا وان لم تقصد ذلك جئت بالمضارع.

٣- ويكثر التعبير بالفعل الماضي عن الحكم الثابت القائم على المشاهدة والتجربة الماضية وهو ما يكون في الحِكَم ونحوها نحو (من تهور ندم ومن حذر سلم) ونحو (من صبر ظفر) و (من رام العلا سهر الليالي) و (من خاف ادلج) بخلاف مالم يكن كذلك نحو (من يعمل يأكل) فهذه قاعدة تضعها للمستقبل، فلا يحسن فيها (من عمل أكل).

ويمكن رجع هذه الى النقطة السابقة.

٤- وقد يؤتى بالشرط ماضيا للدلالة على الزمن الماضي نحو (ان كنت ضربته فأخبرني) و (ان كنت عصيت ربك فتب) و (ان كنت رأيته قبل هذه المرة فلا شك في انك ستعرفه الآن). وهو امر ينكره جمهور النحاة.

هل يأتي الشرط للمضي:

ذهب النحاة الى أن الشرط يفيد الاستقبال وان كان فعله ماضيا. فان هذه الادوات تقلب الماضي الى الاستقبال[١٨]، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فان قاتلوكم فاقتلوهم — البقرة ١٩١﴾ وقوله: ﴿أفإن مات أو قُتل انقلبتم على اعقابكم — آل عمران ١٤٤﴾ ولا يفيد الشرط المضي، وما ورد من ذلك مؤول.

والصواب ان الشرط قد يأتي للمضي، يدل على ذلك الاستعمال الفصيح بما لايقبل التأويل.

فقد يأتي الشرط للدلالة على المضي وذلك اذا كان بلفظ (كان) بعدها فعل ماض نحو قوله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله؟ قال سبحانك مايكون لي أن اقول ما ليس لي بحق، ان كنت قلته فقد علمته — المائدة ١١٦﴾.

---

(١٨) انظر التصريح ٢/٢٤٩، حاشية الخضري ٢/١٢٢، حاشية الصبان ٤/١٦.

والمعنى انك تعلم ذلك اذا كان قد صدر مني. والنحاة يؤولون ذلك على انه : ان ثبت اني كنت قلته أو إن يثبت في المستقبل أني كنت قلته في الماضي فأنا اعلم انك علمته [١٩].

وهو تأول بعيد فكيف يقول لربه ان يثبت في المستقبل وهو في خطاب الله عزّ وجل، وهل الله جاهل ذلك وقت الخطاب حتى يثبت له في المستقبل؟

وكذلك قوله تعالى : ﴿ان كان قميصه قُدّ من دبر فكذبت — يوسف ٢٧﴾ والنحاة يتأولون ذلك كما اسلفنا.

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "ثم اعلم ان (ان) يكون شرطها في الاغلب مستقبل المعنى فان اردت معنى الماضي جعلت الشرط لفظ (كان) كقوله تعالى : ﴿ان كنت قلته﴾ و ﴿وان كان قميصه﴾ . . .

ثم ان (كان) اذا كان شرطا قد يكون بمعنى فرض الوقوع في الماضي نحو ﴿ان كنت قلته﴾ ﴿وان كان قميصه﴾ وقد يكون متحقق الوقوع فيه نحو: زيد وان كان غنيا الآ انه بخيل [٢٠]".

وجاء في (بدائع الفوائد) : "قال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام (ان كنت قلته فقد علمته) فهذا شرط دخل على ماضي اللفظ وهو ماضي المعنى قطعا لان المسيح اما أن يكون صدر هذا الكلام منه بعد رفعه الى السماء أو يكون حكاية ما يقوله يوم القيامة، وعلى التقديرين فانما تعلّق الشرط وجزاؤه بالماضي . . .

وليت شعري ما يصنعون بقول النبي (ﷺ) : (ان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه) هل يقول عاقل ان الشرط هنا مستقبل؟ . . . .

وانه لم يقصد انه إن يثبت في المستقبل أنك اذنبت في الماضي فتوبي ولا قصد هذا المعنى وانما المقصود المراد مادل عليه الكلام : ان كان صدر منك ذنب فيما مضى فاستقبليه بالتوبة [٢١]".

---

(١٩) انظر التصريح ٢ / ٢٤٩، حاشية الخضري ٢ / ١٢٢، حاشية الصبان ٤ / ١٦.
(٢٠) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٩٣ وانظر الكليات ٧٨.
(٢١) بدائع الفوائد ١ / ٤٥.

وهذا هو الحق. قال تعالى: ﴿وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض أو سلّما في السماء فتأتيهم بآية — الانعام ٣٥﴾.

فهل المعنى: ان يثبت انه كبر عليك اعراضهم؟

ونحوه قوله: ﴿ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت — يونس ٧١﴾.

فهل المعنى: ان يثبت في المستقبل انه كان كبر عليكم مقامي؟

ونحوه قوله: ﴿وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا — الأعراف ٨٧﴾.

ونحوه ان تقول لصاحبك: (ان كنت عاهدته على ذلك فافعل). وليس المقصود ان يثبت انك عاهدته فافعل بل هو ماضي المعنى قطعا.

وربما دل الشرط على المضي بغير (كان).

جاء في (شرح الرضي على الكافية): "وقد يستعمل الماضي في الشرط متحقق الوقوع وان كان بغير لفظ (كان) لكنه قليل بالنسبة الى (كان) كقوله:

أتغضب إن اذنا اذينة حُزّتا

ونحو قولك (أنت وان اعطيت مالا بخيل) و (أنت وان صرت اميرا لا أهابك)[22]".

وهذا هو الحق، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿قل ان افتريته فعليّ إجرامي — هود ٣٥﴾ وهو ماضي المعنى، وقال: ﴿قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا — الاحقاف ٨﴾. وقال: ﴿قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون — يس ١٩﴾. وهذا رد على اصحاب القرية (انا تطيرنا بكم) بعد أن ذكّروهم بالله. فهو ماضي المعنى.

وقال: ﴿حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ماتحبون — آل عمران ١٥٢﴾ وهذا في معركة أحد وهو ماضي المعنى.

---

(٢٢) شرح الرضي على الكافية ٢/٢٩٣.

وقال: ﴿ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ماأحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألاّ يجدوا ما ينفقون — التوبة ٩٢﴾. وهذه آية نزلت بعد وقع الحادثة.

وقال في فرعون: ﴿حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الاّ الذي آمنت به بنو اسرائيل — يونس ٩٠﴾.

وقال: ﴿حتى اذا ركبا في السفينة خرقها — الكهف ٧١﴾

وقال: ﴿حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة — الكهف ٨٦﴾.

وقال: ﴿حتى اذا أتوا على وادي النمل قالت نملة — النمل ١٨﴾،.

وقال: ﴿واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها — الجمعة ١١﴾. والآية نزلت بعد وقوع الحادثة.

وقد اخرج بعض النحاة (اذا) المسبوقة ب (حتى) من الشرطية[٢٣]، والصواب انها شرطية بدليل اقتران جوابها بالفاء. قال تعالى: ﴿حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق — محمد ٤﴾.

وقال: ﴿حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا — مريم ٧٥﴾.

وقال: ﴿حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم — النساء ٦﴾.

ومما يدل على المضي مع غير (إن) و (اذا) من ادوات الشرط قوله تعالى: ﴿وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله — آل عمران ١٦٦﴾.

وقوله تعالى: ﴿قل ما سألتكم من اجر فهو لكم — سبأ ٤٧﴾.

وقوله: ﴿ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار — ص ٦١﴾.

وقوله: ﴿ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله — الحشر ٥﴾.

بل قد يرد فعل الشرط دالا على المضي وان لم يكن فعلا ماضيا مع فعل الكون وغيره. فمن ذلك أن يرد خبر (يكون) فعلا ماضيا وذلك نحو قوله:

---

(٢٣) البرهان ٤/١٩٧.

فـان تـكـن الايـام أحـسـنّ مـرّة الـيّ فـقـد عـادت لهن ذنـوب

وقول الأبيرد بن المعذّر الرياحي يرثي أخاه بُريدا :

فـان تـكـن الايـام فرّقـن بـيـنـنـا فقد عذرتنا في صحابته العذر

وقول حريث بن سلمة :

ان تك درعي يوم صحراء كُلية أُصيبـت فـماذا كـم عـلـيّ بـعـار

وقول امرئ القيس :

وان تك قد ساءتك مني خليقة فسلّي ثيابي من ثيابك تنسل

فهذا كله يفيد المضي ولاشك.

ومن وردوه دالا على المضي مع غير فعل الكون قول عمارة بن عقيل :

فان تصبح الايام شيّبن مفرقي وأذهبن اشجاني وفلّلن من غربي
فيارُبّ يومٍ قد شربت بمشرب شفيت به غيم الصدى بارد عذب

وقول العتبي يرثي بنيه :

فـأن يـهـلـك بـنـيّ فـلـيـس شيء عـلى شيء مـن الـدنـيـا يـدوم

وقول ثابت بن قطنة يرثي يزيد بن المهلب :

ان يقتلوك فانّ قتلك لم يكن عـارا عـلـيـك وُربّ قـتـل عـار

وهذا كله يفيد المضي.

فهل هناك دليل أوضح من ذلك على أن الشرط قد يأتي للمضي بـ (كان) وبغيرها بلفظ الماضي وغيره؟

دلالته على الحال:

وقد يدل الشرط على الحال فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وان كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله - البقرة ٢٣﴾، وهذا افتراض لحالتهم آنذاك.

ونحو قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله - يونس ١٠٤﴾.

وقوله: ﴿يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب - الحج ٥﴾.

وقوله: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم - غافر ٢٨﴾.

وقوله: ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلّى أرأيت إن كان على الهدى - العلق ٩ - ١١﴾.

ومما يفيد الحال كثيرا اسلوب الالهاب والتهييج نحو قوله تعالى: ﴿قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين - البقرة ٩٣﴾.

وقوله: ﴿قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين - البقرة ١١١﴾.

وقوله: ﴿واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون - البقرة ١٧٢﴾.

وقوله: ﴿قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون - آل عمران ١١٨﴾.

معاني ادوات الشرط

إنْ

تستعمل (إنْ) في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والنادرة[1] والمستحيلة وسائر الافتراضات الاخرى، فهي لتعليق امر بغيره عموما.

فمن المعاني المحتملة الوقوع قوله تعالى: ﴿فان قاتلوكم فاقتلوهم – البقرة ١٩١﴾ وقوله: ﴿فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره – البقرة ٢٣٠﴾ وقوله: ﴿وان كنتم جُنُبا فاطّهّروا – المائدة ٦﴾.

ومن المعاني المشكوك في حصولها نحو قوله تعالى: ﴿ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني – الأعراف ١٤٣﴾.

ومن المعاني المفترضة التي لاوقوع لها في المشاهدة قوله: ﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة مَن الهٌ غير الله يأتيكم بضياء – القصص ٧١﴾، وقوله: ﴿وان يروا كِسْفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم – الطور ٤٤﴾.

ومن المعاني المستحيلة قوله: ﴿قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين – الزخرف ٨١﴾ وقوله: ﴿يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا – الرحمن ٣٣﴾، ونحو قولنا: (ان استطعت فاخرج من ملك الله).

جاء في (الكليات): "(ان) الشرطية تقتضي تعليق شيء ولاتستلزم تحقق وقوعه ولا امكانه بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا كما في قوله تعالى: ﴿قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ وعادة كما في قوله تعالى: ﴿فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض﴾ [الانعام ٣٥]"[2].

---

(١) انظر شرح ابن يعيش ٤/٩، الاتقان ١٤٩/١.

(٢) الكليات ٤٠٧.

وجاء في (شرح ابن يعيش) : "ولاتستعمل (إنْ) الاّ في المعاني المحتملة المشكوك في كونها ولذلك قبح (إن احمر البسر كان كذا) و (إن طلعت الشمس آتك) الاّ في اليوم المغيم"[3].

وربما ورد بعدها المتيقن قليلا وذلك نحو قوله تعالى ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا – البقرة ٢٣﴾ وقوله ﴿أفإن مات أو قُتل انقلبتم على اعقابكم – آل عمران ١٤٤﴾ وهو ميت لامحالة.

جاء في (شرح ابن يعيش) : "وتقول من ذلك : (ان مت فاقضوا ديني) وان كان موته كائنا لامحالة فهو من مواضع (اذا) الاّ ان زمانه لما لم يكن متعينا جاز استعمال (ان) فيه . قال الله تعالى : أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم"[4].

وجاء في (الطراز) في (إن) "لاتقع الاّ في المواضع المحتملة المشكوك فيها. قال الله تعالى : ﴿وان جنحوا للسلم فاجنح لها﴾[5] وقال تعالى : ﴿وان يكذبوك فقد كُذِّبت رسل من قبلك﴾[6]...

فان استعملت في مقام القطع فأما أن يكون على جهة التجاهل وانت قاطع بذلك الامر ولكنك تُري أنك جاهل به ، واما على أن المخاطب ليس قاطعا بالامر، وان كنت قاطعا به كقولك لمن يكذبك فيما تقوله وتخبر به : (ان صدقتُ فقل لي ماذا تفعل؟) واما لتنزيل المخاطب منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم وهذا كما يقول الاب لابن لايقوم بحقه : (ان كنت اباك فاحفظ لي صنيعي فيك)"[7].

وجاء في (مختصر المعاني) للتفتازاني : "وقد تستعمل (ان) في مقام الجزم بوقوع الشرط تجاهلاً كما اذا سئل العبد عن سيده هل هو في الدار، وهو يعلم أنه فيها فيقول : (ان كان فيها أخبرك) يتجاهل خوفا من السيد ، أو لعدم جزم المخاطب بوقوع

---

(٣) شرح ابن يعيش ٩/٤ وانظر شرح الرضي على الكافية ٢٨٢/٢ ، المقتضب ٥٦/٢

(٤) شرح ابن يعيش ٩/٤ .

(٥) الانفال ٦١ .

(٦) فاطر ٤ .

(٧) الطراز ٢٩٨/٣ – ٢٩٩ .

الشرط فيجري الكلام على سنن اعتقاده كقولك لمن يكذّبك (ان صدقتُ فماذا تفعل؟) مع علمك بانك صادق.

أو تنزيله ، أي لتنزيل المخاطب العالم بوقوع الشرط منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى العلم كقولك لمن يؤذي اباه : ان كان اباك فلا تؤذه.

أو التوبيخ... أو تغليب غير المتصف به أي بالشرط على المتصف به كما اذا كان القيام قطعي الحصول لزيد غير قطعي لعمرو فتقول : ان قمتما كان كذا"[٨] .

وجاء في (الايضاح) للقزويني : "ومجيء قوله تعالى ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ بـ (ان) يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على مايقلعها عن اصلها ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين منهم فانه كان فيهم من يعرف الحق وانما ينكر عنادا"[٩] .

اذا

الاصل في (اذا) ان تكون للمقطوع بحصوله وللكثير الوقوع . فمن المقطوع بحصوله قوله تعالى : ﴿كُتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت - البقرة ١٨٠﴾ فان كل واحد منا سيحضره الموت ، وقوله : ﴿فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه - آل عمران ٢٥﴾ وقوله : ﴿حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا - النساء ٦﴾ وقوله : ﴿واذا حللتم فاصطادوا - المائدة ٢﴾ فان المحرم لابد أن يتحلل ، وقوله : ﴿فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون - الاعراف ٣٤﴾ ، وقوله : ﴿فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين - التوبة ٥﴾ فانه لابد أن تنسلخ الاشهر الحرم ، وقوله : ﴿وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا - الاسراء ٤٩﴾ ، وقوله : ﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال - الكهف ١٧﴾ وقوله : ﴿واذا بلغ الاطفال منك الحُلُم فليستأذنوا - النور

---

(٨) مختصر المعاني ٦٠ - ٦١ .
(٩) الايضاح ٩١.

٥٩) وقوله : ﴿فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض–الجمعة ١٠﴾ فأن الصلاة لابد أن تنقضي.

واما مايقع كثيرا فنحو قوله تعالى : ﴿اذا تداينتم بدَين الى اجل مسمّى فاكتبوه–البقرة ٢٨٢﴾.

وقوله : ﴿واذا حُييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردوها–النساء ٨٦﴾

وقوله : ﴿واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا–الاعراف ٢٠٤﴾.

وقوله : ﴿واذا مسّ الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما–يونس ١٢﴾.

والنحاة يفرقون بين (ان) و (اذا) بما ذكرنا فيقولون : إن الاصل في (إنْ) أن تستعمل للمشكوك فيه و (اذا) للمقطوع بوجوده.

وذكر سيبويه أن (إذا) تجيْ وقتاً معلوماً. ألا ترى أنك لو قلت : آتيك إذا احمر البسر كان حسنا ولو قلت : (آتيك ان احمر البسر) كان قبيحا ف (ان) ابدا مبهمة وكذلك حروف الجزاء[10].

وجاء في (المقتضب) : "وانما منع (اذا) من أن يجازى بها[11] لانها مؤقتة وحروف الجزاء مبهمة، الا ترى أنك اذا قلت : (إن تأتني آتك) فانت لاتدري أيقع منه اتيان أم لا؟ وكذلك : من اتاني اتيته، انما معناه : ان يأتني واحد من الناس آته.

فاذا قلت : (اذا اتيتني...) وجب أن يكون الاتيان معلوما.

الا ترى الى قول الله عز وجل : ﴿اذا السماء انفطرت﴾[12] و ﴿اذا الشمس كوّرت﴾[13] و ﴿اذا السماء انشقت﴾[14] ان هذا واقع لامحالة؟

ولايجوز أن يكون في موضع هذا (إن) لان الله عزّوجل يعلم، و (ان) انما مخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر، وليس هذا مثل قوله ﴿إن ينتهوا يُغفر لهم ماقد سلف﴾[15] لان هذا راجع اليهم.

---

(١٠) كتاب سيبويه ٤٣٣/١.

(١١) يجازي بها أي : يجزم بها.

(١٢) الانفطار ١.

(١٣) التكوير ١.

(١٤) الانشقاق ١.

(١٥) الانفال ٣٨.

وتقول : (آتيك اذا احمرّ البسر) ولو قلت (آتيك إن احمر البسر) كان محالا لانه واقع لامحالة "[16].

وجاء في (الاتقان) : "تختص (اذا) بدخولها على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع بخلاف (ان) فانها تستعمل في المشكوك والموهوم والنادر، ولهذا قال تعالى : ﴿اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا﴾[17] ثم قال : ﴿وان كنتم جُنُبا فاطهروا﴾[18] فأتى بـ (اذا) في الوضوء لتكرره وكثرة اسبابه وبـ (ان) في الجنابة لندرة وقوعها بالنسبة الى الحدث .

وقال تعالى : ﴿فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يَطيّروا﴾[19] ، ﴿واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون﴾[20] أتى في جانب الحسنة بـ (اذا) لأنّ نعم الله على العباد كثيرة ومقطوع بها، و (ان) في جانب السيئة لانها نادرة الوقوع ومشكوك فيها "[21] .

وجاء في (شرح ابن يعيش) : " وحق مايجازى به أن لاتدري أيكون أم لايكون فعلى هذا تقول : (اذا احمر البسر فائتني) .

وقبح : (ان احمر البسر)، لان احمرار البسر كائن ، وتقول : (اذا أقام الله القيامة عذب الكفار) ، ولا يحسن : (ان اقام الله القيامة) ، لانه يجعل ماأخبر الله تعالى بوجوده مشكوكاً فيه "[22]

وجاء في (الايضاح) للقزويني : "اما (ان) و (اذا) فهما للشرط في الاستقبال لكنهما يفترقان في شيء وهو ان الاصل في (ان) أن لايكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه كما تقول لصاحبك (ان تكرمني اكرمك) ، وأنت لاتقطع بأنه يكرمك.

---

(١٦) المقتضب ٢/٥٥-٥٦ .

(١٧) المائدة ٦ .

(١٨) المائدة ٦.

(١٩) الاعراف ١٣١ .

(٢٠) الروم ٣٦.

(٢١) الاتقان ١٤٩/١ .

(٢٢) شرح ابن يعيش ٤/٩.

والاصل في (اذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه كما تقول: (اذا زالت الشمس آتيك).

ولذلك كان الحكم النادر موقعاً لـ (إن) لأن النادر غير مقطوع به في غالب الامر"[23].

وجاء في (التفسير الكبير) للرازي في قوله تعالى: ﴿اذا زلزلت الارض- الزلزلة ١﴾: "قالوا كلمة (إن) في المجوز و (اذا) في المقطوع به، تقول: (إن دخلت الدار فأنت طالق) لأن الدخول يجوز، اما اذا أردت التعليق بما يوجد قطعاً لاتقول (ان) بل تقول (اذا) نحو: اذا جاء غد فأنت طالق، لأنه يوجد لامحالة. هذا هو الاصل فان استعمل على خلافه فمجاز فلما كان الزلزال مقطوعاً به قال (اذا زلزلت)"[24].

وجاء في (الطراز) أن "(ان): انما يكون ورودها في الامور المحتملة المشكوك في وقوعها كقوله (وان جاؤوك فاحكم بينهم او أعرض عنهم[25])...

واما (اذا) فانما تستعمل في الامور المحققة كقوله تعالى: ﴿اذا زلزلت الارض زلزالها﴾ وقوله ﴿اذا الشمس كوّرت﴾... فهذه الامور كلها محققة فلهذا حسن دخول (اذا) فيها"[26].

وقال الدكتور علي فودة: "أن (اذا) تستعمل في معظم الحالات لمعنى غير المعنى الذي تستعمل له (ان). انها تستعمل في الامور المتيقنة اوالتي يكثر وقوعها على حين تستعمل (ان) فيما يحتمل الوقوع وعدمه، أو في الذي يحدث قليلاً. وخير مايؤيد ذلك هو الآيات التي اجتمعت فيها (ان) و (اذا) معاً فقد اجتمعتا في آيات يدرك القارئ لها حسّه وضوح هذه الحقيقة في اكثرها"[27].

---

(٢٣) الايضاح ٨٨/١-٨٩ وانظر مختصر المعاني ٦٠ - ٦٠.

(٢٤) التفسير الكبير ٥٧/٣٢ وانظر الصبان ١٣/٤، الاشباه والنظائر ٢٣٠/٢.

(٢٥) المائدة ٤٢.

(٢٦) الطراز ٢٧٧/٣ - ٢٧٨.

(٢٧) الشرط بان واذا في القرآن الكريم ص٦٠ - بحث في مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض - المجلد الرابع - السنة السابعة.

وما ذكره النحاة صحيح على وجه العموم فان (اذا) تستعمل للمقطوع بحصوله والكثير الوقوع بخلاف (ان) التي أصلها الشك والابهام أو ماهو أقل مما يستعمل بـ (اذا)، ويبدو ذلك واضحاً في استعمال القرآن الكريم ولاسيما الآيات التي اجتمعت فيها (ان) و (اذا) معاً كما ذكر الدكتور علي وذلك نحو قوله تعالى ﴿فان أحصرتم فما استيسر من الهدي .... فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي - البقرة ١٩٦﴾ وذلك لأن الاحصار طارئ عارض والأمن هو الاصل فجاء فيما هو الاصل بـ (اذا) بخلاف ماهو عارض طارئ.

وقال في الحفاظ على الصلاة: ﴿فان خفتم فرجالاً أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم - البقرة ٢٣٩﴾ فجاء في حالة الخوف بـ (ان) وهي حالة طارئة بخلاف حالة الامن فانه جاء فيها بـ (اذا) وهي نظيرة الآية السابقة.

وقال: ﴿واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصُروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا - النساء ١٠١﴾ فجاء بـ (اذا) في الضرب في الارض وهو السفر لانه كثير بخلاف الفتنة فانها قليلة.

وقال: ﴿فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم .... فان تابوا وأقاموا الصلاة - التوبة ٥﴾ فان انسلاخ الأشهر الحرم محتوم فجاء فيه بـ (اذا) بخلاف التوبة فانها مشكوك فيها فجاء فيها بـ (ان).

وقال: ﴿الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان... فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا - البقرة ٢٢٩، ٢٣٠﴾ فجاء في ذلك بـ (ان) لانه أندر حالات الطلاق وهو الطلاق الثالث ثم زواج المطلقة من شخص آخر ثم طلاقها منه. وقال بعد هذه الآية:

﴿واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف - البقرة ٢٣١﴾.

وقال: ﴿واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن - البقرة ٢٣٢﴾ فإن هاتين الحالتين هما حالتا الطلاق العادي بخلاف الحالتين الاوليين.

وقال : ﴿وإن تعجب فعجبٌ قولهم أإذا كنّا ترابا أإنا لفي خلق جديد– الرعد ٥﴾ فان صيرورتهم تراباً أمر محتوم بخلاف العجب ، فانّ الأمور التي تستدعي العجب نادرة على العموم.

وقال : ﴿كُتب عليكم اذا حضر احدكم الموت إن ترك خيراً الوصيةُ للوالدين والاقربين بالمعروف– البقرة ١٨٠﴾ فجاء في حضور الموت بـ (اذا) لانه واقع ولابد ، وأما ترك الخير وهو المال فهو أقل فجاء معه بـ (ان).

وقال : ﴿ياايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمّى فاكتبوه ... وليملل الذي عليه الحق ... فان كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً– البقرة ٢٨٢﴾ فإن حالات الاستدانة اكثر من الحالة التي بعدها وهي ان يكون المدين سفيها أو ضعيف العقل.

وقال : ﴿فاذا أُحصنّ فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب– النساء ٢٥﴾ وهذا في الاماء ، فانّ كل أمة أو غير أمة تبلغ الاحصان أي البلوغ فجاء فيه باذا لانه مقطوع بحصوله . اما إتيان الفاحشة فهو قليل فجاء فيه بـ (ان).

يدلك على ذلك ايضاً ان (اذا) على كثرة استعمالها في القرآن الكريم – فقد وردت في اكثر من ثلثمائة وستين موضعاً– لم ترد في موضع واحد غير محتمل الوقوع ، بل هي كلها اما مقطوع بوقوعها او كثيرة الوقوع بخلاف (ان).

قالوا ولما كانت (اذا) تفيد الجزم بالوقوع غلب معها لفظ الماضي لكونه ادل على الوقوع باعتبار لفظه بخلاف (ان) التي تستعمل في المعاني المحتملة والمشكوك فيها فانه غلب معها الفعل المضارع[٢٨].

والملاحظ في الاستعمال ان (اذا) يكثر معها الفعل الماضي حقاً اذا ما قيست بـ (ان).

---

(٢٨) انظر البرهان ٣٦٢/٢ ، مختصر المعاني ٦٠–٦١ ، الايضاح ٨٨/١.

وقد عمل الدكتور علي فودة احصاء[٢٩] لاستعمال الفعل الماضي والمضارع مع ان الشرطية في القرآن الكريم وقد كانت نتيجة الاحصاء ان استعمال (ان) الشرطية مع الفعل الماضي اكثر من استعمالها مع المضارع فقد ذكر انها وردت في القرآن الكريم في (٥٥٤) اربعة وخمسين وخمسمائة موضع جاء فيها بصيغة الماضي في نحو (٣٧٠) سبعين وثلاثمائة موضع. ومعنى ذلك انه استعمل الماضي معها اكثر من المضارع.

وعندنا على احصاء الدكتور ملاحظتان:

الاولى: ان الشرط بـ (ان) ورد في القرآن الكريم محذوف الجواب في زهاء مائتي موضع لقسم أو لغيره ويتحتم في هذه الحالة أن يكون الشرط ماضيا نحو قوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) (ان كنتم صادقين) (لئن اخرجوا لايخرجون معهم). فهذا ينبغي ان يسقط من الاحصاء لانه لا اختيار فيه فتكون نتيجة الاحصاء ما يأتي:

١٨٤ موضع استعمل معها المضارع

١٧٠ موضع استعمل معها الماضي

فيكون استعمال المضارع اكثر من الماضي.

واما الملاحظة الثانية فانه لم يحص مواضع ورود الفعل الماضي والمضارع مع (اذا) حتى يتبين صدق قول النحاة أو عدمه، فانهم قالوا ان (اذا) يستعمل معها الماضي اكثر من (ان).

وملاحظة النحاة هذه صحيحة. فقد وردت (اذا) في القرآن الكريم شرطية وظرفية — في (٣٦٢) اثنين وستين وثلثمائة موضع منها ثمانية عشر موضعا فقط وردت بالفعل المضارع والبقية وردت بالفعل الماضي مما يؤيد ملاحظة النحاة.

ولعله يدور في خلدك ان هذا يخالف ما ذكرناه في بحث (فعل الشرط) وهو انه اذا كان الشرط وقع فعلا ماضيا فانه قد يفيد افتراض حصول الحدث مرة أو وقوعه جملة في حين ان المضارع قد يفيد افتراض تكرر الحدث أو يفيد تطاول الحدث.

والحق انه لاتناقض فيما ذهبنا اليه هنا وهناك. فان الامر الذي ذكرناه هناك ينطبق هنا.

---

(٢٩) الشرط بـ (ان) و (اذا) في القرآن الكريم ٦٠ ومابعدها.

فمثلا قوله تعالى : ﴿فان طلقها فلاتحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره – البقرة ٢٣٠﴾ فقد ذكرنا فيه أنه جاء بالفعل الماضي لان الطلاق لايتكرر كثيرا كسائر الاعمال اليومية او لان معناه : اذا حصل الطلاق أي تم.

وعندما جاء بـ (إذا) فقال : ﴿فاذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن – البقرة ٢٣٠﴾ فقد جاء بها لان حالات الطلاق الاخيرة اكثر، والفعلان ماضيان.

وعندما قال : ﴿كُتب عليكم اذا حضر احدكم الموت إن ترك خيرا الوصية – البقرة ١٨٠﴾ فان الحدثين لايتكرران لاحضور الموت ولاترك الميراث ولكن حضور الموت أمر واقع ولابد فجاء فيه بـ (اذا) بخلاف ترك المال فانه اقل وقوعا فجاء فيه بـ (ان) ، والفعلان ماضيان

وقوله : ﴿وان تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا ... – الرعد ٥﴾ فجاء بـ (ان) مع الفعل المضارع (تعجب) لان العجب يتكرر في الحياة أو لانه حدث لم ينقطع بعد. وجاء بـ (اذا) مع الفعل الماضي (كنا ترابا) لانه يكون مرة واحدة وهو واقع ولابد.

او قد يفيد المضارع مع (اذا) تكرر الحدث او استمراره وتطاوله كما ذكرنا ذلك في موضعه وذلك نحو قوله تعالى : ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله – يونس ١٥﴾ فالتلاوة تتطاول وهي تنقضي شيئا فشيئا بخلاف قوله تعالى ﴿فاذا جاء رسولهم – يونس ٤٧﴾ ، وقوله ﴿اذا جاء اجلهم – يونس ٤٩﴾ ، وقوله : ﴿واذا اراد الله بقوم سوء – الرعد ١١﴾ .

فجاء بالفعل المضارع لما يحدث تدريجيا ويقع جزءاً جزءاً بخلاف ماجاء بالفعل الماضي.

وقد تقول ألم يرد في القرآن الكريم (واذا تليت عليهم آياته) بالماضي ؟ والجواب انه ورد ولكن القصد مختلف ، فاذا اردت وقوع الحدث جملة جئت بالماضي واذا اردت ان الحدث مستمر لم ينقطع جئت بالمضارع . فقوله تعالى : ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا – الانفال ١٢﴾ معناه اذا قرئت عليهم فهو يشير الى انقضاء

الحدث وتمامه بخلاف الآيات التي وردت بالمضارع نحو قوله تعالى : ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله – يونس ١٥﴾ فان معناها انهم في اثناء القراءة يقولون : ائت بقرآن غير هذا ، يقولون ذلك والقراءة لم تكتمل بعد لضيق ذرعهم بسماعه والله اعلم.

اذ ما

هي اذ و (ما)ركبتا فاصبحتا اداة شرط تقول : (اذ ماتقم اقم) و (إذ) وحدها ظرف زمان يفيد المضي غالبا. قال تعالى : ﴿واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم – الاعراف ٨٦﴾ واما (اذ ما) فهي حرف عند الاكثرين يفيد الشرط وغيرته (ما) من المضي الى الاستقبال(٣٠) . تقول : اذ ما تأتني آتك. واستدل النحاة بتغير زمانها على حرفيتها(٣١) .

وذهب قسم من النحاة الى انها باقية على ظرفيتها غير أن (ما) كفتها عن الاضافة(٣٢) . فاذا لم تنضم اليها (ما) لم تكن حرف جزاء(٣٣) .

وانا لاارى حرفيتها ، بل لاتزال ظرفا وان زمانها لم يتغير ، بل تخصص ب (ما) ، وذلك أن (اذ) للمضي كثيرا وقد تكون للاستقبال كقوله تعالى : ﴿فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم – غافر ٧٠ ، ٧١﴾ ، وقوله ﴿وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنّى له الذكرى – الفجر ٢٣﴾ ، بل هي قد تكون للاستقبال مع دخولها على الفعل الماضي وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة – مريم ٣٩﴾ وهذا يكون يوم القيامة. فعند دخول (ما) عليها جعلتها شرطية ، وخصتها بالاستقبال. واما كفها عن الاضافة فهذا أمر قاله النحاة بسبب أنهم يرون أن اداة الشرط لابد أن تكون مبهمة.(٣٤) فاذا كانت موقتة أي معلومة لم تجزم ، وهذا هو

---

(٣٠) التصريح ٢ / ٢٤٨.

(٣١) التصريح ٢ / ٢٤٨.

(٣٢) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٨١.

(٣٣) كتاب سيبويه ١ /٤٣٢.

(٣٤) انظر الاشباه والنظائر ١ / ٩٧.

سبب عدم الجزم باذا وذلك لانها مضافة الى مابعدها فتعرفت أو تخصصت به فليس فيها ابهام فلم تجزم.

جاء في (الكتاب): «وسألته عن (اذا) مامنعهم أن يجازوا بها؟ فقال: الفعل في (اذا) بمنزلته في (إذ) اذا قلت (اتذكر اذ تقول) ف (إذا) فيما يستقبل بمنزلة (اذ) فيما مضى، ويبين هذا، أن (إذ) تجئ وقتا معلوما، ألا ترى انك لو قلت (آتيك اذا احمر البسر) كان حسنا ولو قلت: (آتيك ان احمر البسر) كان قبيحاً! ف (ان) ابدا مبهمة وكذلك حروف الجزاء. و(إذا) توصل بالفعل، فالفعل في (إذا) بمنزلته في: حين»[٣٥].

وعلى اية حال فالذي نراه ان (اذ ما) اداة شرط وهي ظرف و(ما) خصصتها بالاستقبال بعد أن كانت تستعمل للمضي كثيراً وللاستقبال قليلا.

وقد تعامل (اذ) من دون (ما) معاملة ادوات الشرط فتقترن بجوابها الفاء وذلك نحو قوله تعالى: ﴿واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم – الاحقاف ١١﴾ وقوله: ﴿فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة – المجادلة ١٣﴾ وقوله: ﴿فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون – النور ١٣﴾.

أنّى

وهي ظرف للمكان[٣٦] يفيد العموم نحو (أنّى تذهب اذهب)، ويبدو أنها اكثر عموما من (أين) لمكان المدّة فيها، فان اطلاق الالف قد يدل على سعة المكان فيها. والملاحظ في العربية ان الكلمة يتقارب معناها ومبناها ف (لا) مثلا أوسع في النفي من (لن) أي ان زمنها اطول لانها تكون للحال والاستقبال والمضي، نحو: ﴿فلا صدق ولا صلّى – القيامة ٣١﴾، و(لن) مختصة بنفي المستقبل، و(لا) مطلقة أي ان صوتها غير محدود، و(لن) مقيدة بالسكون.

---

(٣٥) كتاب سيبويه ١/ ٤٣٣.
(٣٦) الهمع ٢/ ٥٧، الأشموني ٤/ ١٢.

و (اذا) أوسع زمنا من (اذ) فانها تكون ظرفا للاستقبال . وزمنه اطول من المضي لان المستقبل دائما اطول وأفسح من الماضي الذي انتهى ، وتكون للاستمرار والمضي ايضا نحو ﴿حتى اذا أدركه– الغرق– يونس ٩٠﴾ و (اذ) مقيدة بالسكون و (اذا) مطلقة .

و (من) مخصصة بالعقلاء استفهامية أو شرطية أو موصولة او غيرها لغير العقلاء من ذوات ومعان وهم اكثر من العقلاء ، وتكرر [illegible] من يعقل [illegible] نحو ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء– النساء ٣﴾ ، و (من) مقيدة و (ما) مطلقة .

فمدة الالف في (أنى) تطلق المكان اطلاقاً بعيدا بخلاف (أين) التي لا يمتد الصوت بها امتدادا بعيدا .

أيّان

ظرف زمان يستعمل فيما يراد تفخيم امره وتعظيمه[٣٧] . قال الرضي : "وأيان مختص بالامور العظام نحو قوله تعالى : ﴿أيّان مرساها﴾[٣٨] و ﴿ايان يوم الدين﴾[٣٩] ولا يقال : ايّان نمت"[٤٠] .

وقد يستعمل للاستبعاد نحو قوله تعالى : ﴿يسأل أيّان يوم القيامة – القيامة ٦﴾ . وهذا كما هو ظاهر في الاستفهام ، والراجح انها في الشرط كذلك ولفظها يوحي بذلك ، وذلك لمكان مدة الالف فيها نحو : (ايان تهرب اهرب معك) .

أين

ظرف مكان مبهم نحو (اين تذهب اذهب) وقد تنضم (ما) اليها فتزيدها ابهاما[٤١] وعموما . قال تعالى : ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت – النساء ٧٨﴾ وقال :

---

(٣٧) شرح ابن يعيش ٤ / ١٠٦ .

(٣٨) النازعات ٤٢ .

(٣٩) الذاريات ١٢ .

(٤٠) شرح الرضي على الكافية ٢ / ١٣٠ .

(٤١) شرح ابن يعيش ٤ / ١٠٦ .

﴿أينما يوجهه لايأت بخير– النحل ٧٦﴾ وقال: ﴿أينما ثُقفوا أخذوا وقُتّلوا تقتيلا– الاحزاب ٦١﴾.

أيّ

وهي اكثرهن ابهاما اذ هي بحسب ما تضاف اليه تقول (أيّ رجل تكرم اكرم) و (أيّ كتاب تأخذ آخذ) و (ايّ مذهب تقل به اقل به) و (أيّ وقت تسافر أسافر).

وقد تنضم اليها (ما) فتزيدها ابهاما. قال تعالى: ﴿أيّاً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى– الاسراء ١١٠﴾.

حيثما

اسم مكان مبهم. جاء في (المقتضب): "وحيث اسم من اسماء المكان مبهم يفسره ما يضاف اليه... فلما وصلتها بـ (ما) امتنعت من الاضافة فصارت كـ (اذ) اذا وصلتها بما"[٤٢]. وتلزمها (ما) اذا استعملت للشرط.

جاء في (الأشباه والنظائر): "باب الشرط مبناه على الابهام وباب الاضافة مبناه على التوضيح ولهذا لما اريد دخول (اذ) و (حيث) في باب الشرط لزمتها (ما) لانهما لازمان للاضافة، والاضافة توضحها فلا يصلحان للشرط حينئذ فاشترطنا (ما) لتكفهما عن الاضافة فيبهمان فيصلح دخولهما في الشرط حينئذ"[٤٣].

قال تعالى: ﴿وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره– البقرة ١٤٤﴾.

والفرق بين (حيثما) و (اينما) كما يبدو أن (أينما) اكثر ابهاما وعموما، وسبب ذلك أن (أين) اكثر ابهاما من (حيث) وذلك أن (حيث) لازمة للاضافة فهي مخصصة أو معرفة بما بعدها. تقول: (اجلس حيث جلس اخوك) أي في مكان جلوسه. ولذا لا تكون جزاء إلاّ اذا ضمت اليها (ما) لتكون مبهمة.

---

(٤٢) المقتضب ٢ / ٥٤.

(٤٣) الاشباه والنظائر ١ / ٩٧– ٩٨ وانظر المقتضب ٢ / ٤٧، شرح ابن يعيش ٧/ ٤٦.

قال سيبويه : "وانما منع (حيث) أن يجازي بها أنك تقول (حيث تكون اكون). ف (تكون) وصلٌ لها كأنك قلت : المكان الذي تكون فيه اكون... فاذا ضممت اليها (ما) صارت بمنزلة (إن) وما اشبهها ولم يجز فيها ما جاز فيها قبل أن تجيْ ب (ما)"[44].

وأما (اين) فلا تضاف اصلا ولذلك فهي مبهمة فاذا دخلت عليها (ما) زادتها ابهاما وعموما واذا دخلت على (حيث) ابهمتها ، وذلك أن (ما) تفيد الابهام والعموم في غير الشرط ايضا. قال تعالى : ﴿ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها - البقرة ٢٦﴾ . وتقول : (دعوتك لأمرٍ ما).

ف (أينما) اكثر ابهاما وعموما من (حيثما) يدلك على ذلك الاستعمال القرآني علاوة على القياس. فقد وردت (حيثما) في تعبير واحد تردد في مكانين ، وهو قوله تعالى : ﴿وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره - البقرة ١٤٤ ، ١٥٠﴾ .

وترددت (اينما) في اربعة مواضع هي قوله تعالى : ﴿اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا - البقرة ١٤٨﴾ .
وقوله : ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة - النساء ٧٨﴾ .
وقوله : ﴿اينما ثقفوا أُخذوا وقُتّلوا تقتيلا - الاحزاب ٧١﴾ .
وقوله : ﴿وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه اينما يوجهه لايأت بخير - النحل ٧٦﴾ .

فأنت تحس بالشمول والعموم مع (اينما) اكثر من (حيثما) وذلك انها استعملت لمقدار قوة الله وانه لا يعجزه شيء ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾ ، ولامتداد يد الموت وسطوته الى كل مكان لا يعجزه عنه شيء ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ .

ويوضح ذلك ايضا الآية الاخيرة (اينما يوجهه لايأت بخير) فلو قال : (حيثما يوجهه لايأت بخير) لتعين ذلك في المكان المادي المحسوس ، ولكن قوله (اينما يوجهه) يوحي بالسعة والشمول ، وهو يشمل الوجهات المادية والمعنوية.

---

(٤٤) كتاب سيبويه ١ / ٤٣٢ - ٤٣٣ .

ثم ان قوله ﴿وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره﴾ ليس فيه شمول للامكنة ، فهناك اماكن لا تصح فيها الصلاة وازمنة لا تصح فيها الصلاة ايضا ، وهناك حالات لا يصح فيها استقبال البيت الحرام بخلاف ما ورد في (اينما) فانها تستغرق الحالات المذكورة. فدل ذلك على ان الشمول والعموم في (اينما) أوسع من (حيثما) والله اعلم.

كيفما

وهي لبيان الحال نحو (كيفما تصنع اصنع) و (كيف تفعل افعل) ولا تلزمها (ما) في الشرط ، واستعمالها في الشرط قليل.

ما

وهي نوعان :

غير زمانية نحو ﴿وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله — البقرة ١١٠﴾ وقوله : ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله — آل عمران ١٦٦﴾.

وزمانية نحو قوله تعالى : ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم — التوبة ٧﴾ أي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم. ونحو قولنا : (ما تجلس أجلس) أي ما تجلس من الزمان أجلس[٤٥].

وهي أعم من (من) كما سبق أن ذكرنا فانها مطلقة و (من) مقيدة ان (من) مختصة بالعقلاء. قال تعالى : ﴿ومن يبدّل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب — البقرة ٢١١﴾ ولا تكون لغيرهم الا أن يكونوا مختلطين بالعقلاء.

وأما (ما) فهي لغير العاقل نحو (ما تصنع اصنع) قال تعالى : ﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه — آل عمران ١١٥﴾.

ولصفات العقلاء في الشرط نحو قوله : ﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن — النساء ٢٤﴾ وفي غير الشرط نحو قوله تعالى : ﴿فانكحوا ما طاب لكم

---

(٤٥) انظر المغني ١ / ٣٠٢ ، شرح الرضي ٢ / ٢٨٠.

من النساء مثنى وثلاث ورباع – النساء ٣﴾ ، وقوله : ﴿اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني – آل عمران ٣٥﴾ .

وجاء في (المقتضب) : "و (ما) تكون لغير الآدميين نحو (ما تركب اركب) و (ما تصنع اصنع) . فان قلت : (ما يأتني آته) تريد الناس لم يصلح ... لان (ما) تكون لذوات غير الآدميين ولصفات الآدميين. تقول : من عندك؟ فيقول : زيد ، فتقول : ما زيد؟ فيقول : جواد أو بخيل أو نحو ذلك فانما هو لسؤال عن نعت الآدميين"[٤٦] .

وجاء في (الكتاب) : "و (ما) مثلها – يعني مثل من – إلاّ ان (ما) مبهمة تقع على كل شيء"[٤٧] .

متى

وهي ظرف زمان تقول : (متى تأتني آتك) .

ويفرق النحاة بين (اذا) و (متى) ، فيقولون : إن (إذا) للوقت المحدود و (متى) للوقت المبهم[٤٨] .

وهذا التفريق ناتج عن قولهم إن (إذا) مضافة الى شرطها فهي معينة و (متى) غير مضافة فهي اذن مبهمة .

قال سيبويه : "ان (إذا) تجئ وقتا معلوما . الا ترى انك إذا قلت : (آتيك إذا احمر البسر) كان حسنا ولو قلت : (آتيك ان احمر البسر) ، كان قبيحا . ف (إن) ابداً مبهمة وكذلك حروف الجزاء"[٤٩] . و (متى) من حروف الجزاء[٥٠] .

---

(٤٦) المقتضب ٢ / ٥٢ .
(٤٧) كتاب سيبويه ٢ / ٣٠٩ .
(٤٨) المفصل ٢ / ٦٦ .
(٤٩) كتاب سيبويه ١ / ٤٣٣ .
(٥٠) كتاب سيبويه ١ / ٤٣٢ .

وقالوا ايضا في التفريق بينها إن (إذا) تقع شرطا في الاشياء المحققة الوقوع ونحوها. واما (متى) فلما يحتمل الوجود والعدم[51].

جاء في (الأشباه والنظائر): "قال الخوارزمي: الفرق بينها ان (إذا) للامور الواجبة الوجود وما جرى ذلك المجرى مما علم انه كائن. و(متى) لما لم يترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون، تقول: (اذا طلعت الشمس خرجت) ولا يصح فيه (متى).

وتقول (متى تخرج أخرج) لمن لم يتيقن انه خارج"[52].

ويُفَرَّق بينها وبين (إنْ) أنّ (إنْ) اداة تعليق لازمن فيها و(متى) زمان.

جاء في كتاب (النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة) ان قولنا (ان اكرمتني أكرمتك) معناه تعليق الإكرام على الإكرام، وقولنا (متى أكرمتني أكرمتك) تعليق الاكرام على زمان يقع فيه الاكرام "و(متى) تدل على الزمان بدليل انه إذا قيل: (متى أجيئك؟)، صحّ أن يقال في الجواب (متى أكرمتني)، ولا يصح أن يقال (ان اكرمتني) لان (ان) لا تدل على الزمان، والسؤال عن الزمان. وانما يصح ان يجاب بها إذا سئل عن الفعل فقيل: هل اجيئك؟"[53].

وإذا لحقتها (ما) زادتها ابهاما وعموما.

جاء في (الكليات): "و(متى ما) اعم من ذلك وأشمل [يعني من متى] وربما يجري في (متى) من التخصيص مالا يجري في (متى ما)"[54].

مَن

وتكون شرطاً للعاقل. قال تعالى ﴿فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما﴾ — البقرة ١٥٨.

---

(٥١) الاشباه والنظائر ٢ / ٢٢٥.

(٥٢) الاشباه والنظائر ٢ / ٢٣٠، ضوابط الفنون فصل الالف والذال (اذا).

(٥٣) النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ٥٩.

(٥٤) الكليات ٣٣٧.

قال سيبويه : "(من) : وهي للمسألة عن الاناسي ويكون بها الجزاء للاناسي وتكون بمنزلة (الذي) للأناسي"[55].

ولو قال للعقلاء أو لذوي العلم لكان أجود فإنها تستعمل لغير الاناسي من العقلاء فقد تستعمل للملائكة. قال تعالى : ﴿ومن يستنكفْ عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً - النساء ١٧٢﴾.

واستعملها للجن. قال تعالى : ﴿فمن يستمعِ الآن يجد له شهابا رصدا - الجن ٩﴾.

وجاء في (المقتضب) : "تقول في (من) (من يأتني آته). فلايكون ذلك إلاّ لما يعقل، فإن أردت بها غير ذلك لم يكن.

فإن قال قائل : فقد قال الله عزّ وجل : ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه﴾[56] فهذا لغير الآدميين وكذلك ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾[57] قيل إنما جاز هذا لانه قد خلط مع الآدميين غيرهم بقوله : ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ وإذا اختلط المذكوران جرى على أحدهما ماهو للآخر إذا كان في مثل معناه"[58].

مهمـــا

قالوا هي بمعنى (ما) وقيل أعم منها[59]، وقد ذكر أن أصلها (ما) ألحقت بها (ما) على وزن (كيفما) و (أينما).

قال سيبويه : "وسألت الخليل عن (مهما) فقال : هي (ما) أدخلت معها (ما) لغوا بمنزلتها مع (متى) إذا قلت : (متى ما تأتني آتك) وبمنزلتها مع (إنْ) إذا

---

(٥٥) كتاب سيبويه ٢/ ٣٠٩.

(٥٦) النور ٤٥.

(٥٧) النور ٤٥.

(٥٨) المقتضب ٢/ ٥٠- ٥١.

(٥٩) الهمع ٢/ ٥٧.

قلت : (إنْ ما تأتني آتك) ، وبمنزلتها مع (أين) كما قال سبحانه وتعالى : ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾[٦٠] وبمنزلتها مع (أيّ) إذا قلت ﴿أيّاً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى﴾[٦١] ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظاً واحداً فيقولون (ماما) فأبدلوا الهاء من الالف التي في الاولى. وقد يجوز أن يكون (مه) ك (إذ) ضم اليها (ما)»[٦٢] .

وجاء في (التطور النحوي) : "وقد تضاعف (ما) لتأدية معنى الابهام والتنكير فتصير (مهما) بدل mama وتلحق (ما) بغيرها أيضاً مثل (أيما) و (متى ما) و (كيفما) و (أينما) و (حيثما)»[٦٣] .

لـو

وهي من أدوات الشرط ، ثم هي قد تكون :

١ – امتناعية نحو قوله تعالى : ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضّوا من حولك – آل عمران ١٥٩﴾ وقوله : ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة – المائدة ٤٨﴾ .

وتسمّى حرف امتناع لامتناع ومعناه امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط نحو (لو زرتني لأكرمتك) فامتنع الاكرام لامتناع الزيارة .

٢ – شرطية غير امتناعية نحو قوله تعالى : ﴿ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون – الأنفال ٢٣﴾ إذ لايصح أن يقال : امتنع التولي لامتناع الاسماع ، بل هم متولون على كل حال أسمعهم أم لم يسمعهم . وقوله : ﴿ولو أنّ مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله – لقمان ٢٧﴾[٦٤] وقوله : ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذن لأمسكتم خشية الانفاق – الاسراء ١٠٠﴾ ، وقوله : ﴿ولو ردّوه الى الرسول والى أولي الامر منهم

---

(٦٠) النساء ٧٨.

(٦١) الاسراء ١١٠.

(٦٢) كتاب سيبويه ١/ ٤٣٣.

(٦٣) التطور النحوي ١٢٣.

(٦٤) أنظر مغني اللبيب ١/ ٢٥٥– ٢٥٦ ، شرح الأشموني ٤/ ٣٥.

لعلمه الذين يستنبطونه منهم– النساء ٨٣﴾ ، ونحو قولنا : (لو أتيته بالدنيا أجرّها بحذافيرها لزهد فيها) .

٣– وقد تأتي للتمني وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وقال الذين ظلموا لو أنّ لنا كرّة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا– البقرة ١٦٧﴾ ، وقوله : ﴿قال لو أنّ لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد– هود ٨٠﴾ .

وقال بعضهم : هي قسم برأسه ليست شرطية ولا تحتاج الى جواب . وذهب آخرون الى أنها هي (لو) الشرطية أشربت معنى التمني[٦٥] .

والحق أنها قد تكون شرطية مشربة معنى التمني فيكون لها جواب نحو: (لو أن لنا رجالا أمثال صلاح الدين إذن ما ضاعت فلسطين) تقول ذلك متمنياً ، ونحو قوله[٦٦] :

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبرَ بالذنائب أيّ زير
بيوم الشعثمين لقرّ عيناً وكيف لقاء مَن تحت القبور

وقد تكون للتمني برأسها نحو قوله تعالى : ﴿لو أن لنا كرّة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منّا– البقرة– ١٦٧﴾ وقوله : ﴿لو أن لي كرّة فأكون من المحسنين– الزمر ٥٨﴾ .

٤– قالوا وقد تأتي بمعنى (إنْ) نحو قوله تعالى : ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين– يوسف ١٧﴾[٦٦أ] .

والحق انها لاتطابق (ان) . فان شرط (لو) بعيد الوقوع وهو ابعد من (ان) . جاء في الكليات : "والاصل في فرض المحالات كلمة (لو) دون (إنْ) ، لانها لما لاجزم بوقوعه ولا وقوعه والمحال مقطوع بلا وقوعه"[٦٧] .

ويدل على ذلك الاستعمال . قال تعالى : ﴿لو اراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء– الزمر ٤﴾ .

---

(٦٥) المغني ١ / ٢٦٧ ، الهمع ٢ / ٦٦ .
(٦٦) المغني ١ / ٢٦٧ .
(٦٦أ) المغني ١ / ٢٦٤ ، الكامل للمبرد ١ / ٢٣٨ .
(٦٧) كليات ابي البقاء ٥١ .

وقال (ﷺ) : (لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ....)

وتقول : (لو كلمه الموتى لم يؤمن) و (لو أجريت الارض له ذهبا لرغب عني).

ولا تحسن (ان) لذلك. ونحوه ما ذكروا انها بمعنى (ان).

فان قوله تعالى : ﴿اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة – النساء ٧٨﴾ . جاء فيه بـ (لو) دون (ان) لان الانسان قصارى ما يستطيع حفظ نفسه ان يكون في برج مشيّد فجاء بـ (لو) الدالة على البعد.

وكذلك قوله تعالى : ﴿كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم – البقرة ١٣٤﴾ جاء فيه بـ (لو) التي تفيد البعد، لان الانسان ابعد شيء عن أن يشهد على نفسه.

وقوله تعالى : ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانو أولي قربى – التوبة ١١٣﴾ فأولو القربى هم اولى بالاستغفار من غيرهم فاذا كان منهيا عن ذلك معهم فالنهي مع غيرهم اولى. وهذا ابعد شيء في النهي.

وهكذا كل ماذكر على انه اولى من غيره.

فهي لاتطابق (ان) في ذلك تماما.

٥- وذكر انها تأتي لمعنى التقليل نحو : (تصدّقوا ولو بظلف محرق)[٦٨]

ومعنى التقليل انما جاء مما ذكرناه آنفا وهو أن شرطها بعيد الوقوع فقوله (ﷺ) (تصدقوا ولو بظلف محرق) يعلمنا الأحقر من المعروف شيئا فالظلف المحرق ابعد شيء عن أن يُتصدّق به لكونه قليلا مرغوبا عنه ومع ذلك علينا الأحقر التصدقة به.

ونحوه : (تصدق ولو بتمرة) فان التمرة بعيدة عن ان يتصدّق بها لزهادتها.

ونحوه (التمس ولو خاتما من حديد) فخاتم الحديد ابعد شيء عن أن يكون مهرا لامرأة لزهادة قيمته. ومن هنا دخلها معنى التقليل.

---

(٦٨) المغني ١ / ٢٧٦، الهمع ٢ / ٦٦.

وقوع اللام في جوابها

تقع اللام في جواب (لو) وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا- الفتح ٢٥﴾ وقوله: ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم- محمد ٥﴾.

وهذه اللام تلحق جوابها المثبت كثيرا، وأما المنفي بـ (لم) فلا تلحقه والمنفي بـ (ما) يجوز أن تلحقه الا انه قليل[٦٩]. ولم ترد في القرآن الكريم لاحقة لجوابها المنفي.

واختلف في هذه اللام على اقوال:

١- فقسم ذهب الى انها تفيد التسويف.

جاء في (التصريح): "قال ابن عبد اللطيف في باب اللامات: هذه اللام تسمى لام التسويف لانها تدل على تأخير وقوع الجواب من الشرط وتراخيه عنه كما ان اسقاطها يدل على التعجيل لان الجواب يقع عقيب الشرط بلا مهلة ولهذا دخلت في ﴿لو نشاء لجعلناه حطاما﴾[٧٠] وحذفت في ﴿لو نشاء جعلناه اجاجا﴾[٧١] أي لوقته في المزن من غير تأخير. والفائدة في تأخير جعله حطاما وتقديم جعله اجاجا تشديد العقوبة، أي اذا استوى الزرع على سوقه وقويت به الاطماع جعلناه حطاما كما قال الله تعالى: ﴿حتى اذا اخذت الارض زخرفها﴾[٧٢] الآية. ا هـ"[٧٣].

٢- وقسم ذهب الى انها لتأكيد ارتباط احدى الجملتين بالاخرى[٧٤].

٣- وقسم ذهب الى انها اللام الواقعة في جواب القسم فقولك: (لو زرتني لأكرمتك) في تقدير (والله لو زرتني لأكرمتك)[٧٥].

٤- وقسم ذهب الى انها زائدة مؤكدة وذلك لجواز سقوطها[٧٦].

---

(٦٩) شرح ابن الناظم ٢٩٢، المغني ١/ ٢٧١- ٢٧٢.

(٧٠) الواقعة ٦٥.

(٧١) الواقعة ٧٠.

(٧٢) يونس ٢٤.

(٧٣) التصريح ٢/ ٢٦٠، البرهان ٤/ ٣٣٧.

(٧٤) المفصل ٢/ ٢٢٠ وانظر شرح ابن يعيش ٩/ ٢٢.

(٧٥) شرح ابن يعيش ٩/ ٢٢، المغني ١/ ٢٣٥. (٧٦) شرح ابن يعيش ٩/ ٢٣.

. اما التسويف فلا اراه صحيحا بدليل عدم صحة تقديره في تعبيرات كثيرة من ذلك قوله تعالى: ﴿ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم – آل عمران ١١٠﴾ وليس في هذا معنى التسويف.

وقوله: ﴿ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما – النساء ٦٤﴾ وهو تواب رحيم في الحال والاستقبال والمضي ولا يراد به تسويف التوبة عليهم.

ونحوه: ﴿ولو أن اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفّرنا عنهم سيئاتهم – المائدة ٦٥﴾ وليس المقصود تسويف التكفير.

ونحوه: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا – الانعام ٩﴾.

وقوله: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى – الانعام ٣٥﴾.

وقوله: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا – الانفال ٣١﴾.

وقوله: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدّة – التوبة ٤٦﴾.

وقوله: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا – الكهف ٧٧﴾.

وقوله: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والارض – المؤمنون ٧١﴾.

فهذا كله لايحتمل التسويف.

وكونها جوابا للقسم ردّه ابن هشام بقوله: "لو كانت اللام بعد (لو) ابدا في جواب قسم مقدر لكثر مجيء الجواب بعد (لو) جملة اسمية نحو: (لو جاءني لأنا اكرمه) كما يكثر ذلك في باب القسم"[77].

والذي يبدو أنها مؤكدة ويدل على ذلك أن اللام التي تفيد التوكيد تقع في الاثبات ولا تقع في النفي الاّ نادرا وذلك نحو لام الابتداء سواء كانت وحدها أم مع (إنّ)، واللام الواقعة في جواب القسم وهي لاتدخل على المنفي.

وهذه كذلك تدخل في الاثبات ولا تدخل على المنفي الاّ قليلا.

ويدلك على ذلك ايضا الاستعمال القرآني فالمنزوع اللام أقل توكيدا من المذكورة فيه وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لو شئت اهلكتهم من قبل واياي – الاعراف ١٥٥﴾ بلا

---

(٧٧) المغني ١ / ٢٣٥.

(لام)، وقوله: ﴿فلو شاء لهداكم اجمعين– الاعراف ١٤٩﴾ باللام وذلك لان هداية الناس اجمعين اصعب وأعسر من الاهلاك. فاهلاك الالوف والوف الالوف ممكن بوسائل الفتك والتدمير والظواهر الطبيعية ولكن هدايتهم عسيرة. فجاء باللام لما هو شاق عسير ونزعها مما هو أيسر.

ونحوه قوله تعالى: ﴿أنْ لو نشاء أصبناهم بذنوبهم– الاعراف ١٠٠﴾ وهذه نظيرة الآية السابقة بخلاف قوله تعالى: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة– الزخرف ٦٠﴾.

فالفرق واضح بين الافتراضين.

وقوله تعالى: ﴿انطعم من لو يشاء الله اطعمه– يس ٤٧﴾ أيسر من قوله: ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون– يس ٦٧﴾. وهكذا.

والخلاصة ان اللام مؤكدة فاذا اردت ان تؤكد شيئا ما جئت بها وإلاّ تدخلها عليه.

وهذا القول ليس بعيدا عن قول من قال هي واقعة في جواب قسم: فكلتاهما تفيد التوكيد فان القسم توكيد وجوابه مؤكد.

وهي في قول الزمخشري ايضا لاتخلو من التوكيد.

ما الزائدة

تدخل (ما) بعد ادوات الشرط نحو (اذا ما) و (إمّا) و (متى ما) وقد ذهب النحاة فيها الى أنها تؤدي غرضين:

الاول: افادة الابهام والعموم– كما سبق ان ذكرنا– فاذا قلت مثلا: (سأزورك اذا جنّ الليل) فالراجح ان يكون القصد ليل يومكم ذاك، فاذا قلت: (سأزورك اذا ماجنّ الليل) فانه لايتعيّن ليل ذلك اليوم بل اصبح الكلام يحتمل الليالي الأخرى القابلة. وذلك لأن (ما) أبهمتها.

جاء في (المفصل): "تقول (متى كان ذاك؟) و (متى يكون؟) و (متى تأتني اكرمك) و (أين كنت؟) و (أين تجلس اجلس). ويتصل بها (ما) المزيدة فتزيدهما ابهاما"[78].

وجاء في (الكليّات): "(اذا ما) فيه ابهام في الاستقبال ليس في (اذا) بمعنى انك اذا قلت (آتيك اذا طلعت الشمس) فانه ربما يكون لطلوع الغد حتى يستحق العتاب بترك الاتيان في الغد بخلاف (اذا ما طلعت) فانه يخص[79] ذلك ولا يستحق العتاب"[80].

وكذلك بقية ادوات الشرط مثل (اذ ما) و (حيثما) و (ايما). غير أن (ما) في (حيثما) و (اذ ما) ليست زائدة عند النحاة كالداخلة على (اين) و (متى) و (اذا) و (أيّ) وغيرها بل هي في (اذ ما) و (حيثما) لازمة لايكونان للمجازاة الا بها[81]. وذلك لانهما من دون (ما) ظرفان يضافان الى الجمل فهما مخصصان بسبب الإضافة فدخلت عليها (ما) فكفتها عن الإضافة ليكونا مبهمين فأصبحت (اذ ما) حرفا في رأي واسما مبهما في رأي آخر، واصبحت (حيثما) ظرفا مبهما أبهمتها (ما) كما سبق ان ذكرنا.

جاء في (شرح الرضي على الكافية): "وأما (حيثما) فنقول (ما) فيها كافة لـ (حيث) عن الاضافة لازائدة كما في (متى ما) و (إمّا) وذلك ان (حيث) كانت لازمة للاضافة فكانت مخصصة بسبب المضاف اليه فكفتها (ما) عن طلب الاضافة لتصير مبهمة كسائر كلمات الشرط"[82].

وجاء في (الاشباه والنظائر): "باب الشرط مبناه على الابهام وباب الاضافة مبناه على التوضيح ولهذا لما اريد دخول (اذ) و (حيث) في باب الشرط لزمتها (ما)

---

(٧٨) المفصل ٢/ ٦٦ وانظر الكليات ٣٣٧.

(٧٩) كذا والراجح ان الاصل "لايخص ذلك" كما هو ظاهر.

(٨٠) الكليات ٢٧.

(٨١) المقتضب ٢/ ٤٨.

(٨٢) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٢٨١، المقتضب ٢/ ٤٧.

لانها لازمان للاضافة ، والاضافة توضحها فلا يصلحان للشرط حينئذ فاشترطنا (ما) لتكفها عن الاضافة فيبهان فيصلح دخولها في الشرط حينئذ "[٨٣].

ثم ان (ما) هذه لاتختص باسماء الشرط بل قد تدخل على اسماء غيرها فتعطيها ابهاما وعموما ايضا وذلك نحو قولك : (حدثني حديثاً ما) أي أيا كان الحديث.

جاء في (الكليات) : "(ما) في مثل (اعطني كتاب ما) ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما أي (أي كتاب كان)"[٨٤].

والخلاصة ان (ما) تدخل على ادوات الشرط فتبهم ماليس مبها وتزيد ابهام ما كان مبها.

الغرض الثاني افادة التوكيد : جاء في (الكتاب) : "وتكون [يعني ما] توكيداً لغواً وذلك قولك : (متى ما تأتني آتك) ، وقولك (غضبت من غير ما جرم) وقال الله عز وجل : ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾[٨٥] فهي لغو.. وهي توكيد للكلام"[٨٦]

وجاء في (المقتضب) : "فـ (ما) تدخل على ضربين :

احدهما أن تكون زائدة للتوكيد فلايتغير الكلام بها عن عمل ولامعنى فالتوكيد ما ذكرته في هذه الحروف سوى (حيثما) و (إذ ما).

واللازم ماوقع فيها ونظيرهما قولك ؛ (انما زيد اخوك) منعت (ما) (انّ) عملها"[٨٧].

وجاء في (شرح ابن يعيش) : "قد تزاد (ما) مع (ان) الشرطية مؤكدة نحو قولك : (امّا تأتني آتك) والاصل : ان تأتني آتك. زيدت (ما) على (ان) لتأكيد

---

(٨٣) الاشباه والنظائر ١ / ٩٧ - ٩٨.

(٨٤) الكليات ٣٦٩.

(٨٥) النساء ١٥٥

(٨٦) كتاب سيبويه ٢ / ٣٠٠.

(٨٧) المقتضب ٢ / ٥٤

معنى الجزاء ويدخل معها نون التوكيد وان لم يكن الشرط من مواضعها لان موضعها الامر والنهي وما اشبههما مما كان غير موجب وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فامّا يأتينكم مني هدى﴾ (٨٨) وقال سبحانه: ﴿فامّا ترينّ من البشر احدا﴾ (٨٩) وقال: ﴿وامّا تعرضنّ عنهم﴾ (٩٠).

والعلة في دخولها أنها لمّا لحقت اول الفعل بعد (ان) اشبهت اللام في (والله ليفعلنّ) فجامعتها نونا التأكيد كما تكون مع اللام في (ليفعلنّ) وجهة التشبيه بينها أن (ما) هنا حرف تأكيد كما ان اللام مؤكدة...

وقد يجوز أن لاتأتي بهذه النون مع فعل الشرط وذلك نحو قولك: امّا تأتني آتك" (٩١).

وجاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم – فصلت ٢٠﴾: "فان قلت: (ما) في قوله (حتى إذا ما جاؤها) ماهي؟

قلت: مزيدة للتأكيد، ومعنى التأكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لامحالة أن يكون وقت الشهادة عليه ولا وجه لأن يخلو منها، ومثله قوله تعالى: ﴿أثم إذا ماوقع آمنتم به﴾ (٩٢) أي لابد لوقت وقوعه من أن يكون وقت ايمانهم به" (٩٣).

والظاهر من اقوال النحاة ان (ما) تؤدي معنيي الابهام والتوكيد معا وان كان يصرّح احيانا بالابهام واحيانا بالتوكيد، وقد جمع بينها ابن يعيش فقال: "وقدتدخل (ما) (أين ومتى) للجزاء زائدة مؤكدة نحو متى ماتقم أقم واينما تجلس اجلس معك.
قال الشاعر:

متى ما يرِ الناسُ الغنّي وجاره   فقير يقولوا عاجز وجليد

(٨٨) البقرة ٣٨.
(٨٩) مريم ٢٦.
(٩٠) الاسراء ٢٨.
(٩١) شرح ابن يعيش ٩/ ٥ وانظر الهمع ٢/ ٦٣.
(٩٢) يونس ٥١.
(٩٣) الكشاف ٣/ ٦٩.

وقال الله تعالى : ﴿اينما تكونوا يدركم الموت﴾[٩٤] وقال : ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[٩٥] . فاذا دخلت عليها (ما) زادتها ابهاما وازدادت المجازاة بها حسنا»[٩٦] .
فذكر انها زائدة مؤكدة ثم قال : زادتها ابهاما .

ومعنى التوكيد أظهر من الابهام في الاستعمال القرآني والاستعمال العربي عامة فإنها ترد ابهاما في قوله تعالى : ﴿حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم ... ٢٠﴾ وتخصيصا في قوله : ﴿حتى اذا جاؤها فُتحت ابوابها - الزمر ١٧﴾ فالكلام في الحالتين على اهل النار ومجيئهم اياها . فلم كانت (اذا) الاولى مبهمة والثانية غير مبهمة ؟

وكذلك قوله تعالى : ﴿ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما احملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حَزَنا ألّا يجدوا ماينفقون - التوبة ٩٢﴾ . فهذه الآيات نزلت في جماعة مخصوصين في حادثة معينة مخصوصة فكيف تكون (اذا) ههنا مبهمة ؟

اما التوكيد فهو ظاهر واضح يدل عليه الاستعمال والقياس . فان (ما) تزاد غير كافة وتزاد كافة وذلك نحو زيادتها بعد الأحرف المشبهة بالفعل وبعد طائفة من حروف الجر وبعد المضاف نحو (غضبت من غير ما جرم) فهي إذا زيدت غير كافة كانت للتوكيد في كل مواطنها ، وقد مرّ بنا هذا في اكثر من موطن .

وإذا كانت كافة كان لها غرض آخر كما سبق أن ذكرنا في بحث الأحرف المشبّهة بالفعل وحروف الجرّ .

وهي هنا زيدت غير كافة ولا مغيرة من طبيعة الاداة فهي مؤكدة . ويدل على ذلك ايضا الاستعمال القرآني فحيثما زيدت (ما) مع (ان) الشرطية أكد شرطها بالنون ولم يتخلف من ذلك موطن احد . وقد وردت في اربعة عشر موضعا وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وامّا ينسينّك الشيطان فلاتقعد بعد الذكرى - الانعام ٦٨﴾ .

---

(٩٤) النساء ٧٨ .
(٩٥) البقرة ١١٥ .
(٩٦) شرح ابن يعيش ٤/ ١٠٥ - ١٠٦ .

وقوله : ﴿وإمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء – الانفال ٥٨﴾.

وقوله : ﴿وإمّا نرينّك بعض الذي نعدهم أو نتوفينّك – الرعد ٤٠﴾.

وهذا التوكيد كثير غالب في كلام العرب ، وهذا يدل على أنها تفيد التوكيد. الاترى أن (انّ) لما كانت مؤكدة قد يؤتى معها باللام زيادة في التوكيد ، وان القسم لما كان مؤكدا كان جوابه ايضا مؤكداً فهو قد يجاب بـ (إنّ) واللام أو يجاب باللام ونون التوكيد في الفعل المضارع أو يجاب باللام و (قد) في الفعل الماضي.

فهذا دليل ظاهر على انها تفيد التوكيد ، اذ لمَ يؤكد شرطها مع (ما) ولايؤكد من دونها ؟

ثم ان مواطن الاستعمال تدل على التوكيد.

جاء في (درّة التنزيل وغرّة التأويل) للخطيب الاسكافي : "قوله تعالى : ﴿حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون – فصلت ٢٠﴾ . وقال في سورة الزخرف : ﴿حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين – ٣٨﴾ وقال قبله : ﴿حتى إذا جاؤها فتحت ابوابها – الزمر ٧١﴾ يعني ابواب جهنم ، وقال بعدها : ﴿حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها – الزمر ٧٣﴾ يعني ابواب الجنة.

للسائل أن يسأل عن زيادة (ما) بعد (إذا) في سورة السجدة[٩٧] وحذفها من الموضع الآخر.

الجواب أن يقال : انه إذا قصد توكيد معنى الشرط الذي تضمنته (إذا) لقوة معنى الجزاء استعملت (ما) بعدها ، فقوله تعالى : ﴿حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ شهادة السمع وسائر الجوارح من المعاني القوية التي لايقتضيها الشرط الذي هو المجيء ، ألا ترى استنكارهم لها حتى قالوا لجلودهم (لم شهدتم علينا) فأجابوا بأن قالوا : ﴿انطقنا الله الذي انطق كل شيء﴾ وليس كذلك ﴿حتى إذا جاؤها فتحت ابوابها﴾ ، لأنّ المجيء يقتضي فتح الابواب ... وكذلك ﴿حتى

(٩٧) يعني سورة فصّلت.

إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك﴾ أي قال الآدمي لقرينه من الجن اللذين اشتركا في الدنيا في معصية الله ثم اشتركا في العذاب في الآخرة : ليتني لم اتبعك وكان بعد ما بين المشرقين بيني وبينك.

وهذا ايضا مما يتوقع كونه منها ثم يتبرّى بعض من بعض فليس في الجزاء مايوجب قوة الشرط الذي لايتوقع ولايستفاد الا به ومنه"[98].

ثم ان شهادة السمع والابصار والجلود أمر مستغرب بخلاف فتح الابواب ونحوه فأكده لذلك.

وقال تعالى : ﴿ولا يأبَ الشهداء إذا مادُعوا — البقرة ٢٨٢﴾ زيدت (ما) مؤكدة على الشهداء حضور الشهادة عند الدعوة اليها بخلاف قوله تعالى : ﴿إذا تداينتم بدين الى أجل مسمّى فاكتبوه — البقرة ٢٨٢﴾ وقوله : ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم — البقرة ٢٨٢﴾ وذلك لأن الشهيد قد يتباطأ ويتكاسل أو ينكص عن الشهادة لأنه ليست له مصلحة خاصة به أو قد تلحق به ضررا فاحتاج الى التوكيد.

وقال تعالى : ﴿ولايسمع الصم الدعاء إذا ماينذرون — الانبياء ٤٥﴾ ، اي وان تطاول الانذار وتكرر وأكد بخلاف قوله تعالى : ﴿ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين — النمل ٨٠﴾ فتوليتهم مدبرين لاتحتاج الى توكيد كالانذار.

وقال : ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به — يونس ٥١﴾ ، أي أنهم لايؤمنون إلاّ اذا حلّ العذاب يقينا لا حدسا ولا تخمينا ولا استنتاجا يدل على ذلك سياق الآية . قال تعالى قبل هذه الآية : ﴿قل أرأيتم ان اتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون . أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون — يونس ٥٠ — ٥١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا — المائدة ٩٣﴾ . فزاد (ما) بعد (إذا) توكيداً للتقوى ، يدلك على ذلك تكرارها ثلاث مرات في الآية (إذا ما اتقوا ... ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا) .

---

(٩٨) درة التنزيل وغرة التأويل ٤١٧ — ٤١٨.

وهكذا كل ماورد واضح فيه معنى التوكيد .

وكذلك زيادتها بعد (ان) . قال تعالى : ﴿ فامّا ترينّ من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صوما – مريم ٢٦ ﴾ واحتمال الرؤية احتمال قوي جدا فأكدها وقد وقعت .

وقال : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فامّا يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلايضل ولايشقى – طه ١٢٣ ﴾ . وهذا الكلام في آدم وابليس واحتمال انزال الهدى اي الرسالات السماوية مؤكدة فأكده وقد حصل .

وقال : ﴿ قل رب إمّا تُرينّي ما يوعدون . رب فلا تجعلني في القوم الظالمين – المؤمنون ٩٣ ، ٩٤ ﴾ .

واحتمال اراءته ما يوعدون احتمال قوي فأكده ، وقد اراه الله ذلك فيما بعد في بدر وغيرها .

وهكذا سائر ما ورد من الآيات مما يدل على ان (ما) انما زيدت للتوكيد والله أعلم .

تقديم الاسم على فعل الشرط

تقوم العرب : (إذا جاءك محمد فأكرمه) وتقول : (إذا محمد جاءك فأكرمه) . قال تعالى : ﴿ إن ترك خيراً الوصية – البقرة ١٨٠ ﴾ وقال : ﴿ إنِ امروءٌ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك – النساء ١٧٦ ﴾ وقال : ﴿ إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت – الانفطار ١ ، ٢ ﴾ .

وهذا عند الجمهور من باب حذف فعل الشرط الذي يفسره الفعل المذكور بعده . والتقدير : إن هلك امروء هلك ، وإذا انفطرت السماء انفطرت وذلك لأن اداة الشرط لاتليها إلاّ الافعال [٩٩] .

---

(٩٩) انظر شرح الرضي على الكافية ٢/ ٢٨٣ ، المقتضب ٢/ ٧٤ ، الهمع ٢/ ٦٦ .

وعند الكوفيين أنه مرفوع بالفعل بعده وهو فاعل متقدم على فعله[100] أو مبتدأ خبره ما بعده[101] .

إن تقدير الجمهور بعيد عن المعنى مفسد لصحة الكلام مؤدٍّ الى ركّة باللغة فيه ، إذ ما الغرض من هذا الحذف والذكر مع العلم بأن المفسَّر والمفسِّر لفظ واحد بعينه لايزيده إيضاحاً ولا بياناً ولا تفسيراً؟ فلو كان المفسِّر يعطينا معنى زائداً على المفسَّر وإيضاحاً لم يكن فيه لكان مقبولاً ولكن الفعل المذكور هو نفس المحذوف فما الغرض إذن من الذكر والحذف؟

إن "التفسير" مقبول في نحو قوله تعالى : ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الآ بشر مثلكم – الانبياء ٣﴾ فإنه فسّر النجوى ووضحها بقوله (هل هذا الآ بشر مثلكم) ، وفي قوله ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم – الصف ١٠ ، ١١﴾ ففسّر التجارة بقوله ﴿تؤمنون بالله ... الى آخره﴾ .

ولكن أين الايضاح في قولنا (إذا جاءك محمد جاءك فأكرمه) ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنه بموجب هذا التقدير لافرق بين قولنا (إذا جاءك محمد فأكرمه) و (إذا محمد جاءك فأكرمه) وقوله (إذا السماء انشقت) و (إذا انشقت السماء) فيكون تقديم الاسم وتأخيره واحداً ، ولا غرض لذلك سوى التقدير المفسد لجمال التعبير وفصاحته .

كان ينبغي للنحاة أن يقولوا : انه قد يلي الفعل أداة الشرط في كلام العرب نحو ﴿إذاجاءك المنافقون – المنافقون ١﴾ وقد يليها الاسم ثم فعل الشرط نحو ﴿إذا السماء انفطرت – الانفطار ١﴾ والفرق بين التعبيرين في المعنى هو كذا وكذا . وهذا أمثل من التقدير الذي يفسد المعنى ويضيعه ويذهب بجمال الكلام وفصاحته .

وعلى أيّ حال فالمعنى في التعبيرين مختلف ولاشك .

---

(١٠٠) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٨٣ .

(١٠١) أنظر شرح ابن عقيل ٢ / ١١ ، حاشية الصبان ٢ / ٥٩ .

إن تقديم الاسم على فعل الشرط إنما هو للعناية والاهتمام الذي هو الغرض من التقديم عموماً ، وتختلف أوجه العناية هذه . فقد يكون التقديم للتخصيص وهو أهم غرض للتقديم وذلك نحو قولنا (إذا محمد جاءك فأكرمه) ، و (إذا جاءك محمد فأكرمه) فإن الجملة الأولى تفيد التخصيص ومعناه ان الاكرام مختص بمحمد دون غيره فإذا جاءك غيره فلا تكرمه . أما الثانية فهو طلب الاكرام لمحمد من غير تخصيص له به والمعنى أكرم محمداً عند مجيئه . وهو أي المخاطب غير منهي عن إكرام غيره وهو كقولنا (أكرم محمداً) و (محمداً أكرم) فإن في الثانية تخصيصاً دون الاولى .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذن لامسكتم خشية الانفاق– الاسراء ١٠٠﴾ .

جاء في (الكشاف) في هذه الآية : "إن (تملكون) فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ، ونحوه قول حاتم : (لو ذاتُ سوار لطمتني) وقول المتلمس :

ولو غيرُ أخوالي أرادوا نقيصتي

وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر"[١٠٢] .

وقد يكون التقديم للتهويل وذلك نحو قوله تعالى : ﴿إذا السماء انشقت– الانشقاق ١﴾ وقوله : ﴿إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت . وإذا البحار فُجّرت . وإذا القبور بعثرت– الانفطار ١ – ٤﴾ .

فهذه من مواطن التهويل وذلك إن انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار وبعثرة القبور كل ذلك مما يؤدي الى الهول الكبير والرعب فقدمها لهذا الغرض . ألا ترى أنه قال : ﴿إذا زلزلت الارض زلزالها– الزلزلة ١﴾ فلم يقدم الاسم وذلك لان مشهد الزلازل واقع متكرر على الاعوام والايام وإن كانت هذه الزلزلة أعظم منها جميعا

---

(١٠٢) الكشاف ٢ / ٢٤٧ وانظر التفسير الكبير ٢١ / ٦٣ .

بخلاف المشاهد التي ذكرها فإنه لم يحدث أن انشقت السماء أو انفطرت أو انتثرت النجوم أو تفجرت البحار، فالهول والفزع ههنا أكبر وأكبر فقدّم ما قدّم للتهويل.

وقد يكون للتعظيم نحو: (إذا الحبر أفتى بذاك فقد كفانا مؤونة البحث والتنقير) و (إذا ابن حجر صحح الخبر فكيف نرده) ونحو ذاك.

وقد يكون لتعجيل المسرة أو المساءة نحو (إذا الحبيب حضر وهبت لك ما تريد) و (إذا ولدك عاد من سفره فماذا تعطيني)، أو تقول (إذا السفاك ملك البلاد فلا خير في الحياة).

وقد يكون للتحقير نحو (إذا الجاهل الغبي أصبح سيداً علينا فبطن الارض خير لنا من ظاهرها) و (إذا هذا الجبان الذليل أهانك فتعسا لك).

الى غير ذلك من اغراض التقديم الاخرى.

إقتران جواب الشرط بالفاء وإذا الفجائية

إقترانه بالفاء

قد يرتبط جواب الشرط بالفاء نحو قوله تعالى ﴿فمن يُهنِ اللهُ فما له من مكرم– الحج ١٨﴾ ويجب ذلك إذا كان الجواب لايصلح أن يقع شرطاً فإن صلح وقوعه شرطاً فلا يجب ربطه بالفاء. ويذكر النحاة المواطن التي يجب فيها اقتران الجواب بالفاء وهي على وجه الايجاز:

١– أن يكون الجواب فعلاً مقترناً بـ (قد) أو كان زمنه ماضياً وإن لم يقترن بـ (قد) لفظاً نحو قوله تعالى: ﴿إن كان قميصه قُدّ من دبر فكذبت– يوسف ٢٧﴾ وقوله: ﴿إن كنت قلته فقد علمته– المائدة ١١٦﴾.

فإذا دل على وعد أو وعيد جاز ارتباطه بالفاء وذلك على تنزيل المستقبل منزلة الماضي لانه محقق الوقوع وذلك كقوله تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فكُبت وجوههم في النار– النمل ٩٠﴾ أي كأن الامر قد حصل.

٢– أن يكون طلبياً نحو قوله تعالى: ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فائذن لمن شئت منهم– النور ٦٢﴾

٣- أن يكون جامداً نحو: ﴿إن ترن أنا أقلَّ منك مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك - الكهف ٣٩، ٤٠﴾.

٤- أن يكون مقترناً بحرف استقبال كالسين وسوف نحو قوله : ﴿من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم - المائدة ٥٤﴾.

٥- أن يكون مقترناً بـ (لن) أو (لما) نحو: (أن جاءني فلن أفرط في حقه).

٦- أن يكون جملة اسمية نحو قوله تعالى: ﴿وإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم - البقرة ٢٣٤﴾ ونحو (من جدَّ فالمستقبل له)[١٠٣].

هذه أهم المواطن التي تقترن بها الفاء. وهذه المواطن لايصح أن تقع شرطاً فإذا وقعت جواباً اقترنت بالفاء.

وسبب اختيار الفاء للربط هو أنها أي الفاء تفيد السبب عموماً في الشرط وغيره تقول: (الطفل يبكي فيضحك أخوه) و (يقوم خالد فيقوم محمد) قال تعالى: ﴿انّا أعطيناك الكوثر فصلِ لربكَ وانحر- الكوثر ١، ٢﴾، فجئ بها في الشرط للدلالة على السبب.

جاء في (التصريح): "وخصت الفاء بذلك لما فيها من معنى السببية"[١٠٤].

وقال أبو حيان: "وهذه الفاء هي فاء السبب الكائنة في الايجاب في نحو قولك: (يقوم زيد فيقوم عمرو) وكما يربط بها عند التحقيق يربط بها عند التقدير[١٠٥]".

وقال ابن يعيش: "فأتوا بالفاء لأنها تفيد الاتباع وتؤذن بأن مابعدها مسبب عمّا قبلها"[١٠٦].

وليست هذه مهمة الفاء فقط، بل هي قد تفيدنا ايضاً في تعيين الجزاء وايضاح المعنى وأن حذفها قد يؤدي الى الالباس أو الى عدم اكتمال المعنى في تعبيرات عديدة

---

(١٠٣) انظر التصريح ٢٤٩/٢، شرح الرضي على الكافية ٢٩١/٢.

(١٠٤) التصريح ٢٥٠/٢.

(١٠٥) الهمع ٦٠/٢.

(١٠٦) شرح ابن يعيش ٢/٩.

وذلك نحو قولنا (من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها) ألا ترى أنا لو حذفنا الفاء وقلنا (من أحسن لنفسه) كان (لنفسه) متعلقاً بـ (أحسن) وبقي الكلام غير تام، فلما جئنا بالفاء اتضح القصد وتم المعنى.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وما تنفقوا من خير فلأنفسكم - البقرة ٢٧٢﴾ فلو قلت: (وما تنفقوا من خير لأنفسكم) لم يكتمل المعنى لان المجرور ارتبط بالشرط فأصبح في حيّزه ولم يصبح في حيّز الجزاء. وكذا لو قلت: (ان تصبهم سيئة فبما قدمت أيديهم) كان الجزاء (فبما قدمت أيديهم)، وكان المعنى أنه إذا أصابتهم سيئة فإنه بسبب ما اكتسبته أيديهم، ولو حذفنا الفاء لم يتم المعنى.

ومثله (اذا استعنت فبالله) أي فاستعن بالله ولو حذفت الفاء لم يتم المعنى لأن المجرور يرتبط بالفعل.

ثم ان المعنى قد يتغير بتغير موضع الفاء في الجملة وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما - البقرة ٢٣٣﴾ فإذا قلت (فإن أرادا فصالاً فعن تراض منهما) كان المعنى إنهما إذا أرادا الطلاق فإنما أراداه عن تراض. اي ان التراضي على الطلاق وقع وحصل.

وانظر الى قولنا (ان تركه لك عن طيب نفس تأخذه) فإن الجواب هو: (تأخذه) والمعنى إذا تركه طيبة نفسه أخذته، ولكن لو قلنا (إن تركه لك فعن طيب نفس تأخذه) كان المعنى انه إذا تركه فأخذك له عن طيب نفس، أو يكون: إن تركه لك فقد تركه عن طيب نفس و (تأخذه) استئناف أي أنت تأخذه. ولو قلنا (إن تركه فلك عن طيب نفس تأخذه) كان المعنى إذا تركه فهو لك، تأخذه عن طيب نفس.

ونحو ذلك أن تقول: (إن أكرمت كريماً أعاده عليك بخير مما فعلت) فالجواب هنا (أعاده) ولكن إذا قلت (إن أكرمت فكريماً أعاده عليك بخير مما فعلت) كان المعنى: إن أكرمت فقد أكرمت كريماً، وجملة (أعاده عليك) صفة. ولو قلت (إن أكرمت كريماً أعاده عليك بخير فما فعلت) كان المعنى إذا أكرمت كريماً هذه صفته فهذا من فعلك.

ونحوه : (إذا مشيت الى مكرمة فلي أجرها) و(إذا مشيت فالى مكرمة لي أجرها) فالجواب في الثانية (الى مكرمة) و (لي أجرها) نعت لها والجواب في الاولى (فلي أجرها).

وانظر الى قوله تعالى : ﴿إن كان قميصه قُدَّ من قُبُل – يوسف ٢٦﴾ ، فلو قلت (ان كان قميصه قد فمن قُبل) كان المعنى انّ قميصه قُدَّ من قُبل.

وكذا قوله تعالى ﴿إن كنتُ على بينة من ربّي ورزقني منه رزقاً حسنا – هود ٨٨﴾ والجواب في الآية محذوف. ولو قلت (إن كنت على بينة فمن ربّي) كان المعنى اني اذا كنت على بينة فذلك من ربي. وكان (فمن ربي) هو الجواب.

وتقول : (إذا أرسلنا لهم قاضياً قضى بينهم بالعدل) فالجواب : (قضى) فاذا جئت بالفاء كان الجزاء حينما وضعتها فيه. فإن قلت : (إذا أرسلنا لهم قاضياً قضى بينهم فبالعدل) كان الجواب (بالعدل) أي بالعدل كان حكمه أو فبالعدل فعلنا، وتقول : (إذا أرسلنا لهم فقاضياً قضى بينهم بالعدل) أي إذا أرسلنا احداً فإنا أرسلنا قاضياً وكان (قاضياً) هو الجزاء وجملة (قضى بينهم) نعت له.

ونحوه أن تقول (إذا قضيت أمراً فلا رادّ له) والجواب (فلا رادّ له). ولو قلت (اذا قضيت فأمر لا رادّ له) كان المعنى فقضاؤك أمر لارادّ له، وكانت (لا رادّ له) صفة. أو تقول (فأمراً)، أي فقد قضيت أمراً.

وانظر الى هذه الجملة كيف يتغير المعنى بتغير موضع الفاء :

إذا رأيت إبراهيم حاد عنّي.

إذا رأيت إبراهيم حاد فعني.

إذا رأيت فإبراهيم حاد عنّي.

فالفاء ليست لمجرد الربط بل لها غرض آخر لايتضح المعنى الا بها احياناً.

دخول الفاء جوازاً على الجواب :

قد يقترن جواب الشرط بالفاء جوازاً وذلك إذا كان الفعل ماضياً وقصد به وعد أو وعيد وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ومن جاء بالسيئة فكُبّت وجوههم في النار– النمل ٩٠﴾ ، أو كان مضارعاً مجرداً أومنفياً بـ (لا) وقبل بـ (لم) ايضاً[١٠٧] . وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ومن كفر فأمتعه قليلاً– البقرة ١٢٦﴾ وقوله ﴿فإن طلقها فلا تحل له– البقرة ٢٣٠﴾.

أما الماضي الذي قصد به وعد أو وعيد فاقترانه بالفاء يدل على أنه نُزل منزلة ماضي المعنى مبالغة في تحقق وقوعه[١٠٨] ، أي كأن الأمر حصل وتم.

وأما المضارع المجرد أو المنفي بلا فهو عند الاكثرين على تقدير مبتدأ بعد الفاء قالوا ولذا يرتفع الفعل بعدها.

جاء في (الهمع) : "ويرفع الجواب وجوباً ان قرن بالفاء سواء كان فعل الشرط ماضياً نحو ﴿ومن عاد فينتقم الله منه[١٠٩]﴾ أم مضارعاً نحو ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً[١١٠]﴾ رفع لانه حينئذٍ من جملة اسمية وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ، فهو لايخاف[١١١]".

وقال الرضي : "مذهب سيبويه تقدير المبتدأ في الاخير ليكون جملة اسمية في التقدير. وقال المبرد لاحاجة اليه... وان ثبت نحو قولك : (إن غبت فيموت زيد) لم يكن لمذهب سيبويه وجه اذ لايمكن في مثله تقدير مبتدأ الاّ ضمير الشأن ولا يجوز الاّ بعد المخففة قياساً وبعد انّ واخواتها ضرورة[١١٢]".

---

(١٠٧) انظر شرح ابن الناظم ٢٨٨ ، التصريح ٢٤٩/٢.
(١٠٨) شرح الأشموني ٢٣/٤ ، حاشية الصبان ٢٣/٤.
(١٠٩) المائدة ٩٥.
(١١٠) الجن ١٣.
(١١١) همع الهوامع ٦٠/٢ ، وانظر التصريح ٢٤٩/٢– ٢٥٠ ، كتاب سيبويه ٤٣٧/١– ٤٣٨.
(١١٢) شرح الرضي على الكافية ٢٩٢/٢.

وهذا الافتراض الذي ذكره الرضي ثابت في فصيح الكلام، ولاداعي للتوقف فيه. قال تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون- القصص ٨٤﴾ فلا يصح تقدير مبتدأ ههنا.

والذي يبدو لي أن هذه الفاء لما غرض في الكلام وليس دخولها كخروجها.

أما دخولها على الفعل الماضي فقد ذكر النحاة الغرض منه وهو الاشعار بأن الحدث وقع فعلاً أو هو بمنزلة الواقع تحقيقاً وتأكيداً له.

وأما في المضارع فالذي يبدو أنها تفيد التوكيد فقوله تعالى: ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره- البقرة ٢٣٠﴾ آكد من قولنا (فإن طلقها لاتحل) بلا (فاء). وقوله: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً- طه ١١٢﴾ آكد من قولنا (لايخف ظلماً ولا هضماً).

ويدل على ذلك أمور منها:

إن الفاء قد تكون زائدة للتوكيد.

جاء في (المغني) في معاني الفاء: "الثالث ان تكون زائدة دخولها في الكلام كخروجها[113]".

جاء في (حاشية الدسوقي على المغني) تعليقاً على هذا القول:

"فلا ينافي انها تفيد توكيد المعنى وتقويته لقولهم: إن زيادة الحروف تدل على زيادة المعنى. وقد ينضم لذلك تزيين اللفظ وتحسينه والأوزان [illegible][114]".

ويدل على ذلك استعمالها في غير الشرط فهي قد تفيد التوكيد. قال تعالى ﴿وربك فكبّر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر- المدثر ٣- ٥﴾.

يذكر النحاة ان الفاء دخلت هنا لمعنى الشرط "كأنه قيل: وما كان فلا تدع تكبيره[115]".

---

(١١٣) المغني ١/١٧٧.

(١١٤) حاشية الدسوقي ١/١٧٧

(١١٥) الكشاف ٣/٢٨٥

والحق انّا لانشم رائحة للشرط هنا بل هو زيادة في التأكيد والتخصيص، فقدم المفعول للتخصيص وجاء بالفاء زيادة في التوكيد، ونحوه قوله تعالى: ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين – الزمر ٦٦﴾، وقوله: ﴿واياي فارهبون – البقرة ٤٠﴾ فجاء بالفاء زيادة في التوكيد.

وقد ذهب أبو الفتح الى أنها زائدة في نحو (وربك فكبر) ونحوه أن يقال: زيداً فاضرب وعمراً فاشكر[116].

والفاء لاتزال تستعمل عندنا في لغتنا الدارجة في العراق لتوكيد الكلام تقول: (والله ماأروح) فإذا أكدناه قلنا (والله فلا أروح).

واذا كانت تستعمل في الفعل الماضي للدلالة على تأكيد وقوع الفعل فما المانع من أن تكون كذلك في المضارع؟

ويدلك على ذلك الاستعمال القرآني فقد جاءت الفاء في المواطن التي فيها زيادة في التوكيد. قال تعالى: ﴿اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون – يونس ٤٩﴾.

وقال: ﴿فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون – النحل ٦١﴾.

وقال في سورة الاعراف ايضاً ﴿فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون – الاعراف ٣٤﴾.

فأنت ترى انه أتى بالفاء في آية يونس ولم يأت بها في الآيتين الاخريين. وسبب ذلك – والله أعلم – إن الموطن في سورة يونس آكد – يدل على ذلك سياق الآيات:

قال تعالى في سورة يونس قبل هذه الآية: ﴿ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهو لايظلمون. ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. قل لاأملك لنفسي ضراً ولا نفعاً الاّ ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون – يونس ٤٧ – ٤٩﴾.

---

(١١٦) أنظر التفسير الكبير ١٩١/٣٠ في قوله تعالى (وربك فكبّر).

وقال في سورة الاعراف: ﴿قل انما حرّم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والأثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون، ولكل أمة اجل فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون- الاعراف ٣٣-٣٤﴾.

وقال في سورة النحل: ﴿للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السّوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم. ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسّمى فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون- النحل ٦٠، ٦١﴾.

فالكلام في سورة يونس هو في آجال الامم وحسابها يوم القيامة. فقد ذكر أن كل أمة إنما تدعى وتحاسب بأجلها المحدد لها. والمشركون ينكرون هذا ويسخرون منه قائلين: ﴿أإذا متنا وكنّا تراباً ذلك رجع بعيد- ق ٣﴾، ويقول بعضهم لبعض: ﴿هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مُزّقتم كل ممزّق انكم لفي خلق جديد- سبأ ٤٨﴾ وفي هذا الموطن ايضاً يسخرون قائلين: ﴿متى هذا الوعد ان كنتم صادقين- يونس ٤٨﴾ فأنكارهم هذا يستدعي التوكيد ولذا قال بعد هذه الآيات: ﴿ويستنبئونك أحق هو؟ قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين- يونس ٥٣﴾ فيأمر الرسول أن يقسم لهم على ذلك. فموطن التوكيد واضح في آية يونس بخلاف الموطنين الآخرين.

اما آية الاعراف فإن ذكر الأجل يأتي فيها عرضاً كما هو ظاهر من السياق.

وآية النحل كذلك، فانها جاءت تعليقاً على معتقدهم بأن الملائكة بنات الله مع انهم يكرهونهن لانفسهم قال: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون. واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الا ساء مايحكمون - النحل ٥٨ - ٥٩﴾ فردّ الله عليهم بقوله: ﴿للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم - ٦٠﴾.

ثم قال : ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ... الآية ٦١﴾ أي ان هؤلاء ظلموا وجاروا في قولهم فنسبوا الى الله مالا يليق به فلو يؤاخذهم بذلك لعجل لهم العذاب ولكنه يؤخرهم الى أجل مسمى لايتعدونه. ثم يعود بعد هذه الآية الى حكاية معتقدهم الباطل فيقول : ﴿ويجعلون لله مايكرهون﴾ أي البنات لأنهم يكرهونهن كما حكى عنهم ذلك.

فأنت ترى أن ذكر الأجل جاء عرضاً في أثناء الكلام على الاعتقادات الباطلة وليس كذلك الأمر في سورة يونس. فإن السياق فيها إنما هو في آجال الأمم وحسابها في اليوم الآخر الذي ينكره المتحدث عنهم من الكفرة فاحتاج الكلام الى زيادة توكيد بخلاف الموطنين الآخرين.

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً – الجن ١٣﴾ : "فلا يخاف – فهو لايخاف أي فهو غير خائف ولأن الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذاك لقيل (لايخف).

فان قلت : أيّ فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبراً له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال : لايخف؟

قلت : الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لايخاف فكان دالاً على تحقيق ان المؤمن ناج لامحالة ، وانه هو المختص بذلك دون غيره[117]".

فقد ذكر أن الفاء دّلت على تحقيق أن المؤمن ناج لامحالة ولكنه لم يخرج من دائرة النحاة في تقدير مبتدأ ليكون الكلام من باب التخصيص .وهذا مالا داعي له ولا يصدق على كثير من التعبيرات ، فاين التخصيص في قوله تعالى مثلاً ﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً – الاحقاف ٨﴾ ؟

فإن تقديره كما يذهب النحاة (فأنتم لاتملكون لي من الله شيئاً) وعلى هذا التقدير يفيد الكلام تخصيصاً ، ولكن [illegible] فهو لاتملكون له من الله شيئاً كما لايملك [illegible] من الله [illegible] ليسوا هم [illegible]

(١١٧) الكشاف [illegible]

ويردّ هذا ايضاً انه لايصح تقدير مبتدأ احياناً بعد الفاء كما ذكرنا فينتفي هذا المعنى.

إن صاحب الكشاف لو اقتصر على معنى التحقيق لكان كلامه أسلم ومذهبه أسدّ والله أعلم.

وجاء في (أنوار التنزيل) في قوله تعالى: ﴿فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون. والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون - الاعراف ٣٥-٣٦﴾ قوله: "وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد"[١١٨]. فقد ذكر أن ادخال الفاء افاد المبالغة في الوعد ومعنى المبالغة ههنا التوكيد بخلاف عدم ذكرها فدل ذلك على صحة ماذكرناه والله أعلم.

اقترانه بـ اذا الفجائية

قد يقترن جواب (ان) و (إذا) من بين أدوات الشرط بـ (إذا) الفجائية وذلك إذا كان الجواب فيه شروط معينة يذكرها النحاة.

جاء في (التصريح): "ويجوز أن تغني (إذا) الفجائية عن الفاء في الربط لأنها اشبهت الفاء في كونها لايبتدأ بها ولا تقع الاّ بعد ما هو معقب بما بعدها فقامت مقامها إن كانت الاداة الجازمة (ان)..... أو كانت الاداة غير الجازمة (إذا) الشرطية لانها تشبه (ان) في كونها ام باب الشروط غير الجوازم، والجواب فيها جملة اسمية موجبة غير طلبية وغير مقرونة بـ (ان) التوكيدية[١١٩]".

وعلى هذا فإن الجواب ليصلح اقترانه بـ (إذا) الفجائية يجب أن تكون فيه الشروط الآتية:

---

(١١٨) انوار التنزيل ٢٠٤.

(١١٩) التصريح ٢٥١/٢، وانظر الاشموني ٢٣/٤، الهمع ٦٠/٢.

١- أن يكون جملة اسمية فإن كان فعلية لم يجز اقترانها به فلا يجوز اقترانها في نحو (إن كان قميصه .... فصدقت).

٢- أن تكون الجملة مثبتة فإن كانت منفية لم يصح اقترانه بها فلا يجوز (أن يسافر اذا ما أنا مسافر).

٣- أن تكون الجملة خبرية فاذا كانت غير خبرية لم يصح اقترانه بها فلا [illegible] (ان عصيت اذا ويل لك).

٤- أن تكون غير مقرونة بـ (انَّ) المؤكدة فلا يصح ان تقول: (ان [illegible] إذا اني معك).

ومثال مااجتمعت فيه الشروط قوله تعالى: ﴿واذا ذُكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون- الزمر ٤٥﴾ وقوله: ﴿اذا دعاكم دعوة من الارض إذا أنتم تخرجون- الروم ٢٥﴾.

وهناك شرط أغفله النحاة وهو أن يحتمل الكلام معنى المفاجأة والاَّ لم يحسن دخولها وإن وجدت الشروط. فلا يحسن مثلاً أن يقال في نحو قوله تعالى: ﴿وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم- البقرة ٢٧١﴾، (اذا هو خير لكم) فانه ليس فيها معنى المفاجأة.

ولايحسن في نحو قوله تعالى: ﴿فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان- البقرة ٢٨٢﴾ أن يقال: (اذا رجل وامرأتان) أو (اذا هما رجل وامرأتان) ولا في نحو قوله تعالى: ﴿وان كانت واحدة فلها النصف- النساء ١١﴾ أن يقال (اذا لها النصف)، ولا في نحو قوله: ﴿ان يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما- النساء ١٣٥﴾ أن يقال (اذا الله اولى بهما) ولا في قوله ﴿وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير- الانعام ١٧﴾ ان يقال (اذا هو على كل شيء قدير).

بل لابد من توفر عنصر المفاجأة ليصح الكلام وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطُوا منها رضُوا وان لم يُعطَوا منها اذا هم يسخطون- التوبة ٥٨﴾ أي يسخطون فجأة، وقوله ﴿اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون- الروم ٢٥﴾ أي تخرجون فجأة استجابة لأمر الله.

فلا يحسن وضع (اذا) في المواطن التي يذكرها النحاة اذا لم يكن الموطن صالحا للمفاجأة.

ان الفاء تفيد السبب ولا تفيد المفاجأة وهناك فرق بين السبب والمفاجأة، ألا تحسّ فرقا في المعنى بين قوله ﴿وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون﴾ والقول (فهم يسخطون)؟ ألا ترى أن في الاول سرعة تغير ومفاجأة في الموقف، وأمّا الثاني فسبب محض وليس فيه معنى المفاجأة؟.

تقول (من اسلم فله الجنّة) و (من فتن المؤمنين في دينهم فله عذاب شديد) فالفاء افادت السبب ولم تفد المفاجأة والسرعة فالعذاب قد يكون في الآخرة.

وعلى هذا فان (اذا) لاتغني عن الفاء ولا الفاء تغني عن (اذا) بل لكل منها غرض ومعنى.

قالوا: "وقد يجمع بين الفاء واذا الفجائية تأكيداً خلافاً لمن منع ذلك قال تعالى: (فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا).

قال الزمخشري: (اذا) هذه هي الفجائية وقد تقع في المجازاة سادّة مسدّ الفاء فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء فيتأكد ولو قيل: اذا هي شاخصة، أو (فهي شاخصة) كان سديداً. اهـ"[١٢٠].

ولاشك انه قد يجمع بينهما كما ورد في القرآن الكريم ولكن ليس توكيداً اذ ليسا هما بمعنى واحد حتى يفيد اجتماعهما التوكيد بل لجمع معنيي الفاء و (اذا) فيراد باجتماعهما السببية والمفاجأة. قال تعالى: ﴿حتى اذا هي فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ياويلنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنّا ظالمين— الانبياء ٩٦، ٩٧﴾ فجمع بين الفاء و (اذا) لارادة معنيي السبب والمفاجأة، وليس حذف احدهما يغني الآخر عن ذكره كما هو ظاهر كلام الزمخشري، بل اذا حذف احدهما لم يؤدّ الآخر معناه والله اعلم.

---

(١٢٠) التصريح ٢/٢٥١.

رفع جواب الشرط بغير الفاء

إذا وقع جواب الشرط مضارعاً والشرط ماضياً جاز في جواب الشرط وجهان: الرفع والجزم نحو (ان جئتني ازرك) و (ان جئتني ازورك)[121]. قال تعالى: ﴿وما عملت من سوء تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً ـــ آل عمران ٣٠﴾. فما الفرق بين التعبيرين في المعنى؟

الذي يبدو أن رفع الفعل أقوى وادل على الامضاء من جزمه وذلك لأنَّ اصل الكلام في الرفع تقديم المتأخر، والتقدير في الجملة السابقة (ازورك ان جئتني) فيكون الكلام في الرفع قد بني على امضاء الحدث ثم ادرك المتكلم الشرط مؤخراً[122]، واما في الجزم فقد بني الكلام على الشرط ابتداء ولذلك جزم الجواب.

قال سيبويه: "وقد تقول: (إن اتيتني آتيك) أي آتيك إن أتيتني... ولايحسن ان تأتني آتيك) من قبل ان (إن) هي العاملة"[123].

فبالجزم يكون الكلام مبنيا على الشرط وبالرفع يكون الكلام مبنيا على الامضاء ولو كان مبنيا على الشرط لجزم.

العطف على الشرط والجواب

اذا جئت بفعل مضارع مقرون بالواو أو الفاء بعد فعل الشرط جاز فيه وجهان: الجزم على الاتباع، والنصب. تقول: (ان تضرب خالداً وتهنه اغضب عليك) وتقول: (ان تضرب خالداً وتهينَه اغضب عليك). فالجزم على العطف والنصب على المعية.

وتقول: (ان تعنّف اخاك فتغضبْه لا اكلمك) بالجزم، تقول: (ان تعنف اخاك فتغضبَه لا اكلمك) بالنصب على السببية.

---

(١٢١) انظر شرح الرضي على الكافية ٢/٢٩٠، شرح ابن الناظم ٢٨٧، شرح الأشموني ٤/١٧.

(١٢٢) انظر الاصول لابن السراج ٢/١٩٦.

(١٢٣) كتاب سيبويه ١/٤٦٣.

فان جئت بالفعل بعد الجواب جاز فيه الرفع على الاستئناف زيادة على الوجهين السابقين[١٢٤]، نحو (ان تكرم سالما اكرمك واساعدك) فالجزم على العطف، والنصب على المعية، والرفع على الاستئناف ومعنى الاستئناف انك تساعده سواء فعل ذلك أم لا.

فمعنى الجزم انك تساعده ان اكرم سالما، ومعنى الرفع انك تساعده على كل حال وليست مساعدتك له مرتبطة بالشرط. ومثله قوله تعالى: ﴿وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون— آل عمران ١١١﴾، فجاء بالفعل مرفوعاً والمعنى انهم لاينصرون وليس ذلك مشروطاً بالقتال وانما هو اخبار مستأنف ولو جزم لكان مشروطا بالقتال.

إجتماع الشرط والقسم

إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منها فان تقدمها ذو خبر جاز جعل الجواب لأيّ منها[١٢٥].

وذلك لان المتقدم يكون الكلام مبنيا عليه فإذا قلت (والله ان زرتني لأكرمنك) فقد بنيت الكلام على القسم وكان الشرط مقيداً له. وان قلت (ان زرتني والله اكرمك) كنت بنيت الكلام على الشرط وجعلت القسم معترضاً.

جاء في (امالي ابن الشجري): "والله ان قمت لأقومن— لأقومن جواب القسم والشرط معترض... وان تقدم الشرط كان القسم معترضا والجواب للشرط مثل: ان قمت والله قمت[١٢٦]".

فان تقدمها ذو خبر نحو (انا والله ان تأتني اكرمك) جاز جعل الجواب للقسم أو للشرط باعتبار ان الكلام بني على اسم متقدم غير الشرط والقسم وهو يحتاج الى خبر

---

(١٢٤) انظر: الاشموني ٤/٢٤- ٢٥، التصريح ٢/٢٥١.

(١٢٥) التصريح ٢/٢٥٣، شرح ابن الناظم ٢٩٠، شرح ابن عقيل ٢/١٢٦.

(١٢٦) امالي ابن الشجري ١/٢٤٠، وانظر شرح الرضي على الكافية ٢/٢٨٤، كتاب سيبويه ١/٤٤٤.

فيمكن جعل كل من القسم أو الشرط معترضا فإذا قلت: (انا والله ان تأتني آتك) جعلت القسم اعتراضاً بين المبتدأ والخبر، وان قلت (انا والله ان اتيتني لآتينك) جعلت الشرط قيداً للقسم.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية يبدو أن اطلاق لفظ (معترض) أو (اعتراض) على الشرط غير موفق احيانا لانه قد يفهم أن اهميته ثانوية في الكلام في حين انه قد يكون الكلام قسما على الشرط وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذن لمن الظالمين ــ البقرة ١٣٥﴾ فانه ليس من السداد أن تقول ان اصل الكلام: والله انك لمن الظالمين ثم اعترض بالشرط، كيف وقد أقسم الله على الشرط ؟؟

ونحوه قوله تعالى: ﴿وان اطعتموهم انكم لمشركون ــ الانعام ١٢١﴾ فان القسم مضمر عند النحاة وتقدير الكلام (ولئن اطعتموهم) بدليل ان الجواب للقسم ولم يقترن بالفاء.

جاء في (الكتاب): "فلو قلت: (ان اتيتني لأكرمنّك) و (ان لم تأتني لأغمنّك) جاز لانه في معنى لئن أتيتني لأكرمنّك، ولئن لم تأتني لأغمنك ولابد من هذه اللام مضمرة أو مظهرة لانها لليمين كأنك قلت: والله لئن اتيتني لأكرمنك"[127].

وهو كما ترى قسم على الشرط، فالشرط هو المقصود بالكلام وقد أقسم الله عليه، فتسمية الشرط معترضا في نحو هذا تسمية غير موفقة لاتناسب اهميته في الكلام ولا في اداء المعنى، وعلى أي حال فهو مصطلح نحوي وهو نظير التسمية بالفضلة مع أن المعنى يتوقف عليها احيانا فإذا حذفت ذهب معنى الكلام وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ولاتمش في الارض مرحا ــ لقمان ١٨﴾ وقوله: ﴿واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ــ النساء ١٤٢﴾ وقوله: ﴿وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين ــ الانبياء ١٦﴾، وقول الشاعر:

---

(١٢٧) كتاب سيبويه ١/٤٣٦ وانظر المغني ٢/٦٤٠.

انما الميت من يعيش كئيباً   كاسفاً باله قليل الرجاء

ونحو (ضربني العبد مسيئاً) فاذا حذفت الفضلة في نحو هذا اختل الكلام وفسد المعنى ومع ذلك فالمنصوبات ههنا تسمى فضلة في الاصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح.

حذف جواب الشرط

أ- حذفه وجوبا:

يحذف جواب الشرط وجوباً وذلك اذا تقدم عليه أو اكتنفه ما يدل عليه وكان فعل الشرط ماضياً نحو (ازورك ان زرتني) ونحو (انت مفلح ان صدقت) و (انت ان صدقت مفلح). قال تعالى: ﴿وانّا ان شاء الله لمهتدون﴾ البقرة ٧٠ [١٢٨].

وعند الكوفيين ان جواب الشرط هو المتقدم في نحو (ازورك ان زرتني) (أزورك) هو الجواب عندهم [١٢٩].

وقد ردّ البصريون ذاك بأنه لو كان الجواب هو المتقدم لجزم اذا كان فعلاً وللزمته الفاء اذا كان جملة اسمية [١٣٠] فكان يصح أن يقال (ازرك ان زرتني) و (فأنت مفلح ان صدقت).

ويرده ايضاً أنا نقول (اذا امطرت السماء نبت الزرع) ولا نقول "نبت الزرع اذا امطرت السماء) بل نقول (ينبت الزرع) ونقول (اذا فارقته الحمّى خرج) ولانقول (خرج اذا فارقته الحمّى)، ونقول (ان زرتني زرتك) ولانقول (زرتك ان زرتني) بل نقول (أزورك) فدل على ان المتقدم ليس جواباً للشرط.

وذهب جماعة من البصريين الى أن ثمة فرقا في المعنى بين التقديم والتأخير فان قولنا (ازورك ان زرتني) الكلام فيه مبني على الوعد غير المشروط ثم بدا للمتكلم ان يشترط بخلاف ما إذا بدأ بالشرط فقال (ان زرتني زرتك) فانه بناه ابتداء على الشرط.

---

(١٢٨) انظر المغني ٢/٦٤٧.

(١٢٩) انظر شرح الاشموني ٤/١٥.

(١٣٠) انظر شرح ابن يعيش ٩/٧.

قال ابن السراج: "فأما قولهم (أجيئك إن جئتني) و (آتيك إن تأتني) فالذي عندنا ان هذا الجواب محذوف كفي عنه الفعل المقدم وانما يستعمل هذا على جهتين:

اما ان يضطر اليه شاعر فيقدم الجزاء للضرورة وحقه التأخير

[illegible] (احيئك) فهذا يذلك على

[illegible] الا [illegible] فتقول: ان جئتني، ويستغني عن الجواب بما

قدم[131]

قيل [illegible] كذلك بل الكلام مبني على الشرط وان تأخر

جاء في (البرهان): "ففي التقدم بني الكلام على الخبر ثم طرأ التوقف، وفي التأخير بني الكلام من اوله على الشرط. كذا قاله ابن السراج وتابعه ابن مالك وغيره.

ونوزعا في ذلك بل مع التقديم الكلام مبني على الشرط كما لو قال: له عليّ عشرة الآ درهما، فانه لم يقر بالعشرة ثم انكر درهما ولو كان كذلك لم ينفع الاستثناء

ثم زعم ابن السراج ان ذلك لايقع الآ في الضرورة وهو مردود بوقوعه في القرآن كقوله: ﴿ واشكروا لله ان كنتم إيّاه تعبدون﴾ [البقرة ١٧٢]"[132]

اما قوله ان ابن السراج زعم أن ذلك لايقع الآ في الضرورة فهو وهم على ابن السراج فانه لم يقل ذلك، وانما قال: ان هذا التعبير اما ان يقع في ضرورة شعر وان الشاعر لم يقصد منه ما يقصد في اختيار الكلام، واما ان يكون على نية ذكر الجزاء بغير شرط ثم بدا له ان يذكر الشرط فيما بعد. وهذا حق.

واما ما ذكره صاحب البرهان فلا اراه ينهض دليلا على ردّ ابن السراج فهناك فرق بين القولين. فقولهم (له عليّ عشرة الآ درهما) جملة واحدة، والجملة الواحدة تؤخذ بكامل قيودها. واما (اجيئك ان جئتني) فجملتان.

---

(١٣١) الاصول ٢/١٩٦.

(١٣٢) البرهان ٢/٣٦٦-٣٦٧.

وأيا كان الامر فانه يبدو على كل حال ان الحدث المتقدم آكد وأكثر تحقيقاً من المتأخر، فعلى ماذكره ابن السراج ان الكلام مبني على الوعد واليقين ولم يبن على الشرط، ولو بناه على الشرط لجزمه.

وحتى [illegible]

ذلك ان حدوثه آكد وأقوى.

واما اذا اكتنفه ما يدل عليه نحو قولنا (أنت ان درست ناجح) فالشرط في نحوه اعتراض من غير شك. فأنت بنيت كلامك على اليقين ثم اعترضك الشرط قبل ان تتم الكلام ونحوه (محمد ظننت مسافر) فانك اردت ان تخبر عن سفر محمد باليقين ثم اعترضك الظن.

وعلى هذا نحن نقول:

ان درست فأنت ناجح.

أنت ان درست ناجح.

أنت ناجح ان درست.

فالجملة الاولى مبنية على الشرط ابتداء، والثانية مبنية على الخبر والشرط معترض. والثالثة مبنية على اليقين حتى اذا مضى الكلام على اليقين أدركك الشرط فاستأنفته في الكلام. فالنجاح في الجملة الاخيرة آكد لان الاخبار مضى على اليقين اما الشرط فتأخر. ثم الثانية لأن الشرط اعترض الخبر، ثم الاولى لان الكلام فيها مبني على الشرط ابتداء.

اما الاشتراط للحذف ان يكون فعل الشرط ماضيا في كل ما مر مع القسم او مع غيره فانه يبدو أن العرب لاتجزم بعد اداة الشرط الا اذا ارادت بناء الكلام على الشرط. فان الجزم بها يعني ان الكلام مبني على الشرط فلا تحذف لان الكلام سيتناقض اذ كيف يكون الكلام مبنيا على الشرط واليقين في وقت واحد؟ فانك اذا قلت (ازورك ان تزرني) كان الكلام مبنيا على الشرط بدلالة الجزم وكان مبنيا على اليقين بدلالة ما تقدم عليه وارتفاعه اذ لو كان جوابا لجزم فيكون الكلام مبنيا على الشرط واليقين في آن واحد وهو باطل.

قال سيبويه : "وقبح في الكلام ان تعمل (إنْ) أو شيء من حروف الجزاء في الافعال حتى تجزمه في اللفظ ثم لايكون لها جواب ينجزم بما قبله.

ألا ترى أنك تقول (آتيك إن أتيتني) ولا تقول (آتيك إن تأتني) إلاّ في شعر"[١٣٣].

وهذا يؤيد ما ذهب اليه ابن السراج.

ب- حذفه جوازا :

وهو على ضربين :

الاول : أن يحذف اختصار نحو قوله تعالى : ﴿قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون— يس ١٩﴾ أي (تطيرتم) بدليل قوله تعالى (قالوا انا تطيرنا). ونحو قوله : ﴿واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون— يس ٤٥﴾ أي (أعرضوا)[١٣٤].

جاء في (المقتضب) : "فأما حذف الخبر فمعروف جيد من ذلك قوله : ﴿ولو أن قرآنا سيّرت به الجبال أو قطعت به الارض أوكلم به الموتى بل لله الامر جميعاً﴾[١٣٥] قال الراجز :

لو قد حداهن ابو الجوديّ

برجز مسحنفر الرويّ

مستويات كنوي البرنيّ

لم يأت بخبر لعلم المخاطب، ومثل هذا الكلام كثير. ولايجوز الحذف حتى يكون المحذوف معلوماً بما يدل عليه من متقدم خبر أو مشاهدة حال"[١٣٦].

الثاني للدلالة على التفخيم والتعظيم.

---

(١٣٣) كتاب سيبويه ١/٤٣٦.

(١٣٤) انظر الايضاح للقزويني ١/١٨٧، البرهان ٣/١٨٣، الهمع ٢/٦٢، الاتقان ٢/٥٧.

(١٣٥) الرعد ٣١.

(١٣٦) المقتضب ٢/٨١ وانظر كتاب سيبويه ١/٤٥٣.

جاء في (البرهان) : "قالوا : وحذف الجواب يقع في مواقع التفخيم والتعظيم ويجوز حذفه لعلم المخاطب به وانما يحذف لقصد المبالغة لان السامع مع اقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب ، ولو صرّح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به فلا يكون له ذلك الوقع ، ومن ثم لا يحسن تقدير الجواب مخصوصا الآ بعد العلم بالسياق.."(١٣٧).

وجاء في (الايضاح) للقزويني : "ان يحذف للدلالة على انه شيء لايحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوبا أو مكروهاً الاّ يجوز ان يكون الامر اعظم منه ، ولو عين شيء اقتصر عليه وربما خف أمره كقوله : ﴿وسيق الذين اتقوا الى الجنة زُمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾(١٣٨) وكقوله : ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار﴾(١٣٩) ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على ربهم﴾(١٤٠) ﴿ولو ترى إذ المجرمون نا كسو رؤوسهم عند ربهم﴾(١٤١) .."(١٤٢) .

وقال ابن يعيش : "وقال اصحابنا ان حذف الجواب في هذه الاشياء ابلغ في المعنى من إظهاره . ألا ترى انك إذا قلت لعبدك : (والله لئن قمت إليك) وسكت عن الجواب ذهب فكره الى اشياء من انواع المكروه فلم يدر أيها يبقي ، ولو قلت : لأضربنك فأتيت بالجواب لم تبق شيئاً غير الضرب.."(١٤٣) .

وجاء في (الاتقان) : "انما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد اشياء فيكون في تعدادها طول وسآمة فيحذف ويكتفى بدلالة الحال وتترك النفس تجول في الاشياء المكتفي بالحال عن ذكرها . قال ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي

---

(١٣٧) البرهان ٣ / ١٨٣ .

(١٣٨) الزمر ٧٣ .

(١٣٩) الانعام ٢٧ .

(١٤٠) الانعام ٣٠ .

(١٤١) السجدة ١٢ .

(١٤٢) الايضاح ١ / ١٨٧–١٨٨ .

(١٤٣) شرح ابن يعيش ٩ / ٩ .

يراد بها التعجب والتهويل على النفوس ومنه قوله في وصف اهل الجنة : ﴿حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها﴾ فحذف الجواب اذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لايتناهى [illegible] الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركت [illegible] ذلك كما هنالك . وكذا قوله : ﴿ولو ترى إذ وقفوا على [illegible]﴾ [illegible] قطيعا لاتكاد تحيط به العبارة"[144].

قال تعالى : ﴿وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم﴾ الزمر ٧١

وقال : ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ الزمر ٧٣ .

فقال في أهل جهنم : ﴿حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها﴾ فجعل جواب الشرط (فتحت ابوابها) . وقال في اهل الجنة : ﴿حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها﴾ فجاء بالواو (وفتحت) وحذف الجواب .

قالوا : لأن جهنم سجن لأصحابها والسجون مغلقة الابواب لاتفتح الا للداخل فيها او [illegible] كما قال تعالى : ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ الهمزة ٨ . في حين قال في اهل الجنة (وفتحت ابوابها) لان ابوابها مفتحة لانها دار الكرامة . قال تعالى : ﴿جنات عدن مفتحة لهم الابواب﴾ ص ٥٠ . وحذف الجواب لأن الكلام يضيق عن وصف الكرامة التي اعدت لهم .

جاء في (الكشاف) في هذه الآية : "وانما حذف [يعني الجزاء] لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لايحيط به الوصف . . وقيل ابواب جهنم لاتفتح الاّ عند دخول اهلها فيها ، وأما ابواب الجنة فتقدم فتحها بدليل قوله ﴿جنات عدن مفتحة لهم الابواب﴾ فلذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها"[145] .

---

(١٤٤) الاتقان ٢/٥٧ .

(١٤٥) الكشاف ٣/٤١ وانظر التفسير الكبير ٢٧/٢٣ .

وجاء في (البرهان) في هذه الآية ان ابا علي قال: "انما تركت الواو في النار لانها مغلقة وكان مجيئهم شرطا في فتحها فقوله (فتحت) فيه معنى الشرط. واما قوله (وفتحت) في الجنة فهذه واو الحال كأنه قال: جاؤها وهي مفتحة الأبواب أو هذه حالها.

وهذا الذي قاله ابو علي هو الصواب ويشهد له أمران:

احداهما: ان العادة مطردة شاهدة في اهانة المعذبين بالسجون من اغلاقها حتى يردوا عليها واكرام المنعمين باعداد فتح الابواب لهم مبادرة واهتماما.

والثاني: النظير في قوله ﴿جنات عدن مفتحة لهم الابواب﴾"(١٤٦).

ومن الحذف للدلالة على التهويل والتعظيم قوله تعالى: ﴿ولو ترى اذ وقفوا على النار — الأنعام ٢٧﴾ وقوله: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم — الأنعام ٩٣﴾ ويقولون (لو رأيت فلانا والسياط تأخذ منه) ولما. وهذا الحذف افخم واعظم لان على هذا التقدير يذهب خاطر المخاطب الى كل ضرب من الوعيد فيكون الخوف على هذا التقدير أشد مما اذا كان تعين له ذلك الوعيد(١٤٧).

---

(١٤٦) البرهان ٣/١٨٩-١٩٠ وانظر بدائع الفوائد ٢/١٧٤-١٧٥

(١٤٧) التفسير الكبير للرازي ٤/٢٣٥-٢٣٦، وانظر الكشاف ١/٢٤٩ قوله تعالى ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب﴾.

تشبيه الاسم الموصول بالشرط

قد يشبه الاسم الموصول بالشرط فتدخل في جوابه الفاء نحو (الذي يدخل الدار فله مكافأة) فان دخول الفاء معناه ان المكافأة تترتب على دخول الدار ترتب الجزاء على الشرط فيكون دخول الدار سببا للحصول على المكافأة، واما حذفها فيحتمل السببية وغيرها أي يحتمل ان المكافأة مترتبة على الدخول كالجملة السابقة، ويحتمل ان المكافأة ليست مترتبة على الدخول بل هي له قبل أن يدخل كأنك تقول : انظر الى ذلك الذي يدخل الدار فان له مكافأة، فليس دخول الدار سببا للحصول عليها.

وعلى هذا فدخول الفاء يفيد التنصيص على السبب وحذفها لا يفيد التنصيص على شيء بل يحتمل السبب وغيره.

جاء في (الكامل) في قولهم (الذي يأتيني فله درهم) "فدخلت الفاء لانه استحق الدرهم بالاتيان فان لم ترد هذا المعنى قلت : الذي يأتيني له درهم"[1].

وقال سيبويه : "وسألته عن قوله (الذي يأتيني فله درهمان) لم جاز دخول الفاء ههنا، و (الذي يأتيني) بمنزلة (عبدالله) وأنت لايجوز لك ان تقول (عبدالله فله درهمان)؟

فقال : انما يحسن في (الذي) لانه جعل الآخر جواباً للاول وجعل الاول به يجب له الدرهمان فدخلت الفاء ههنا كما دخلت في الجزاء إذا قال : (إن يأتني فله درهمان). وان شاء قال (الذي يأتيني له درهمان) كما تقول : (عبدالله له درهمان) غير أنه انما دخل الفاء لتكون العطية مع وقوع الاتيان، فاذا قاله (له درهمان) فقد يكون ان لايوجب ذلك بالاتيان، فاذا ادخل الفاء فانما يجعل الاتيان سبب ذلك فهذا جزاء وان لم يجزم لانه صلة"[2].

---

(١) الكامل ٢/٦٤٢.

(٢) كتاب سيبويه ١/٤٥٣ وانظر الخصائص ٣/٣٢٤، شرح ابن يعيش ١/١٠٠-١٠١.

ولا يفيد حذف الفاء تنصيصا على عدم السبب كما ذهب اليه المبرد وجماعة من النحاة.

جاء في (المقتضب): "ألا ترى انك تقول: (الذي يأتيك فله درهم) فلولا أن الدرهم يجب بالاتيان لم يجز دخول الفاء كما لا يجوز (زيد فله درهم) و (عبدالله فمنطلق)... فاذا قلت (الذي يأتيك له درهم) لم نجعل الدرهم له بالاتيان"(٣).

بل ان الفاء تفيد التنصيص على السبب وتجريد الجواب منها يفيد احتمال السببية وغيرها فإذا قلت (الذي يفتح الصندوق له خمسة دراهم) — بلا فاء — فان قولك هذا يحتمل السببية وغيرها أي يحتمل أن الحصول على الدراهم يكون بسبب فتح الصندوق ويحتمل ان الشخص الذي يفتح الصندوق له مبلغ خمسة دراهم وليست هذه الدراهم يستحقها بسبب فتح الصندوق بل هي له قبل ان يباشر فتح الصندوق فكأنك قلت: انظر الى هذا الشخص الذي يفتح الصندوق فان له خمسة دراهم.

ولكن اذا قلت (الذي يفتح الصندوق فله خمسة دراهم) فقد جعلت استحقاق الدراهم بسبب فتح الصندوق.

قال ابن هشام: "كما تربط الفاء الجواب بشرطه كذلك تربط شبه الجواب بشبه الشرط وذلك في نحو (الذي يأتيني فله درهم) وبدخولها فُهم ما اراده المتكلم من ترتب لزوم الدرهم على الاتيان ولو لم تدخل احتمل ذلك وغيره"(٤).

وهذا ما اشار اليه سيبويه في قوله الذي ذكرناه "غير انه انما ادخل الفاء لتكون العطية مع وقوع الاتيان، فإذا قال (له درهمان) فقد يكون أن لا يوجب ذلك بالاتيان" أي يحتمل ذلك وغيره.

قال تعالى: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم — النساء ١٥﴾ فالاستشهاد مترتب على اتيان الفاحشة.

---

(٣) المقتضب ٣/١٩٥-١٩٦.

(٤) المغني ١/١٦٥ وانظر شرح الرضي ١/١٠٩، التصريح ١/١٧٤.

وقال: ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما – النساء ١٦﴾ فالابذاء مترتب على اتيان الفاحشة ترتب الجزاء على الشرط.

[illegible] بالتوكيد [illegible] يدلك على ذلك الاستعمال القرآني.

قال تعالى: ﴿الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم [illegible] أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾

وقال: ﴿الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم [illegible] ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون – البقرة ٢٧٤﴾.

فجاء في الثانية بالفاء دون الاولى وذلك لان الحالة الثانية أمثل [illegible] يدلك على ذلك كثرة الانفاق وعمومه والاخلاص فيه في الثانية [illegible] ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) ولم يقل مثل ذلك في الاولى [illegible] ممن قبلهم فأكد لهم الجزاء وربطه بالفاء.

وقال: ﴿إن الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم [illegible] الضالّون – آل عمران ٩٠﴾

وقال: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يُقبل من أحدهم [illegible] ذهباً ولوافتدى به – آل عمران ٩١﴾.

فجاء في الثانية بالفاء دون الاولى وذلك لما في الثانية من توكيد [illegible] وهم كفار بخلاف الاولى.

ومثله قوله تعالى:

﴿إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله وشاقّوا الرسول من بعد [illegible] لن يضروا الله شيئاً وسيحبط اعمالهم – محمد ٣٢﴾.

وقوله: ﴿ان الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم [illegible] لهم – محمد ٣٤﴾.

وهو نظير مامر، فقد جرد الاولى من الفاء وجاء في الثانية بالفاء توكيداً وذلك لانهم ماتوا وهم كفّار.

وقال: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق – البروج ١٠﴾.

وقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير– البروج ١١﴾.

فجاء في الاولى بالفاء دون الثانية وذلك لان المقام والسياق يقتضيان توكيد الاولى وذلك انها جاءت تعقيباً على الذين فتنوا المؤمنين عن دينهم وجعلوهم في الاخاديد وأضرموا عليهم النار ﴿قتل اصحاب الاخدود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود– البروج ٤–٦﴾ فأكد لهم العذاب بسبب فتنتهم المؤمنين عن دينهم

ويحتمل ان يكون حذف الفاء من اصحاب الجنة اشارة الى أن دخول الجنة ليس بالعمل وحده بل هو برحمة من الله وفضل كما ذكر الرسول (ﷺ) لان العمل الصالح لايبلغ أن يكون مقابلاً للجنة فيكون دخولها برحمة الله واقتسامها بالعمل. قال (ﷺ): (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله. قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا الاّ أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) فحذف الفاء في أهل الجنة لانها ليست السبب للدخول وجاء بها في أهل النار لان أعمالهم هي السبب في دخولها والله أعلم.

وأما قوله تعالى: ﴿الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون – التين ٦﴾ فانه ورد بالفاء لان الايمان والعمل الصالح هما سبب الاجر. فالفرق بين هذه الآية والتي قبلها أن تلك في الجنة والعمل ليس مقابلاً للجنة، وهذه في الأجر وهو سبب له والله أعلم.

ولا يقتصر التشبيه بالشرط على الاسم الموصول بل النكرة الموصوفة إذا كانت صفتها جملة فعلية أو ظرفاً بشرط قصد العموم فقد تتضمن معنى الشرط ويكون في

جوابها الفاء نحو (كل رجل يأتيني فله دينار) و (كل رجل في الدار فله درهم)[٥] و (رجل يسألني فله أجر) و (رجل في المسجد فله بر[٦]).

وكذلك المبتدأ أو اسم (انّ) إذا كان معرفة موصوفاً بالاسم الموصول نحو قوله تعالى: ﴿والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحاً فليس عليهن جناح- النور ٦٠﴾ وقوله: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم- الجمعة ٨﴾ (السعي الذي تسعاه فستلقاه[٧]).
وغير ذلك[٨].

---

(٥) المفصل ١/ ٨٠، وانظر كتاب سيبويه ٤٥٣/١.
(٦) أنظر شرح الاشموني ٢٢٤/١ - ٢٢٥.
(٧) أنظر الهمع ١٠٩/١، شرح الاشموني ٢٢٤/١-٢٢٥.
(٨) أنظر الهمع ١٠٩/١.

التوكيد

التوكيد يفيد تقوية المؤكد وتمكينه في ذهن السامع وقلبه ، جاء في (المفصل : «وجدوى التأكيد أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكّنته في قلبه وأمطت شبهة ربما خالجته أو توهمت غفلة وذهابا عما أنت بصدده فأزلته» [1] .

والعرب تؤكد كل شيء تراه في حاجة الى التوكيد فهي قد تؤكد الحكم كله أو تؤكد جزءاً منه وقد تؤكد لفظة بعينها أو تؤكد مضمون الحكم أو مضمون اللفظة . أو غير ذلك ، فتقول (إن محمداً مريض) و (محمد مريض محمد مريض) فهذا تأكيد للحكم .

وتقول : (محمد نفسه مريض) فهذا تأكيد لكلمة واحدة .

وتقول : (محمد ساع الى الخير سعيا) فهذا تأكيد للحدث الذي تضمنه اسم الفاعل .

وتقول (أدلجت ليلا) فهذا تأكيد للزمن الذي تضمنه الدلج ، لان الدلج هو السير في الليل خاصة . قال تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا - الإسراء ١﴾ ف (ليلا) تأكيد للزمن الذي تضمنه الاسراء .

وتقول (لك عليّ مائة دينار اعترافاً) فهذا تأكيد لمضمون الجملة لانه اعتراف بالدّين ولو لم تقل (اعترافاً) .

وقد افتنّت العرب في ذلك افتناناً واسعاً فجاءت بالتوكيد على صور متعددة فهناك : .

١ - ألفاظ تفيد التوكيد حيثما وقعت مثل انّ ولام الابتداء ونوني التوكيد الثقيلة والخفيفة .

---

(١) المفصل ٢/ ٤ وانظر شرح ابن يعيش ٣/ ٤٠ .

٢ - ألفاظ تفيد التوكيد في مواطن دون أخرى وهي الحروف الزائدة مثل ما و لا والباء وإنْ وأنْ وذلك نحو قوله ﴿حتى إذا ما جاؤها - فصلت ٢٠﴾ و (عمّا قليل ليصبحُنّ نادمين - المؤمنون ٤٠﴾ ف (ما) هنا حرف زائد أفاد التوكيد. ونحو ﴿قال مامنعك أنْ لا تسجدَ - الاعراف ١٢﴾ ف (لا) هنا حرف زائد أي مامنعك أن تسجد وهي تفيد التوكيد. وكالباء في الخبر نحو ﴿وما ربك بظلام للعبيد - فصلت ٤٦﴾.

٣ - ثم قد يكون التوكيد على صور إعرابية وتركيبية مختلفة، فقد يكون على صورة مفعول مطلق سواء كان مؤكداً لمصدر عامله نحو (وكلّم الله موسى تكليماً - النساء ١٦٤﴾ أم كان مؤكداً لمضمون الجملة وهو المؤكد لنفسه أو لغيره نحو (وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله كتاباً مؤجّلا - آل عمران ١٤٥﴾ و (أنت أخي يقيناً).

وقد يكون بصورة ظرف مؤكد لزمن عامله نحو (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا - الاسراء ١﴾ و (تكلم حينا) فإن التكلم لايكون الا في حين.

وقد يكون على صورة حال نحو (أقبل الطلاب كافة) و ﴿ولّى مدبراً - القصص ٣١﴾.

وقد يكون على صورة نعت نحو (أمسِ الدابرُ لايعود) لان كل أمس دابرٌ ونحو (فإذا نُفخ في الصور نفخةٌ واحدةٌ - الحاقة ١٣﴾ و (أقبل رجلان اثنان).

وقد يكون على صورة معطوف نحو (هذا كذب وافتراء) و (هذا ضلال وغيّ).

وقد يكون على صورة جار ومجرور نحو قوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم النحل ٢٦﴾ لان السقف لايكون الا فوقا. ونحو ﴿ولا طائرٍ يطير بجناحيه - الانعام ٣٨﴾ والطيران لايكون الا بالجناحين.

وغير ذلك من الصور.

٤ - ثم قد يكون بصورة تابع متجرد للتوكيد وهو الذي يسميه بعضهم (التوكيد الصناعي)[٢]. وأكثر ما ذكرت مر في بابه الذي هو ألصق به.

---

(٢) أنظر البرهان ٢ / ٣٨٥.

تقول (قطع الامير اللص) اي قطع غلامه بأمره فيجب اذن إما تكرير لفظ المنسوب اليه نحو (ضرب زيد زيد) أي ضرب هو لامن يقوم مقامه أو تكريره معنى وذلك بالنفس وَالعين ومتصرفاتها لاغير[10] ».

الفاظه :

ذكرنا أن الفاظ هذا التوكيد هي (النفس) و (العين) ومشتقاتها مضافة الى ضمير المؤكد. ويستعمل في التثنية والجمع وزن (أفعُل) فتقول (حضرت البنتان انفسهما) و (حضرت البنات اعينهن) و (حضر الطالبان انفسهما او اعينهما) و (حضر الطلاب انفسهم او اعينهم).

والمقصود بلفظ (النفس) و (العين) حقيقة الشيء[11] جاء في (بدائع الفوائد) : «واما النفس فعلى اصل موضوعها انما هي عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد»[12].

«والعين : يراد بها حقيقة الشيء المدركة بالعيان او مايقوم مقام العيان.

وليست اللفظة على اصل موضوعها لان اصلها أن يكون مصدراً وصفة لمن قامت به ثم عبر عن حقيقة الشيء بـ (العين) كما عبر عن الوحش بـ (الصيد) وانما (الصيد) في اصل موضوعه مصدر من صاد يصيد ومن ههنا لم يرد في الشريعة عبارة عن نفس الباري سبحانه وتعالى لانه نفسه سبحانه غير مدركة بالعيان في حقنا اليوم»[13].

وجاء في (لسان العرب) : «والعين عند العرب حقيقة الشيء... وعين الشيء نفسه وشخصه وأصله والجمع (أعيان). وعين كل شيء نفسه وحاضره وشاهده. وفي الحديث : اوه عينُ الربا أي ذاته ونفسه. ويقال : هو هو عينا وهو هو بعينه، وهذه

(١٠) شرح الرضي على الكافية ١ / ٣٦٠ - ٣٦١ وانظر شرح شذور الذهب ٥٠٨ - ٥٠٩، شرح ابن يعيش ٣/٤٠ - ٤١.

(١١) انظر شرح عمدة الحافظ ٥٥٥.

(١٢) بدائع الفوائد ٢ / ٦.

(١٣) المصدر السابق ٢ / ٢.

اعيان دراهمك، ودراهمك باعيانها... ويقال: إن فلان لكريم عين الكرم، ولا اطلب اثراً بعد عين أي بعد معاينة»[١٤].

واذا اجتمعت النفس والعين قدمت النفس عل العين فتقول (قدم محمد نفسه عينه) وليس العكس قالوا لان الاصل في الاطلاق على الحقيقة هي النفس، والعين منقولة اليها (جاء في شرح الرضي على الكافية): «واما تقديم النفس على العين فلأن النفس لفظ موضوع لماهيتها حقيقة ولفظ العين مستعار لها مجازاً من الجارحة المخصصة كالوجه في قوله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه)[١٥] أي ذاته»[١٦].

ويبدو أن لفظ (العين) اطلق تجوزاً على حقيقة الشيء فاما ان يكون لفظ (العين) في الاصل مصدراً أُطلق على (المَعين) أي المرئي وهو الذي تدركه العين كما ذكر ابن القيم ثم اتسع استعمالها لغير المرئي فتقول (هو الربا بعينه) و(هو عين الحق) أو (الحق بعينه) و(هو عين الكذب) أو (الكذب بعينه). والربا والحق والكذب ونحوها مما لايدرك بالعين.

أو تكون في الاصل مستعارة من العين التي هي الجارحة فأُطلق الجزء على الذات كما ذكر الرضي وكما نقول الآن في لغتنا الدارجة (اقبل اخوك برأسه) و(أقبل بعينه) فالرأس هو جزء وكذلك العين وقد أُطلقا على الكل ثم اصبح المقصود بالرأس والعين الذات او الحقيقة.

ثم توسع في الاستعمال فاصبح التعبير يطلق على ماليس جارحة. وعلى أيّ حال فهي تستعمل في التوكيد بمعنى حقيقة الشيء وذاته.

ويبدو ان الرأي الثاني ارجح اذ إن هناك نظيرا لهذا الاستعمال في اللغات السامية الاخرى فبعضها يستعمل (الرأس) بمعنى الشخص. جاء في (التطور النحوي) «وتقارب النفس في العربية العين وهي تضاف اكثر مما تبدل نحو (عين الامر) وقد تؤخر مع الحاق الباء نحو (الامر بعينه) وهي في هذا المعنى خاصة بالعربية.

---

(١٤) لسان العرب (عين).

(١٥) القصص ٨٨.

ويوجد في سائر اللغات السامية اسماء أخر مرادفة لها نحو (الرأس) أو qnōmā في السريانية ومعناها (الشخص)[١٧].

ولا نزال في لغتنا الدارجة نستعمل الرأس للتوكيد فنقول (رأيته برأسه) او (حتى يأتيني هو برأسه) أي بنفسه.

وتختص (النفس) و (العين) بجواز جرهما بالباء الزائدة زيادة في التوكيد نحو (اقبل الامير بنفسه) و (اقبلت هند بعينها) ولا يجوز ذلك في غيرهما من الفاظ التوكيد[١٨].

ويبدو أن هذه الباء ليست زائدة بمعنى أن حذفها وذكرها سيّان فليس قولنا (اقبل اخوك بنفسه) مثل (اقبل اخوك نفسه) وانما تفيد الباء أن المؤكد فعل ذلك وما كان متوقعا منه ان يفعل او بعبارة اخرى انها يؤتى بها للاهتمام الزائد فقولك (اقبل اخوك بنفسه) معناه اقبل وما كان متوقعاً أن يقبل اما لان اخاك بمنزلة عالية لاتناسب مجيئه او لغير ذلك.

ولا نزال نحن نستعمل هذه الباء فنقول (ذهبت اليه بنفسي فلم يفعل) بمعنى أن هذا اقصى ما استطيع أن أفعله. وتقول (كلمته انا بنفسي فرد كلامي).

ومثله ماتقوله العامة (ذهبت اليه برجلي) وهو كناية عن الاهتمام الكثير بالشيء.

٢ – والغرض الثاني هو رفع احتمال عدم ارادة الشمول وذلك نحو ان تقول (اقبل الطلاب) فان هذا القول يحتمل ان المقبلين هم اكثر الطلاب وليس فيه تنصيص على قصد العموم والاحاطة فاذا اردت التنصيص على قصد العموم رفعت هذا الاحتمال فتقول: جاء الطلاب كلهم او جميعهم او اجمعون او نحو ذلك فيفيد الاحاطة والشمول.

---

(١٧) التطور النحوي ٩٨– ٩٩.

(١٨) انظر شرح عمدة الحافظ ٥٦١، الهمع ٢/ ١٢٢، شرح الاشموني ٣/ ٧٧.

الفاظ هذا التوكيد :

يؤكد لهذا الغرض بالالفاظ الدالة على العموم واشهرها هي :

كل :

وهوا سم يفيد الاستغراق والاحاطة بالافراد والاجزاء. تقول (كل ظالم مبغوض) فانه يفيد استغراق افراد الظالمين. قال تعالى ﴿كل امرئ بما كسب رهين– الطور ٢١﴾ فهذا استغراق واحاطة بجميع الافراد. وتقول (كل البشر محاسب) فهذا استغراق لافراد البشر.

فاذا اضيفت الى نكرة افادت استغراق كل فرد من افراد الجنس، واذا اضيفت الى معرفة فان كانت المعرفة عامة استغرقت كل الافراد كما في قولنا (كل البشر محاسب) واذا كانت معهودة استغرقت كل الافراد المعهودين نحو (اقبل كل الطلاب) فهو استغراق لطلاب مخصوصين.

وقد تستغرق الاجزاء نحو قولك (أكلت كل تفاحتك) اي كل اجزائها فاذا قلت (اكلت كل تفاحك) كان المعنى انك اكلت كل افراده.

جاء في (المغني) في هذه اللفظة «اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو (كل نفس ذائقة الموت)[19] والمعروف المجموع نحو﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾[20] واجزاء المفرد المعرف نحو (كل زيد حسن) فاذا قلت (اكلت كل رغيف لزيد) كانت لعموم الافراد فان اضفت الرغيف الى زيد صارت لعموم اجزاء فرد واحد»[21].

و (كل) تضاف الى النكرات والى المعارف وقد تقطع عن الاضافة لفظا وينوى معناها. فاذا اضيفت الى نكرة روعي معناها إن كان مؤنثاً او مذكراً مفرداً أو غيره. تقول (كل رجل اهداني كتابا) فعاد الضمير عليها مفردا مذكرا و (كل امرأة اهدت

---

(١٩) آل عمران ١٨٥.

(٢٠) مريم ٩٥.

(٢١) المغني ١/ ١٩٣.

قرطا) فعاد الضمير عليها مفردا مؤنثا وتقول (كل رجلين ذهبا في طريق) و (كل فريق ذهبوا في واد).

جاء في (المغني): «واعلم ان لفظ (كل) حكمه الافراد والتذكير، وان معناها بحسب ماتضاف اليه فان كانت مضافة الى منكر وجب مراعاة معناها ولذلك جاء الضمير مفردا مذكرا في نحو﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾[٢٢] ﴿وكل انسان الزمناه طائره في عنقه﴾[٢٣] ... ومفردا مؤنثا في قوله تعالى﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[٢٤]. ومجموعا مذكرا في قوله تعالى﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾(المؤمنون ٥٣)»[٢٥].

واذا اضيفت الى معرفة فقالوا يصح مراعاة اللفظ والمعنى فتقول (كل اخوتك ذاهب) والمعنى كل منهم ذاهب. و (كل اخوتك ذاهبون). جاء في (المخصص): «ان (كلا) لفظ واحد ومعناه جميع ولهذا يحمل مرة على اللفظ ومرة على المعنى فيقال كلهم ذاهب وكلهم ذاهبون»[٢٦].

وقيل بل لايعود الضمير عليها من خبرها الا مفرداً مذكراً[٢٧].

فان قطعت عن الاضافة لفظا جاز مراعاة اللفظ والمعنى قال تعالى: ﴿كلٌّ آمن بالله – البقرة ٢٨٥﴾ وقال ﴿كلٌّ كذّب الرسل – ق ١٤﴾ وقال ﴿كل له قانتون – البقرة ١١٦﴾ وقال: ﴿وكل في فلك يسبحون – يس ٤٠﴾ فأفرد مراعاة للفظ (كل) وجمع مراعاة لمعناها قال ابن هشام: «والصواب ان المقدر يكون مفردا نكرة فيجب الافراد كما لو صرح بالمفرد ويكون جمعا معرفا فيجب الجمع وان كانت المعرفة لو ذكرت لوجب الافراد ولكن فعل ذلك تنبيها على حال المحذوف فيها، فالاول نحو ﴿كل يعمل على شاكلته﴾[٢٨] ﴿كل آمن بالله﴾ ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾[٢٩] اذ التقدير كل أحد.

---

(٢٢) القمر ٥٢.
(٢٣) الاسراء ١٣.
(٢٤) المدثر ٣٨.
(٢٥) المغني ١/ ١٩٦ – ١٩٧.
(٢٦) المخصص ١٧/ ١٣١.
(٢٧) المغني ١/ ١٩٩.
(٢٨) الاسراء ٨٤.
(٢٩) النور ٤١.

والثاني نحو ﴿كل له قانتون﴾ ﴿كل في فلك يسبحون﴾ و ﴿كل اتوه داخرين﴾[٣٠] ﴿وكل كانوا ظالمين﴾[٣١] أي كلهم»[٣٢].

وجاء في (بدائع الفوائد) أن الاخبار بالجمع معناه انهم مجتمعون في الحدث وان الافراد معناه ان كل واحد قام به على انفراد فاذا قلت (كل حضر) كان المعنى ان كل واحد منهم حضر واذا قلت (كل حضروا) كان المعنى انهم اجتمعوا في الحضور. وكذا

اذا كانت مضافة لفظا نحو (كلهم حضروا) و (كلهم حضر) غير أنه في الجملة الاولى أي (كلهم حضروا) أفاد التعبير احتمال اجتماعهم في الحضور واحتمال حضورهم فرادى بخلاف الثانية فانها تفيد حضور كل واحد منهم على رسله جاء في (بدائع الفوائد): «(كل اخوتك ضربني) يقتضي أن كل واحد منهم ضربك. فلو قلت (كل اخوتك ضربوني) و (كل القوم جاؤوني) احتمل ذلك واحتمل ان يكونوا اجتمعوا في الضرب والمجيء لأنك اخبرت عن جملتهم بخبر واقع عن الجملة بخلاف قولك (كل اخوتك جاءني) فإنما هو إخبار عن كل واحد منهم وإن الاخبار بالمجيء عم مجيئهم.

فتأمل على هذا قوله تعالى ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾[٣٣] كيف افرد الخبر لانه لم يرد اجتماعهم فيه. قال تعالى ﴿كل الينا راجعون﴾[٣٤] فجمع لما اراد الاجتماع في المجيء... ولا يرد على هذا قوله تعالى ﴿وله من في السماوات والارض كل له قانتون﴾[٣٥] بل هو تحقيق له وشاهد لان القنوت هنا هو العبودية العامة التي يشترك فيها اهل السماوات والارض ولا يختص بها بعضهم عن بعض... وهذا بخلاف قوله تعالى ﴿كل مَن عليها فانٍ﴾[٣٦] افرد لما لم يجتمعوا في الفناء....

ومما جاء مجموعا لاجتماع الخبر قوله تعالى ﴿كل في فلك يسبحون﴾[٣٧] وما افرد لعدم اجتماع الخبر قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود

---

(٣٠) النمل ٨٧.
(٣١) الانفال ٥٤.
(٣٢) المغني ١/ ٢٠٠.
(٣٣) الاسراء ٨٤.
(٣٤) الانبياء ٩٣.
(٣٥) الروم ٢٦.
(٣٦) الرحمن ٢٦.
(٣٧) يس ٤٠.

وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب. إنْ كلٌّ الاكذّب الرسل فحق عقاب﴾[38] فافرد لما لم يجتمعوا في التكذيب»[39].

وذكروا مسألة اخرى في (كل) وهي انها اذا وقعت في حيز النفي افادت ثبوت الفعل لبعض الافراد واذا لم تقع في حيزه اقتضى النفي عن كل فرد. فاذا قلت (لم يجئْ كل الطلاب) كان معناه انه جاء قسم منهم، وإذا قلت (كل الطلاب لم يجئْ) كان المعنى انه لم يأت منهم أحد.

قيل: وقد يخرج عن هذا نحو قوله تعالى ﴿والله لايحب كل كفار أثيم – البقرة ٢٧٦﴾ وأجيب عن ذلك بان ذلك حاصل إذا لم يدل دليل على خلافه فان دل دليل كان بحسبه. جاء في (المغني): «قال البيانيون: اذا وقعت (كل) في حيز النفي كان النفي موجها الى الشمول خاصة وافاد بمفهومه ثبوت الفعل لبعض الافراد كقولك (ماجاء كل القوم) و (لم آخذ كل الدراهم) وكل الدراهم لم آخذ. وقوله:

ما كل رأي الفتى يدعو الى رشد

وقوله:

ما كل مايتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لاتشتهي السفن

وان وقع النفي في حيزها اقتضى السلب عن كل فرد كقوله عليه الصلاة والسلام لما قال له ذو اليدين: أنسيت ام قُصرت الصلاة؟ كل ذلك لم يكن.

وقول ابن النجم:

قد اصبحت ام الخيار تدّعي علي ذنبا كله لم اصنع

---

(٣٨) ص ١٢– ١٤.

(٣٩) بدائع الفوائد ١/ ٢١٤– ٢١٥.

وقد يشكل على قولهم في القسم الاول قوله تعالى ﴿والله لايحب كل مختال فخور﴾[٤٠] ...

والجواب عن الآية ان دلالة المفهوم انما يعوّل عليها عند عدم المعارض وهو هنا موجود اذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقا »[٤١] .

وهذا كله اذا لم تقع تأكيدا .

فان وقعت تأكيداً اضيفت لفظا الى ضمير المؤكد نحو (الطلاب كلهم حاضرونّ) فاذا كان المؤكد جنسا عاما كان التوكيد يشمل كل افراد الجنس نحو (الخلق كلهم عيال الله) و (الناس كلهم ميتون) . واذا كان معهودا كان يشمل كل اولئك الافراد المعهودين نحو (حضر طلاب الصف كلهم) جاء في (بدائع الفوائد) : «ان (كلا) اذا تقدمت تقتضي الاحاطة بالجنس واذا تأخرت وكانت توكيدا اقتضت الاحاطة بالمؤكد خاصة جنسا شائعا كان او معهودا »[٤٢] .

وقد تقول : ما الفرق بينها اذا تقدمت اوكانت مؤكدة نحو (كل الطلاب حضر) أو (حضر الطلاب كلهم) ؟

والجواب هو انها اذا تقدمت افادت العموم ابتداء ولم تدع احتمالا لغير الاحاطة واذا تأخرت وكانت مؤكدة احتمل الكلام العموم وغيره ثم جئت بما يرفع احتمال عدم العموم .

ثم انها مع التقدم يمكن التعبير بها للدلالة على الاحاطة والشمول بصورة اوسع مما تقع مؤكدة ، فانها اذا وقعت مؤكدة افادت العموم في المعارف فقط ، اما اذا تقدمت فإنها تفيد العموم في النكرات والمعارف مفردا او غيره مما لايصح ان يقع مؤكدا وذلك نحو قوله تعالى ﴿كل نفس بما كسبت رهينة – المدثر ٣٨﴾ ولا يقال (نفس كلها بما كسبت رهينة) ، وقال ﴿تدمر كل شيء بامر ربها – الاحقاف ٢٥﴾ ولا يقال (تدمر

---

(٤٠) الحديد ٢٣ .
(٤١) المغني ١ / ٢٠٠ – ٢٠١ وانظر دلائل الاعجاز ٢١٥ وما بعدها .
(٤٢) بدائع الفوائد ١ / ٢١٢ – ٢١٣ .

شيئا كله) ، وقال ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها — النحل ١١١﴾ ولا يقال : (يوم تأتي نفس كلها).

وحتى اذا قيل نحو ذلك على مذهب الكوفيين فان المعنى يختلف فانه يصح على مذهب الكوفيين ان تقول (صمت شهرا كله) لان النكرة محدودة [٤٣] ولكن اذا قدمت (كلا) وقلت (صمت كل شهر) تغير المعنى واصبحت تفيد استغراق الشهور.

جميع :

وهي مأخوذة من الاجتماع وتستعمل لعدة معان :

فقد تكون بمعنى مجتمع يوصف بها المفرد يقال (هو رجل جميعٌ) بمعنى مجتمع الخَلْق أي قوي ، ورجل جميع السلاح أي مجتمع السلاح [٤٤].

ويوصف بها الجمع فيقال (هؤلاء جميع) أي مجتمعون قال تعالى ﴿وانا لجميع حاذرون — الشعراء ٥٦﴾ اي مجتمعون ، وقال ﴿ام يقولون نحن جميع منتصر. سيهزم الجمع ويولون الدبر — القمر ٤٤ ، ٤٥﴾ أي مجتمعون ، وقال ﴿وإنْ كلٌّ لمّا جميعٌ لدينا محضرون — يس ٣٢﴾ ومعناها كلهم مجموعون. جاء في (الكشاف) في هذه الآية : «والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة. وقيل محضرون معذبون.

فان قلت : كيف اخبر عن (كل) بـ (جميع) ومعناهما واحد؟

قلت : ليس بواحد لان (كلا) يفيد معنى الاحاطة وان لا يتفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان الحشر يجمعهم والجميع (فعيل) بمعنى (مفعول) يقال : حي جميع وجاؤا جميعا» [٤٥].

---

(٤٣) انظر شرح الاشموني ٣/ ٧٧ ، التصريح ٢/ ١٢٤ — ١٢٥.

(٤٤) انظر لسان العرب (جمع).

(٤٥) الكشاف ٢/ ٥٨٧.

وقال تعالى ﴿ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا- النور٦١﴾ أي مجتمعين او متفرقين. وقال: ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى- الحشر ١٤﴾ أي تحسبهم مجتمعين وهم متفرقون.

واما (جميع) المضافة الى الضمير فتكون توكيداً بمعنى (كل) فاذا قلت (اقبل الرجال جميعهم) كان المعنى اقبلوا كلهم وليس معناه اقبلوا مجتمعين، فقد يكونون مجتمعين او متفرقين.

فهناك فرق بين قولنا (اقبل الرجال جميعا) و(اقبل الرجال جميعهم) ف (اقبل الرجال جميعا) تحتمل معنيين:

الاول ان يكون معناه اقبلوا كلهم وذلك نحو قوله تعالى ﴿وتوبوا الى الله جميعا- النور ٣١﴾ والمعنى توبوا كلكم وليس معناه توبوا مجتمعين. وقوله ﴿قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا- الاعراف ١٥٨﴾ اي كلكم وليس معناه مجتمعين.

الثاني ان يكون معناه اقبلوا مجتمعين كقوله تعالى ﴿ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا﴾.

واما (اقبل الرجال جميعهم) فلا يكون الا بمعنى كلهم[٤٦].

والخلاصة ان الفرق بين (جميع) اذا اتصلت بالضمير (جميعهم، جميعنا...) و(جميع) المفردة ان المتصلة به لا تكون الا توكيدا بمعنى (كل) والمفردة قد تكون بمعنى (كل) وقد تكون بمعنى (مجتمع).

وقد تحتمل المعنيين معا وذلك نحو قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم جميعا- الانعام ٢٢﴾ فهذا يحتمل معنيين:

الاول ان يكون بمعنى (كل) فيكون المعنى: ويوم نحشرهم كلهم.

والثاني ان يكون بمعنى (مجتمع) فيكون المعنى: ويوم نحشرهم مجتمعين.

وقد يراد المعنيان معاً أي نحشرهم كلهم مجتمعين فبعدوله الى المفردة كسب المعنيين معاً ولو قال (ويوم نحشرهم جميعهم) لافاد معنى واحداً فقط.

---

(٤٦) انظر كتاب سيبويه ١/١٨٩.

ف (جميع) المفردة اوسع استعمالا ومعنى من المضافة ، الا ترى انك لو قلت : (اللهم اكفني شر مخلوقاتك جميعا) كان المعنى محتملا جميع الشر وجميع المخلوقات ولو قلت (اكفني شر مخلوقاتك جميعه) لكان نصا في الشر، ولو قلت (جميعها) لكان نصا في المخلوقات.

وهذا من أوجه الفرق بين (كل) و (جميع) فان (كلا) تفيد العموم حيث وقعت وكيفما كانت وليست كذلك (جميع).

وفرقوا بين (كل) و (جميع) ايضا فقالوا : «ان (كل) تدل على كل فرد بطريق النصوصية بخلاف (جميع) فانه يدل على كل الافراد وهو الذي يراد من قولهم : وان (جميع) للعموم الاحاطي.

وفرقت الحنفية بينهما بان (كل) تعم الاشياء على الانفراد ، و (جميع) تعمها على سبيل الاجتماع ومثلوا لذلك بقولهم : ان القائد اذا قال لجنده : (من دخل هذا الحصن فله الف دينار) فدخل واحد استحق الالف وان دخله جماعة لم يستحق احد منهم شيئاً. وإذا قال (كل من دخل هذا الحصن اولاً فله ألف دينار) فدخله واحد استحق الألف وإن دخله جماعة استحق كل واحد منهم ألفاً.

واذا قال لهم : (جميع من دخل هذا الحصن اولاً فله الف دينار) فدخله واحد استحق الالف وان دخله جماعة استحقوا الفاً فقسم بينهم (اصول البزدوي ج ٢ ص ٩ ، التوضيح ج ١/ ٦٠)[٤٧].

أجمع :

وهي من لفظ (الاجتماع) ايضا ولها استعمالات عدة :

فقد تكون اسم تفضيل نحو (رأيك أجمع للشمل) و (هذا الحد اجمع من غيره).

---

(٤٧) الانموذج في اصول الفقه ٢٠٢ - ٢٠٣.

وقد تكون صفة مشبهة بمعنى (مجتمع) على وزان (أَفْعَل) الذي مؤنثه (فعلاء) مثل احمر حمراء فيقال: (اجمع جمعاء) و(أجمع) معناه مجتمع ومعنى (جمعاء) مجتمعة فيقال فرع اجمع وبهيمة جمعاء أي مجتمعة الخَلْق جاء في (عمدة الحافظ): «وفي الحديث (كما تُناتج الابل من بهيمة جمعاء) أي مجتمعة الخَلْق وعلى هذا يتخرج قول الراجز:

يرمي عليها وهي فرعٌ أجمع وهـي ثـلاث اذرع واصـبـع

ف (اجمع) هنا صفة لـ (فرع) بمعنى مجتمع كما كانت (جمعاء) صفة لبهيمة»[٤٨].

وقد تكون من الفاظ الاحاطة فتستعمل توكيدا بمعنى (كل) تقول: جاء الرجال اجمعون ومعناها: جاءوا كلهم وهذه ليست اسم تفضيل ولا صفة مشبهة بل هي وصف مرتجل للتوكيد.

يدلك على انها ليست اسم تفضيل ان تأنيثها على وزن (فعلاء) أي جمعاء، واسم التفضيل تأنيثه (فُعْلى) مثل كبرى وصغرى.

ثم ان اسم التفضيل يضاف ويحلى بـ (أل) فيقال احسنهم والأحسن وهذه لا تضاف ولا تحلى بـ (أل) فلا يقال اجمعه ولا اجمعهم ولا الأجمع تقول (قضيت الشهر اجمع) ولا تقول اجمعه لانها هي معرفة[٤٩] من غير اضافة ولا حرف تعريف.

ويدلك على انها ليست صفة مشبهة ان (افعل فعلاء) لا يجمع جمع مذكر سالما بل تجمع على (فُعْل) وهذه يجمع مذكرها جمع مذكر سالما فيقال (اجمعون) قال تعالى ﴿فسجد الملائكة كلهم اجمعون – الحجر ٣٠﴾، ويجمع مؤنثها على (فُعَل) فيقال (جُمَع) مثل جمع اسم التفضيل نحو الكُبَر والصُّغَر، ثم ان (افعل فعلاء) نكرة وهذه معرفة.

فهي صفة جمعت شيئا من اسم التفضيل وشيئا من الصفة المشبهة وتمحضت للتوكيد.

---

(٤٨) عمدة الحافظ وعدة اللافظ ٥٧٥.

(٤٩) انظر كتاب سيبويه ٢ / ٥، المقتضب ٣ / ٣٤٢.

فتأنيثها كالصفة المشبهة وجمعها كاسم التفضيل. وتباعدت عنها معا بانها لا تضاف ولا تعرّف ب (أل)، ولا يستعمل منها إلا جمع المذكر السالم فلا يقال الأجامع كالأكابر والأصاغر بل لا يقال الا (أجمعون).

ويدلك على أنها صفة انها لا تنصرف ولو كانت اسما غير وصف لانصرفت مثل ارنب وأفعى.

فهي اذن وصف استعمل للاحاطة بمعنى (كل) والفرق بينها ان (اجمع) من لفظ الجماعة والمجموع والاجتماع و (كُلاً) للدلالة على كل فرد حتى تستغرق جميع الافراد فقولك (رضوا بذلك اجمعون) يفيد ان مجموعهم رضي بذلك واما قولك (رضوا بذلك كلهم) فيفيد أن افرادهم رضوا بذلك. والنتيجة واحدة لانه اذا رضي كل افرادهم فقد رضي مجموعهم ف (أجمع) تشير الى العموم ابتداء و (كل) تشير الى الافراد حتى تستغرقهم و (كلهم اجمعون) للجمع بين المعنيين فتكون زيادة في التوكيد.

وقد ذهب بعض النحاة الى أنها تفيد الاتحاد في الوقت[٥٠] فيكون معنى قولنا (جاء الرجال اجمعون) جاءوا مجتمعين.

والحق انها لا تفيده قال تعالى ﴿لأغوينهم اجمعين- الحجر ٣٩﴾[٥١] ومعناها (كلهم) وليس معناها (مجتمعين). وقال ﴿اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين- البقرة ١٦١﴾ ومعناها (كلهم) وليس معناها مجتمعين.

قال ابن يعيش: «واعلم أنه قد ذهب قوم الى ان في (اجمع) فائدة ليست في (كل) وذلك انك اذا قلت (جاءني القوم كلهم) جاز أن يجيئوك مجتمعين ومفترقين فاذا قلت (اجمعون) صارت حال القوم الاجتماع لا غير. وذلك ليس بسديد والصواب ان معناهما واحد من قبل ان اصل التأكيد اعادة اللفظ وتكراره وانما كرهوا تواليها بلفظ واحد فابدلوا من الثاني لفظا يدل على معناه فجاءوا ب (كل) و (أجمع) ليدلوا بها على معنى الاول ولو كان في الثاني زيادة فائدة لم يكن تأكيداً لان التأكيد

---

(٥٠) انظر شرح الاشموني ٣/ ٧٧.

(٥١) انظر شرح الاشموني ٣/ ٧٧.

تمكين معنى المؤكد... ومع هذا لو أريد معنى الاجتماع لوجب نصبه لانه يكون حالا لان التقدير فعل ذلك في هذه الحال»[٥٢].

وظاهرٌ أن (اجمع) لا يفارقها معنى الاحاطة البتة ولا تفيد غيره اما اذا احتمل الكلام الاتحاد في الوقت اضافة الى الاحاطة كما في قوله تعالى ﴿واتوني باهلكم اجمعين- يوسف ٩٣﴾ وقوله ﴿فسجد الملائكة كلهم اجمعون﴾ فهذا لا يستفاد من (اجمع) بل ان الكلام يحتمله ولو لم تذكر (اجمع). الا ترى انه يجوز ان يكون هذا الاحتمال مع (كل) ايضا؟

فاذا قلت (جاء افراد الاسرة كلهم) احتمل ان يكونوا جاؤا مجتمعين واحتمل غير ذلك وكذلك بالنسبة للآية فقد يحتمل انهم سجدوا في وقت واحد ولكن (اجمعون) لا تدل عليه ولا تفيده. بل الامر كما ذكرنا آنفا في معنى (كل) و (اجمع).

ويدلك على ذلك ايضا أنه يجوز أن نقول (يموت الناس كلهم اجمعون) وليس معناه انهم يموتون في وقت واحد.

فهي تختلف عن (جميع) فان جميعا قد تتجرد للدلالة على الاجتماع فلا يراد بها معنى الاحاطة واما هذه فلا تتجرد لهذا المعنى ولا يفارقها معنى العموم والشمول.

الاعداد من ثلاثة الى عشرة اذا اضيفت الى ضمير ما تقدمها:

تقول العرب (اقبل الرجال ثلاثتهم) و (رأيت الاولاد خمستهم) وفيها لغتان: لغة الحجاز وهي النصب ولغة تميم وهي الاتباع قال سيبويه: «هذا باب ما جُعل من الاسماء مصدراً كالمضاف في الباب الذي يليه) وذلك قولك (مررت به وحدَه) و (مررت بهم وحدَهم) و (مررت برجلٍ وحدَه).

---

(٥٢) شرح ابن يعيش ٣/ ٤١ وانظر شرح الرضي على الكافية ١/ ٣٦٩.

ومثل ذلك في لغة اهل الحجاز (مررت بهم ثلاثتَهم واربعتَهم) وكذلك الى العشرة وزعم الخليل انه اذا نصب (ثلاثتهم) فكأنه يقول: مررت بهؤلاء فقط ولم اجاوز هؤلاء كما اذا قال (وحده) فانما يريد مررت به فقط لم اجاوزه.

واما بنو تميم فيُجرونه على الاسم الاول إن كان جرّا فجرا وان كان نصبا فنصبا وان كان رفعا فرفعا.

وزعم الخليل أن الذين يُجرون كأنهم يريدون ان يعمّوا كقولك: مررت بهم كلهم اي لم ادع منهم أحداً»[٥٣].

وظاهر من كلام سيبويه ان النصب يكون على الحالية والاتباع على التوكيد[٥٤].

ومع انها لغتان فمعنى النصب لا يطابق معنى الاتباع، فان الاتباع يفيد الاحاطة والشمول فاذا قلت (اقبل الرجال ثلاثتُهم) بالرفع كان المعنى: اقبلوا كلهم وذلك اذا كان العدد معلوما.

وان النصب يفيد اجتماعهم في المجيْ أي اقبلوا مجتمعين فكأنك قلت: اقبلوا حال كونهم ثلاثة. وقد يفيد النصب ما يفيده الاتباع من شمول فيكون من باب الحال المؤكدة كما تقول (اقبل الطلاب جميعهم وجميعا).

وقد مر بنا في (جميع) أن الاتباع يفيد الاحاطة والنصب يحتمل الاجتماع ويحتمل الاحاطة. وهذا شبيه بذاك.

فالاتباع يكون للدلالة على الاحاطة والشمول من غير نظر الى اجتماعهم او عدمه والنصب يحتمل معنيي الاجتماع والاحاطة.

قال الرضي: «وهذه الاسماء الثمانية (يعني من الثلاثة الى العشرة) اذا اضيفت الى ضمير ما تقدم منصوبة عند اهل الحجاز على الحال لوقوعها موقع النكرة اي (مجتمعين في المجيْ) وبنو تميم يتبعونهاما قبلها في الاعراب على انها توكيد»[٥٥].

---

(٥٣) كتاب سيبويه ١/ ١٨٧ وانظر المقتضب ٣/ ٢٣٩.

(٥٤) انظر الهمع ١/ ٢٣٩، شرح الرضي ١/ ٣٦٢.

(٥٥) شرح الرضي على الكافية ١/ ٢٢٠.

وقال: «وبعضها يستعمل مرة تابعاً على التأكيد ومرة حالا وذلك من الثلاثة فما فوقها كما مر في باب الحال نحو: (جاءني القوم ثلاثتُهم) و (جاءوني ثلاثتَهم).

ولا يؤكد بـ (ثلاثة) واخواتها الا بعد ان يعرف المخاطب كمية العدد قبل ذكر لفظ التأكيد والا لم يكن توكيدا بخلاف الوصف في نحو: جاءني رجال ثلاثة»[٥٦].

والظاهر ان تميم تريد بهذا الاستعمال الدلالة على الاحاطة مثل (كل) و (أجمع) من دون نظر الى افتراق او اجتماع فاتبعت لذلك.

واما الحجازيون فيستعملونه حالاً مؤكدة مثل (كافة) و (قاطبة) في قولنا (اقبل اهل البلد كافة).

واذا اريدت الدلالة على اجتماع العدد فلابد من نصبه ولا يصح الاتباع لانه سيكون حالا والحالة هذه.

التوكيد اللفظي

ويكون باعادة اللفظ الاول او تقويته بمرادفه معنى[٥٧]، وقد يؤتى بموازنه مع اتفاقهما في الحرف الاخير ويسمى اتباعا[٥٨].

فمن اعادة اللفظ الاول قولنا (اقبل محمد محمد) و (اقبل اقبل محمد) ويحتمل ان يكون منه قوله تعالى ﴿كلا اذا دُكّت الارض دكا دكا - الفجر ٢١﴾.

ومن تقويته بمرادفه معنى قولنا (جاء قدم محمد) ومنه قوله تعالى ﴿فجاجا سبلا - الانبياء ٣١﴾ لأن الفجاج هي السبل. وقوله ﴿وغرابيب سُود - فاطر ٢٧﴾[٥٩] لان معنى (غرابيب) سود، ومفردها غربيب أي اسود فكأنه قال: سُود سود.

---

(٥٦) شرح الرضي على الكافية ١/ ٣٦٢.

(٥٧) شرح الالفية لابن الناظم ٢١٠، الهمع ٢/ ١٢٥، شرح الاشموني ٣/ ٨٠.

(٥٨) شرح الرضي على الكافية ١/ ٣٦٥، فقه اللغة للثعالبي ٥٦٦.

(٥٩) انظر البرهان ٢ / ٣٨٥.

ومن الاتيان بموازنه لفظا قولهم : جائع نائع ، عطشان نطشان ، حسن بسن ، ويسمى اتباعا سواء كان للكلمة المتبعة معنى ام لم يكن[٦٠] .

جاء في (تأويل مشكل القرآن) : «وربما جاءت الصفة فارادوا توكيدها واستوحشوا من اعادتها ثانية لانها كلمة واحدة فغيروا منها حرفا ثم اتبعوا الاولى كقولهم : عطشان نطشان ، كرهوا أن يقولوا : عطشان عطشان فأبدلوا من العين نونا. وكذلك قولهم : حسن بسن كرهوا أن يقولوا : حسن حسن فابدلوا من الحاء باء. وشيطان ليطان في اشباه له كثيرة[٦١]» .

وجاء في (فقه اللغة) للثعالبي : «وهو- أي الاتباع- من سنن العرب وذلك أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورويها إشباعا وتوكيداً كقولهم : جائع نائع وساغب لاغب وعطشان نطشان[٦٢]».

وهذا التوكيد أي التوكيد اللفظي اوسع استعمالا من التوكيد المعنوي لانه يكون في الاسماء النكرات والمعارف ويكون في الأفعال والحروف والجمل بخلاف التوكيد المعنوي فإنه يكون في الأسماء المعارف فقط . تقول (قتل قتل رجل) و(هرب سجين سجين) و(اقبل محمد محمد) و(ان محمداً ان محمداً مسافر) و(ان محمداً فاز ان محمداً فاز). وفي الحديث (والله لأغزون قريشا) ثلاث مرات[٦٣] .

وقد تقترن الجملة المؤكدة بعاطف نحو: (والله ثم والله) ونحو قوله تعالى ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أُوتوا ويحبون أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب- آل عمران ١٨٨﴾ فقوله (فلا تحسبنهم) توكيد لقوله (لا تحسبن)[٦٤] .

ويجب ترك العاطف «عند ايهام التعدد نحو (ضربت زيدا ضربت زيدا) ولو قيل (ثم ضربت زيدا) لتوهم أن الضرب تكرر منك مرتين تراخت احداهما عن الاخرى والغرض انه لم يقع منك الا مرة واحدة»[٦٥] .

---

(٦٠) انظر شرح الرضي على الكافية ١/ ٣٦٥.

(٦١) تأويل مشكل القرآن ١٨٣ .

(٦٢) فقه اللغة ٥٦٦ .

(٦٣) شرح الاشموني ٣/ ٨١.

(٦٤) انظر شرح الرضي على الكافية ١/ ٣٦٥ ، شرح ابن الناظم ٢١٠ .

(٦٥) شرح الاشموني ٣/ ٨١- ٨٢.

الغرض من هذا التوكيد :

اهم اغراض التوكيد اللفظي هي :

١ - ان يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع او عدم الاصغاء : فاذا ظن المتكلم أن السامع غافل عن سماع اللفظ فلابد من أن يكرر له اللفظ ليدفع هذا الضرر. ولا ينفع هنا التوكيد المعنوي فاذا قلت (اقبل محمد) وكان المتكلم غافلا من سماع لفظة (محمد) اولم يكن مصغيا فلا ينفع ان تقول (نفسه) اوعينه لانه لم يسمع الكلمة المؤكدة نفسها فلابد من ان تعيد له اللفظة ليسمعها.

٢ - ان يدفع عن السامع ظنه بالمتكلم الغلط : فاذا كان المتكلم ظن أن السامع يعتقد أن المتكلم قد غلط في ذكر اللفظ فقد ذكر (خالدا) مثلا وهو يريد (محمدا) فلابد من ان يكرر اللفظ ليزيل هذا الظن من ذهن السامع ولا ينفع هنا التوكيد المعنوي ايضا. وذلك كما اذا قلت لمحدثك (زارنا خالد الليلة) ثم سبق الى ظنك ان المخاطب يعتقد انك غلطت في ذكر خالد وانك تعني (محمدا) لاسباب كأن يظن أن خالداً لا يزورك او هو غير موجود في البلد او نحو ذلك فلابد لرفع هذا الوهم من التكرار اللفظي.

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : «فاذا قصد المتكلم احد هذين الامرين فلابد ان يكرر اللفظ الذي ظن غفلة السامع عنه اوظن ان السامع ظن به الغلط فيه تكريراً لفظيا نحو (ضرب زيد زيد) و(ضرب ضرب زيد) ولا ينجع ههنا التكرير المعنوي لأنك لو قلت (ضرب زيد نفسه) فربما ظن بك أنك اردت (ضرب عمرو) فقلت (نفسه) بناء على أن المذكور (عمرو).

وكذا ان ظننت به الغفلة عن سماع لفظ (زيد) فقولك (نفسه) لا ينفعك. وربما يكرر غير المنسوب والمنسوب اليه لظنك غفلة السامع اولرفع ظنه بك الغلط، اما في الحرف نحو (ان ان زيدا قائم) اوفي الجملة نحو قوله تعالى : ﴿فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا﴾[٦٦].

(٦٦) شرح الرضي على الكافية ١/ ٣٦٠.

وليس من ذلك ما ذكره الرضي في قوله تعالى ﴿فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا- الانشراح ٥ ، ٦﴾ اذ لا يريد الله سبحانه من التكرير رفع غفلة السامع ولا دفع ظن الغلط عن نفسه تعالى الله عن ذلك وانما هو لتقوية الحكم وتمكينه في نفوس المؤمنين وتطمينهم به.

٣- الغرض الثالث ان يدفع المتكلم ظن التجوز: فقد يذكر المتكلم حكما فيظن السامع أن المتكلم لم يقصد الحكم حقيقة وانما اراده تجوزاً ومبالغة فيكرر اللفظ لازالة هذا الظن وليثبت في ذهنه ان الحكم كما ذكر ليس فيه تجوز. وذلك كما اذا قلت (عدا الامير) فربما ظن السامع أن الامير مشى سريعا فسميته عدوا فلابد في نحو هذا من ازالة التجوز بتكرير اللفظ او بالمجيء بالمصدر فتقول (عدا عدا الامير) او (عدا الامير عدواً). جاء في (شرح الرضي على الكافية): «والغرض الثالث ان يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزا وهو ثلاثة انواع:

احدها ان يظن به تجوزا في ذكر المنسوب فربما تنسب الفعل الى الشيء مجازا وانت تريد المبالغة لا ان عين ذلك الفعل منسوب اليه كما تقول (قتل زيد) وانت تريد (ضرب ضربا شديدا) او تقول (هذا باطل) وانت تريد (غير كامل). فيجب ايضا تكرير اللفظ حتى لا يبقى شك في كونه حقيقة نحو قوله عليه السلام: (ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل»[٦٧].

٤- وقد يكون المقصود تقوية الحكم وتمكينه في ذهن السامع وقلبه كما في قوله تعالى ﴿فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا﴾.

٥- وقد يكون للتهويل والتعظيم وذلك نحو قوله تعالى ﴿وما ادراك ما يوم الدين. ثم ما ادراك ما يوم الدين- الانفطار ١٧ ، ١٨﴾ فقد كرر الاية لتهويل ذلك اليوم وتفخيمه ومثله (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون- التكاثر ٣ ، ٤). ومنه قوله (ﷺ): (الا اخبركم باكبر الكبائر) فعد من ذلك الشرك بالله وعقوق الوالدين. قال الراوي: وكان متكئا فجلس فقال: (الا وشهادة الزور

---

(٦٧) شرح الرضي على الكافية ١/ ٣٦٠.

الا وشهادة الزور) وظل يكررها حتى قلنا : ليته سكت اوكما قال فهذا التكرار قصد به تفظيع امر شهادة الزور.

٦- ثم اذا طال الكلام وخشي المتكلم على السامع نسيان اوائل الكلام كرر له اللفظ ليجعل ذلك اللفظ قائماً في نفسه متمكنا من ذهنه لئلا ينسيه ذلك طول الكلام. وذلك نحو قولك (لا تظن أنني اذا ذهبت الى قوم في امر وردّوني ردّاً غير جميل لا تظن انني عائد اليهم) فكررت (لا تظن انني) خوفا على السامع من ان ينسى اول الكلام. ولذا يحسن اذا طال الكلام توكيد اوله توكيداً لفظيا لتمكين الحكم في ذهنه وعدم فتوره عنه قال تعالى : ﴿أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون– المؤمنون ٣٥﴾. فأكد (انكم) لما طال الكلام لتقويته في ذهن السامعين.

وقال : ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أُوتوا ويُحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم – آل عمران ١٨٨﴾ فأكد (لا تحسبن) بقوله (فلا تحسبنهم) لان الكلام قد طال واراد تمكين الحكم وتقريره في اذهان المخاطبين. والله اعلم.

توكيد الفعل بالنون

يؤكد الفعل المضارع وفعل الامر بنوني التوكيد الثقيلة والخفيفة نحو: (لأقومنّ بواجبي) و (لأقومَنْ بواجبي) قال تعالى: ﴿ليُنبذَنّ في الحطمة - الهمزة ٤﴾ وقال ﴿لنسفعَنْ بالناصية - العلق ١٥﴾. ويدل على انها حرفا توكيد أنه يجاب بها القسم. قال تعالى: ﴿تالله لتُسألُنّ عمّا كنتم تفترون - النحل ٥٦﴾.

ويبدو أن النون حرف يؤكد الاسماء والافعال غير أنها تدخل في اول الاسم وآخر الفعل فـ (ان) هي نون ثقيلة مسبوقة بالهمزة. ولما كانت تدخل في اول الاسم بدئت بهمزة توصّلاً الى النطق بالساكن وجعلت الهمزة من بناء الكلمة.

وهناك تشابه بين (انّ) والنون، فكلتاهما حرف توكيد غير أنّ احداهما تؤكد الاسماء والاخرى تؤكد الافعال، وكلتاهما ثقيلة وخفيفة، وكلتاهما تُدخِل الفتح على ما دخلت عليه فـ (انّ) تدخل على الاسماء وتنصبها، والنون تدخل على الفعل وتبنيه على الفتح. تقول (ان محمداً ليسافرنّ)، وكلتاهما يجاب بها القسم في الاثبات، تقول: (والله لأذهبنّ) و (والله إني لمعكم) قال تعالى: ﴿وتالله لاكيدَنّ أصنامكم - الأنبياء ٥٧﴾ وقال ﴿فوربِّ السماء والارض إنه لَحقّ مثلما أنكم تنطقون - الذاريات ٢٣﴾.

وتلزم النون الفعل اذا كان جوابا لقسم مثبتا مستقبلاً غير مفصول عن لامه بفاصل[1]، نحو (والله لأسعينّ في الخير) قال تعالى؛ ﴿فوربك لَنحشرنّهم - مريم ٦٨﴾.

وذكر الخليل أن الثقيلة آكد من الخفيفة. جاء في (الكتاب) :
"وزعم الخليل أنها توكيد كما التي تكون فصلاً فاذا جئت بالخفيفة فانت مؤكد وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشدّ توكيدا..."[2] ذلك لان تكرير النون بمنزلة تكرير

---

(١) شرح الاشموني ٣/ ٢١٥، التصريح ٢/ ٢٠٣، شرح ابن الناظم ٢٥٢.

(٢) كتاب سيبويه ٢/ ١٤٩ وانظر شرح الاشموني ٣/ ٢١٢.

التأكيد[٣] ، وقد اجتمعتا في قوله تعالى ﴿ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنّن وليكونْن من الصاغرين – يوسف ٣٢﴾ فجاء بالثقيلة في قوله ﴿ليسجننّ﴾ ، وبالخفيفة في قوله ﴿وليكونن من الصاغرين﴾ قالوا لأن "أمرأة العزيز كانت أشد حرصاً على سجنه من كونه صاغرا"[٤] ، فأكدت السجن لذلك بالثقيلة بخلاف الصَّغار.

ونون التوكيد تخلص الفعل للاستقبال فلا تدخل على فعل للحال قال تعالى : ﴿لتدخلُنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين – الفتح ٢٧﴾ ، فاذا كان الفعل للحال لم تدخل عليه النون نحو (والله لأحسبك كاذبا).

جاء في (الكتاب) : "وان كان الفعل قد وقع وحلفت عليه لم تزد على اللام وذلك قولك والله لفعلت... فالنون لاتدخل على فعل قد وقع وانما تدخل على غير الواجب"[٥] .

وجاء في (شرح ابن يعيش) : "اعلم أن هاتين النونين الشديدة والخفيفة من حروف المعاني والمراد بها التأكيد ولاتدخلان إلاّ على الافعال المستقبلة خاصة وتؤثران فيها تأثيرين : تأثيراً في لفظها وتأثيراً في معناها ، فتأثير اللفظ اخراج الفعل الى البناء بعد أن كان معربا ، وتأثير المعنى اخلاص الفعل للاستقبال بعد أن كان يصلح لهما"[٦]. "إذ لو قلت (ان زيداً ليقوم) جاز أن يكون للحال والاستقبال بمنزلة مالا لام فيه فاذا قلت (ان زيداً ليقوَمن) كان هذا جواب قسم والمراد الاستقبال لاغير"[٧] .

وهذه النون كثيرا ما تدخل على الشرط المسبوق بـ (ما) الزائدة ولاسيما شرط (إنْ) نحو قوله تعالى ﴿وإمّا تخافَن من قوم خيانة فانبذْ اليهم على سواء – الانفال ٥٨﴾ وقوله : ﴿وإمّا تُعرِضَنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربّك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا –

(٣) شرح ابن يعيش ٩/ ٣٧.
(٤) حاشية الصبان ٣/ ٢١٢ وانظر التصريح ٢/ ٢٠٣.
(٥) كتاب سيبويه ١/ ٤٥٤.
(٦) شرح ابن يعيش ٩/ ٣٧ وانظر شرح ابن الناظم ٢٥٢ – ٢٥٣.
(٧) شرح ابن يعيش ٩/ ٣٩.

الاسراء ٢٨﴾ وذلك لان (ما) للتوكيد فجئ بالنون التي هي للتأكيد ايضا ولذلك قالوا ان دخولها هنا قريب من الواجب،[٨] ، ولم ترد في القرآن الكريم الاّ مؤكدة.

قال سيبويه : "ومن مواضعها حروف الجزاء إذا وقعت بينها وبين الفعل (ما) للتوكيد وذلك لأنهم شبّهوا (ما) باللام التي في (لتفعلن) لما وقع التوكيد قبل الفعل الزموا النون آخره كما الزموا هذه اللام وان شئت لم تقحم النون كما انك ان شئت لم تجئ بها فأما اللام فهي لازمة في اليمين فشبهوا (ما) هذه إذ جاءت توكيداً قبل الفعل بهذه اللام التي جاءت لاثبات النون فمن ذلك قولهم : إمّا تأتني آتك"[٩] .

فذكر أن (ما) شبيهة بلام القسم في التوكيد.

وتدخل كثيرا ايضا على الطلب كالامر والنهي والاستفهام والتمني وما الى ذلك.[١٠] قال تعالى ﴿فلاتكونن من الممترين – البقرة ١٤٧﴾.

وقال الاعشى :

وهل يمنعنّي ارتيادي البلا   دمن حذر الموت أن يأتيَنْ

---

(٨) التصريح ٢/ ٢٠٤.

(٩) كتاب سيبويه ٢/ ١٥٢.

(١٠) انظر التصريح ٢/ ٢٠٤، شرح الاشموني ٣/ ٢١٣ وما بعدها.

القسم

الغرض من القسم توكيد الكلام وتقويته[1] ، فاذا أقسمت على شيء فقد اكدته. ويطلق على القسم اليمين والحلف ايضا. ولفظها يفيد معنى القوة.
فاليمين: من معانيه القوة والقدرة. جاء في (لسان العرب): "واليمين القوة والقدرة... وفي التنزيل العزيز (لاخذنا منه باليمين)[2].
قال الزجاج: أي بالقدرة"[3].

فلعل اليمين التي هي القسم اخذت من هذا المعنى لأنها تقوية للكلام ، وقيل بل "سميت اليمين يمينا لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه... وقال بعضهم: قيل للحلف يمين باسم يمين اليد وكانوا يبسطون أيمانهم إذا حلفوا وتحالفوا وتعاقدوا وتبايعوا"[4].

وفي هذا المعنى ايضا معنى القوة لان يمين الانسان اقوى من شماله.
الحلف: وأما الحلف فلا يخلو معناه من القوة ايضا. فمن هذه المادة اللغوية نفسها (الحِلْف) بالكسر وهو "العهد يكون بين القوم ، وقد حالفه أي عاهده وتحالفوا أي تعاهدوا... قال ابن الاثير: اصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق"[5].

فالمعاقدة والمعاهدة والمحالفة قوة ولاشك ولعل الحلف الذي هو القسم مأخوذ من هذا المعنى لانه تقوية للكلام.
وقيل بل المحالفة التي هي المعاهدة مأخوذة من (الحلف) الذي هو (اليمين) فقد قال الليث: "حالف فلان فلانا فهو حليفه وبينهما حِلْف ، لانهما تحالفا بالأيمان ان

---

(١) انظر كتاب سيبويه ١/ ٤٥٤ ، شرح ابن يعيش ٩/ ٩٠.
(٢) الحاقة ٤٥
(٣) لسان العرب (يمن)
(٤) لسان العرب (يمن)
(٥) لسان العرب (حلف)

يكون امرهما واحداً بالوفاء فلما لزم ذلك عندهم في الأحلاف التي في العشائر والقبائل صار كل شيء لزم شيئا فلم يفارقه فهو حليفه حتى يقال: فلان حليف الجود وفلان حليف الاكثار وفلان حليف الإقلال"[٦].

وجاء في (اساس البلاغة): "حلف بالله على كذا حلفا... وحالفه على كذا وتحالفوا عليه واحتلفوا عليه...

ومن المجاز: بينهم حلف أي عهد. وهم حلفاء بني فلان وأحلافهم وهذا حليفي وهو حليف الندى وحليف السهر"[٧].

فجعل الحلف بالله هو المعنى الاول ونقل منه معنى الحلف الذي هو العهد والمحالفة ونحوها.

وانما كان الامر في الحلف معنى التقوية إذ كل شيء يدخله الحلف يكون قوة له.

وكذلك القسم فمن اشتقاقه ما يعطي بمعنى القوة، فالقَسْم بفتح فسكون هو "ان يقع في قلبك الشيء فتظنه ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة"[٨].

وأما لفظ (القسَم) فيدل على ان اصله من (القِسْم) وهو النصيب وذلك ان الشخص كان يحلف على قِسْمه أي نصيبه فيأخذه، فكان القسم بادئ ذي بدء يستعمل في الحلف على النصيب خاصة ثم عمّ استعماله في كل موضع والله اعلم.

جاء في (لسان العرب): "وأقسمت حلفت وأصله من القَسامة... والقَسامة الذين يحلفون على حقهم ويأخذون... والقَسامة الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون"[٩].

وقيل إن كل قسم ورد في القرآن الكريم بلفظ (الحلف) ففيه معنى الحنث او الحلف الكاذب والامر كما ذكر. قال تعالى: ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم -

---

(٦) لسان العرب (حلف).

(٧) اساس البلاغة (حلف) ١٩١/ ١٩٢.

(٨) القاموس المحيط (قسم) ٤/ ١٦٤.

(٩) لسان العرب (قسم).

المائدة ٨٩﴾ وهو في حنث اليمين. وقال : ﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون – المجادلة ١٤﴾ وقال : ﴿وليحلفُنّ إن اردنا الا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون – التوبة ١٠٧﴾.

وأما القسم فهو عام استعمله القرآن في الكذب والصدق. قال تعالى على لسان ابليس ﴿وقاسمها إني لكما لمن الناصحين – الاعراف ٢٠﴾ وهو كذب. وقال: ﴿أوَلم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال – ابراهيم ٤٤﴾، وقال: ﴿وأقسموا بالله جَهد أيمانهم لئن امرتهم ليخرُجنّ قل لاتقسموا طاعة معروفة – النور ٥٣﴾. وهذا كله حنث وكذب.

واما ما ورد في غير ذلك فنحو قوله تعالى ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم – الواقعة ٧٥، ٧٦﴾.

وقال: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون – المعارج ٤٠).

أنواع القسم

القسم نوعان :

أ– ظاهر أو صريح : "ويستدل عليه بحرف القسم مثل قوله تعالى : ﴿والسماء ذات الحُبُك إنكم لفي قول مختلف– الذاريات ٧، ٨﴾أو يستدل عليه بفعل القسم كقول الشاعر:

وأقسم لا أنساك ما ذرّ شارق ... وما هبّ آلٌ في ملمعة قفر

أو يستدل عليه بالحرف والفعل معا كقوله تعالى : ﴿وأقسموا بالله جَهد أيمانهم لئن جاءتهم ليؤمنُنّ بها– الانعام ١٠٩﴾.

أو يستدل عليه بلفظ من ألفاظ القسم اسماً كان أو مصدراً كقول امرئ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي" (١٠)

(١٠) أساليب القسم في اللغة العربية – كاظم فتحي الرواي ٣٢– ٣٣، وأنظر الكليات لابي البقاء ٢٩٠.

ب- مضمر أو غير صريح : وهو ما دلت عليه اللام نحو﴿لَتُبلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم- آل عمران ١٨٦﴾ ونحو﴿لئن أُخرجوا لايخرجون معهم- الحشر ١٢﴾ وقوله﴿ولقد صدقكم الله وعده- آل عمران ١٥٢﴾.

جاء في (الكتاب) : "وسألته [يعني الخليل] عن قوله (لتفعلن) إذا جاءت مبتدأة ليس قبلها ما يحلف به ، فقال : إنما جاءت على نية اليمين وان لم يتكلم بالمحلوف به"[11] .

أو دل عليه المعنى نحو﴿وإنْ منكم الاّ واردها- مريم ٧١﴾[12] .

وكقولهم : (علم الله) و(شهد الله) و(عمرك الله) و(عاهدت الله) لافعلن و (علّي عهد الله لافعلن)[12أ]

أحرف القسم

أشهر أحرف القسم : الواو والباء والتاء واللام .

الواو: وهي أكثرهن استعمالاً في القسم[13] ، وهي والتاء تختصان به من بين حروف الجر.

ولا يذكر فعل القسم معها فلا يقال : أقسم والله ، ولا تدخل على الضمير فلا يقال : وك يقال : بك[14] .

وتدخل على كل مقسم به : قال تعالى : ﴿والفجر وليال عشر- الفجر ١﴾ ، وقال : ﴿والليل إذا يغشى- الليل ١﴾ ولاتختص بلفظ الله تعالى .

---

(١١) الكليات لابي البقاء ٢٩٠ ، أساليب القسم في اللغة العربية ٣٦- ٣٩.
(١٢) كتاب سيبويه ١/ ٤٥٥.
(١٢أ) أنظر كتاب سيبويه ٢/ ١٤٧ ، الهمع ٢/ ٤٤- ٤٥ ، شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٧٨.
(١٣) كتاب سيبويه ٢/ ١٤٣.
(١٤) أنظر الرضي على الكافية ٢/ ٣٧٠.

الباء: ويجوز ذكر فعل القسم معها وحذفه. تقول: أقسم بالله لأقولنّ الصدق. قال تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم– الواقعة ٧٥– ٧٧﴾. ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجُنّ– النور ٥٣﴾.

وتقول: (بالله لأقولنّ الصدق). قال تعالى ﴿فبعزتك لأغوينّهم أجمعين– ص ٨٢﴾، وقال الشاعر:

بربك هل ضممت إليك ليلى

وتدخل على الظاهر والمضمر فتقول: أقسم بك يارب لأ سعين في الخير.

وتختص الباء بالجواب الطلبي والاستعطافي فتقول: (بالله عليك افعل هذا ولا تفعل هذا) و (هل فعلت هذا؟) و (إلا فعلت هذا)، ولا يجوز ذلك في غيرها فلا تقول: (والله افعل هذا أو لاتفعل هذا أو هل فعلت هذا).

جاء في (الهمع): "إختص بها [أي باء القسم] الطلب والاستعطاف فلا يقسم فيها بغيرها نحو بالله أستخبرني؟، وبالله هل قام زيد؟ أي أسألك بالله مستحلفا"[(١٥)].

التاء: وتكاد تختص بلفظ الله تعالى ولم ترد في القرآن الكريم الاّ معه قال تعالى: ﴿وتالله لأكيدنّ أصنامكم– الانبياء ٥٧﴾، وقال: ﴿تالله إن كدت لتُردين– الصافات ٥٦﴾.

وفيها معنى التعجب والتفخيم. قال تعالى على لسان اخوة يوسف لابيهم: ﴿تالله إنك لفي ضلالك القديم– يوسف ٩٥﴾ متعجبين من بقاء أبيهم على حاله لم يتغير ولم يتبدل مع طول العهد. وقال أيضاً على لسان أخوة يوسف لاخيهم يوسف: ﴿تالله لقد آثرك الله علينا– يوسف ٩١﴾ متعجبين مما حصل له من علو منزلة ورفعة مكانة وما جرّت له فعلتهم من الخير على غير ما كانوا يتوقعون ويؤمّلون.

---

(١٥) الهمع ٢/ ٣٨ وانظر إبن يعيش ٩/ ١٠٠.

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿وتالله لاكيدن أصنامكم- الانبياء ٥٧﴾: "فإن قلت: ما الفرق بين الباء والتاء؟

قلت: إن الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها. وإن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتّيه لان ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره"(١٦).

ومن التفخيم قوله تعالى: ﴿تالله لتسألن عمّا كنتم تفترون- النحل ٥٦﴾، وقوله: ﴿تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك- النحل ٦٣﴾.
ويبدو أن القسم بها آكد وأفخم من الواو لاختصاصها باسم الله سبحانه.

اللام: وهي مختصة بلفظ (الله) تعالى ولاتستعمل في القسم الاّ إذا أريد به معنى التعجب. قال سيبويه: "ولا يجئ الا أن يكون فيه معنى التعجب. قال أمية بن عائذ:

لله يبقى على الايام ذو حيد بمشمخر به الظيّان والآس"(١٧).

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): "قوله وبمعنى (الواو) في القسم للتعجب نحو (لله لايؤخر الاجل). قولهم (في التعجب) يعنون في الامر العظيم الذي يستحق أن يتعجب منه فلا يقال: لله لقد قام زيد، بل يستعمل في الامور العظام نحو: لله لتبعثن"(١٨).

وقال أيضاً: "ولام الجر تجئ بمعنى الواو كما ذكرنا مختصة أيضاً بلفظ (الله) في الامور العظام"(١٩).

وقد يعوض عن النطق بحرف القسم مع اسم الله تعالى (ها) التنبيه أو همزة الاستفهام فيقال: (ها الله ذا) أي (والله ذا)، و (لا ها الله ذا)"فاذا جئت بهاء

---

(١٦) الكشاف ٢/ ٣٣١ وانظر ٢/ ١٤٧ في قوله تعالى ﴿تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض﴾.
(١٧) كتاب سيبويه ٢/ ١٤٤.
(١٨) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٦٥.
(١٩) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٧٠، وانظر شرح ابن يعيش ٢/ ٩٨.

التنبيه بدلاً فلابد أن تجيء بلفظة (ذا) بعد القسم به نحو: (لاها الله ذا)[20]. وفي (ذا) قولان:

القول الاول انها من جملة المقسم به صفة لله تعالى والمعنى (لا والله الحاضر). لحضوره في كل مكان أو على تقدير (هذا قسمي).

والقول الثاني انها من جملة الجواب أي: الامر ذا.

والقول الاول أرجح لان الجواب يؤتى به بعد (ذا) فيقولون (ها الله ذا لافعلن) ولو كان جواباً لاكتفي به[21].

وقد يعوض عنه بهمزة الاستفهام منكراً أو مستفهماً فتقول: (آلله كان كذا؟). جاء في (شرح الرضي على الكافية): "واما همزة الاستفهام فإما أن تكون للانكار كقول الحجاج في الحسن البصري رحم: آلله ليقومن عبيد من العبيد فيقولن كذا وكذا؟ أو للاستفهام كما قال صلى الله عليه وسلّم لعبد الله بن مسعود (رض) لما قال: هذا رأس أُبَيّ (آلله الذي لا اله غيره؟).

فإذا دخلت همزة الاستفهام على (الله) فإما ان تبدل الثانية ألفاً صريحة وهو الاكثر أو تسهل كما هو القياس في (الرجل) ونحوه[22].

وربما أسقط حرف القسم مع لفظ (الله) تعالى من غير تعويض نحو (اللهَ لافعلن) أي (بالله) فينتصب المقسم به. قال الشاعر:

إلا رب من قلبي له اللهَ ناصح[23]

---

(20) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٧١.

(21) أنظر شرح ابن يعيش ٩/ ١٠٥ - ١٠٦، شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٧٢.

(22) شرح الرضي ٢/ ٣٧٢، ٣٧١ وأنظر كتاب سيبويه ٢/ ١٤٥، شرح ابن يعيش ٩/ ١٠٥ - ١٠٦.

(23) أنظر شرح ابن يعيش ٩/ ١٠٢ - ١٠٣، شرح الرضي ٢/ ٣٦٤، كتاب سيبويه ٢/ ١٤٤.

ألفاظ تستعمل في القسم

لعمرك :

هذا اللفظ يستعمل في القسم ومعنى (العَمْر) الحياة وهو (والعُمْر) و (العُمُر) شيء واحد يقال قد طال عَمْره وعُمْره ، ويستعمل في القسم المفتوح ليس غير فيقال[٢٤] : (لعَمرك) ولا يقال : (لعُمرك) واللام الداخلة عليه هي لام الابتداء ، فمعنى لعمرك : لَحياتُك ، فهو مبتدأ وخبره محذوف تقديره : (قسمي) ، فيكون الكلام : حياتك قسمي والمراد أُقسم بحياتك.

وكذلك (لعمر الله) أي أقسم ببقاء الله ودوامه[٢٥] ، قال تعالى : ﴿لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون– الحجر ٧٢﴾ فأقسم بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

أيمن الله :

تستعمل (ايمن الله) في القسم ، يقال : (ايمن الله لاردّن عليه قوله) وهمزتها همزة وصل وقد اختلف في (ايمن) هذه فقيل "هو مفرد مشتق من (اليمن) وهو البركة أي بركة الله يميني"[٢٦] .

وعند الكوفيين هو جمع (يمين) جعلت همزة القطع فيه وصلا لكثرة الاستعمال[٢٧] .

وقد تصرفوا بهذه الكلمة لكثرة الاستعمال فقالوا : (أيمن الله) و (أيم الله) بحذف النون و (مُ الله) و (من ربي) وغير ذلك لان كثرة دوران الكلمة على الالسنة مدعاة الى التصرف فيها تخفيفا.

---

(٢٤) أنظر لسان العرب (عمر) ٩/ ٢٧٩– ٢٨٠.

(٢٥) لسان العرب ٩/ ٢٨٠ (عمر).

(٢٦) شرح الرضي على الكافية ٢/٣٧٣ ، شرح ابن يعيش ٩/٩٢.

(٢٧) شرح الرضي ٢/٣٧٣ ، شرح ابن يعيش ٩/٩٢.

جاء في (شرح ابن يعيش) : "اعلم أن اللفظ اذا كثر في السنتهم واستعمالهم آثروا تخفيفه وعلى حسب تفاوت الكثرة يتفاوت التخفيف ولما كان القسم مما يكثر استعماله ويتكرر دوره بالغوا في تخفيفه من غير جهة واحدة"(٢٨) .

عمرك الله :

هذا التعبير يستعمل قسماً وغير قسم ، فمن استعماله في القسم قولك (عمَرَكَ اللهَ لافعلنّ) بفتح الهاء ، وقد يستعمل في قسم السؤال فيقال (عمركَ اللهَ لاتفعل) قال :

ايها المنكح الثريا سهيلا … عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت … وسهيل اذا استقل يماني(٢٩)

قالوا : ومعنى (عمرك الله) استحلفك بتعميرك اللهَ ، أي : باقرارك له بالبقاء(٣٠) ، فيكون (العمر) على هذا مصدرا والاصل عمّرك الله تعميرا فحذفت الزوائد من المصدر.

وقد يكون على غير هذا المعنى فلا ينتصب على المصدر ولايكون قسما وذلك نحو قولك : (عمَرَكَ اللهَ مافعل فلان؟) فيكون التقدير في نحو هذا (اسأل عمرك الله) أي اسأل الله أن يعمرك فيكون (عمرك) مفعولا أول و (الله) مفعولا ثانيا والمعنى (اسأل الله أن يطيل عمرك).

جاء في (لسان العرب) : "وقول عمر بن ابي ربيعة :

عمركَ اللهَ كيف يجتمعان…

يريد سألت الله أن يطيل عمرك"(٣١) .

---

(٢٨) شرح ابن يعيش ٩/٩٤.
(٢٩) شرح الرضي على الكافية ١/١٢٧–١٢٨ .
(٣٠) انظر لسان العرب (عمر) ٩/٢٨٠ ، شرح الرضي على الكافية ١/١٢٧–١٢٨ ، شرح ابن يعيش ٩/ ٩١.
(٣١) لسان العرب (عمر) ٩/٢٨٠ ، شرح الرضي ١/١٢٨ ، شرح ابن يعيش ٩/٩١ المع ٢/٤٥ .

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : "وعلى تأويلها [يعني عمرك الله وقعدك الله] بـ (أسأل تعميرك وتقعيدك) ليس معنى القسم ظاهراً فيها مع انها لايستعملان الاّ في القسم كما ذكرنا الا ان يقال : لما كانا للدعاء للمخاطب جريا مجرى قسم السؤال لأنه قد يبتدأ السؤال بالدعاء للمسؤول كأنه قيل : طوّل الله عمرك افعل لي كذا وكذا" (٣٢) .

وربما قيل (عمرَكَ اللهُ) بضم الهاء فيكون لفظ الجلالة فاعلا أي : عمرك الله تعميرا (٣٣) .

والذي يبدو لي أنه دعاء على كل حال على المعنى الثاني أي الدعاء باطالة العمر ولكنه قد يضمن معنى القسم فيستعمل استعماله كما في (علم الله) و (علّي عهد الله) ونحو ذلك ، أولا يضمن بل يراد به الدعاء المحض .

قعدك الله :

يستعمل هذا في القسم فيقال : (قعدَك اللهَ لتفعلن) ، ويقال ايضا : (قعيدك الله) .

وقد اختلف في معنى (قعدَك اللهَ) فقيل إن معناها اسألك بحق قعدك الله ، أي بحق نسبتك اياه الى القعود أي الدوام والتمكن .

وقيل : المعنى (اسألك بحق قعيدك الذي هو الله) ومعنى (قعدك) قعيدك ، أي : "ملازمك العالم باحوالك وهو الله . فـ (الله) عطف بيان لقعدك ويؤيد هذا التأويل قولهم : (قعيدك الله) بمعناه فالقِعْد والقعيد بمعنى المقاعد كالحلف والحليف" (٣٤) .

وقيل معنى "(قعدك الله وقعيدك) : الله معك ، أي رقيب عليك وحفيظ . وقيل : مقاعدك وهو بمعناه وضمن معنى القسم. قال في الصحاح : على معنى

---

(٣٢) شرح الرضي على الكافية ١٢٨/١ .
(٣٣) شرح الرضي ١٢٨/١ .
(٣٤) شرح الرضي على الكافنة ١٢٨/١ .

يصاحبك الله الذي هو صاحب كل نجوى ، وقيل هما مصدران بمعنى المراقبة ، والتقدير: اقسم بمراقبتك الله ونصب الجلالة في الجميع على اسقاط الجار"[٣٥] .

وجاء في (لسان العرب) : "وقيل (قعدك الله) و (قعيدك الله) أي كأنه قاعد معك يحفظ عليك قولك ، وليس بقوي .

قال ابو عبيد : قال الكسائي : يقال قِعدك الله أي الله معك ...

وقال ثعلب : قعدك الله وقعيدك اللهَ أي نشدتك الله ...

والقسم قعيدك الله لأكرمنك ...

قال الجوهري : هي يمين للعرب وهي مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر والمعنى يصاحبك الذي هو صاحب كل نجوى كما يقال : نشدتك الله"[٣٦] .

وقيل إن معناها اسأل الله قعدك كما في (اسأل الله عمرك) أي : اسأله تقعيدك وتمكينك فلاتكون على هذا قسما ، بل هي كما ذكر الرضي فيها وفي (عمرك الله) "لما كانا للدعاء للمخاطب جريا مجرى قسم السؤال لأنه قد يبتدأ السؤال بالدعاء للمسؤول كأنه قيل : طوّل الله عمرك افعل لي كذا وكذا"[٣٧] .

والذي يبدو أن معنى (قعدك الله) : (قعيدك الله) أي : (الله مقاعدك وملازمك ورقيب عليك) ، ثم يضمن هذا التعبير معنى القسم احيانا فيكون حلفا أو استحلافا بمراقبة الله له وملازمته اياه فتقول (قعدك الله لتفعلن) على معنى استحلفك برقابة الله عليك وحضوره معك لتفعلن . وتقول : (قعدك الله لأفعلن) على معنى احلف بمراقبة الله وحضوره معك فأنت لست وحدك الآن بل الله معك مّطلع على ما اقول لافعلن .

ونصب لفظ (الله) اما على عطف البيان من (قعدك) كما ذكر الرضي ، أي (استحلفك قعيدك الله) أي : (استحلفك قعيدك الذي هو الله) .

---

(٣٥) همع الهوامع ٤٥/٢ .

(٣٦) لسان العرب (قعد) ٣٦٥/٤-٣٦٦ .

(٣٧) شرح الرضي على الكافية ١٢٨/١ .

واما على المفعول به ، أي : اجعل الله قعيدك ، أي : تذكّر ان الله معك ، كما يقال في الدارجة : (اجعل الله بين عينيك اذا تكلمت) فيكون الغرض من هذا التعبير تحذير المخاطب وتخويفه الله الذي لايفارقه وليس مراداً به القسم.

هذا اذا كانا منصوبين.

اما اذا كانا مرفوعين أي (قعدُك اللهُ) و (قعيدُك اللهُ) فهما مبتدأ وخبر ، والمعنى : (الله مقاعدك) وهذا دعاء محض ليس فيه قسم والمعنى : (جليسك الله) أي الله قاعد معك يحفظك ويرعاك.

جاء في (القاموس المحيط) : "وَقَعْدُك اللهُ وُيكسَر ، وقعيدُك اللهُ ناشدتك الله وقيل كأنه قاعد معك بحفظه عليك أو معناه بصاحبِك الذي هو صاحب كل نجوى" (٣٨) .

أو قد يكون اخباراً القصد منه تحذيره المخاطب وتخويفه الله الذي لايفارقه فيكون المعنى : الله معك وهو مقاعدك فراقبه فيما تقول أو تفعل على ماذكرنا في النصب والله اعلم.

وقوع (لا) قبل القسم :

تقع (لا) قبل فعل القسم كثيراً وخصوصا قبل الفعل (اقسم) فيقال (لاأقسم). قال تعالى : ﴿فلا أقسم بالشفق – الانشقاق ١٦﴾ وقال : ﴿لا أقسم بهذا البلد – البلد ١﴾ ، كما تقع قبل القسم من غير فعل القسم ، وذلك كقوله تعالى : ﴿فلا وربك لايؤمنون – النساء ٦٤﴾ .

وحيثما أقسم الله في القرآن الكريم ذاكراً فعل القسم (اقسم) جاء بـ (لا) قبله فلم يقل مرة : اقسم بكذا ، بل كل ماورد (لا أقسم) قال تعالى : ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم – الواقعة ٧٥ – ٧٧﴾ .

وقال : ﴿فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنه لقول رسول كريم – الحاقة ٣٨ – ٤٠﴾ .

---

(٣٨) القاموس المحيط (قعد) ١/٣٢٩.

وقال : ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنّا لقادرون على أن نبدّل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين – المعارج ٤٠ – ٤١﴾ .

وقال : ﴿لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة – القيامة ١ ، ٢﴾ .

وقال : ﴿فلا أقسم بالخُنّس الجوار الكُنّس ... انه لقول رسول كريم – التكوير ١٥ – ١٩﴾ .

وقال : ﴿فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر اذا اتسق . لتركبُنّ طبقا عن طبق – الانشقاق ١٦ – ١٩﴾ .

وقال : ﴿لا أقسم بهذا البلد . وأنت حِلّ بهذا البلد – البلد ١ ، ٢﴾ .

واما بغير فعل القسم فلم يرد ذلك الاّ في قوله تعالى ﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شَجَر بينهم – النساء ٦٤﴾ .

والنحاة في ذلك على مذاهب :

فمنهم من ذهب الى أن (لا) قبل القسم زائدة تفيد التوكيد فمعنى (لا أقسم بيوم القيامة) : اقسم بيوم القيامة .

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ : "ادخال (لا) النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم . قال امرؤ القيس :

لا وأبيك ابنة العامريّ　　　لايدّعي القوم أني أفر

وقال غوية بن سلمى :

الا نادت امامة باحتمال　　　لتحزنني فلا بك ما ابالي

وفائدتها توكيد القسم . وقالوا انها صلة مثلها في ﴿لئلا يعلم اهل الكتاب﴾[39] .

وفي قوله :

في بئر لاحور سرى وما شعر

واعترضوا عليه بأنها تزاد في وسط الكلام لا في أوله .

---

(٣٩) الحديد ٢٩ .

واجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض.

والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الاّ في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد، الاترى الى امرىء القيس كيف زادها في مستهل قصيدته"[٤٠].

وقيل إنها زيدت على نية الرد على المكذبين.

جاء في (تأويل مشكل القرآن) : "واما زيادة (لا) في قوله : ﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ وقوله ﴿فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق﴾ ... فانها زيدت في الكلام على نية الرد على المكذبين ، كما تقول في الكلام : (لا والله ماذاك كما تقول) ، ولو قلت (والله ماذاك كما تقول) لكان جائزا غير أن إدخالك (لا) في الكلام أولا ابلغ في الرد"[٤١].

وقيل : ان (لا) نافية واختلفوا في هذا النفي فمنهم من ذهب الى انه يفيد نفي أمر سابق قبل القسم ، ففي قوله (لا أقسم بيوم القيامة) : "كأنهم انكروا البعث فقيل : لا ، أي : ليس الامر على ماذكرتم ثم قيل : اقسم بيوم القيامة"[٤٢].

وفي قوله :(فلا وربك لايومنون): "التقدير ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنفت القسم"[٤٣].

وذهب الزمخشري الى أنها للنفي والمقصود بذلك إعظام المقسَم به فكأنه قال : انا لااعظّمه بالقسم فهو معظّم بغير القسم. قال : "والوجه أن يقال : هي للنفي ، والمعنى في ذلك انه لايقسم بالشيء الاّ إعظاماً له يدلّك عليه قوله تعالى ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ فكأنه بادخال حرف النفي يقول : إن إعظامي له باقسامي به كلا إعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك"[٤٤].

---

(٤٠) الكشاف ٣/٢٩١ – ٢٩٢ وانظر في ١/٤٥ قوله تعالى ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾.

(٤١) تأويل مشكل القرآن ١٩١ – ١٩٢ وانظر التفسير الكبير للرازي في ١٠/١٦٣ قوله تعالى ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾.

(٤٢) الكشاف ٣/٢٩٢.

(٤٣) التفسير الكبير للرازي ١٠/١٦٣.

(٤٤) الكشاف ٣/٢٩٢.

وقيل : إنها لتوكيد النفي الذي جاء فيما بعد[٤٥] .

جاء في (الكشاف) : "فان قلت : قوله تعالى ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾ والابيات التي انشدتها المقسم عليها فيها منفي فهلا زعمت أن التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدّرت المقسم عليه المحذوف هنا منفيا كقولك : لا أقسم بيوم القيامة لاتتركون سدى.

قلت : لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر. الا ترى كيف لقى (لا أقسم بهذا البلد) بقوله ﴿لقد خلقنا الانسان﴾ وكذلك (فلا أقسم بمواقع النجوم) بقوله : انه لقرآن كريم؟"[٤٦] .

وجاء في (بدائع الفوائد) أن (لا) : "اقحمت أول القسم إيذانا بنفي المقسم عليه وتوكيداً لنفيه كقول الصديق (لاها الله لاتعمد الى اسد من اسد الله) الحديث"[٤٧] .

وقال محمد عبده في تفسير جزء عمّ : «ان (لا أقسم) عبارة من عبارات العرب في القسم يراد بها تأكيد الخبر كأنه في ثبوته وظهوره لايحتاج الى قسم ، ويقال إنه يؤتى بها في القسم اذا اريد تعظيم المقسم به كأن القائل يقول : اني لا أعظمه بالقسم لانه عظيم في نفسه»[٤٨] .

وذهبت بنت الشاطئ الى أن القصد من ذلك التأكيدُ" والتأكيد عن طريق النفي ليس بغريب من مألوف استعمالنا فأنت تقول لصاحبك : لا أوصيك بفلان تأكيداً للوصية ومبالغة في الاهتمام بها كما تقول : لن ألحّ عليك في زيارتنا ، فتبلغ بالنفي مالا تبلغه بالطلب المباشر الصريح"[٤٩] .

---

(٤٥) انظر التفسير الكبير ١٠/١٦٣ .

(٤٦) الكشاف ٣/٢٩٢ ، وانظر ١/٤٠٥ في قوله تعالى : ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾ .

(٤٧) بدائع الفوائد ١/١٠١ .

(٤٨) اساليب القسم في اللغة العربية ١٥٠ ، وانظر تفسير جزء عمّ لمحمد عبده – سورة البلد.

(٤٩) اساليب القسم في اللغة العربية ١٥٠ – ١٥١ .

ولابد هنا من أن نفرق بين ذكر (لا) مع فعل القسم (لا أقسم) وذكرها من دون فعل القسم (لا والله) فانها ليسا امراً واحداً خلافا للزمخشري فقد عدهما امراً واحدا.

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾: "فان قلت: قوله تعالى: ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾ والابيات التي انشدتها المقسم عليها منفي فهلا زعمت ان (لا) التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدّرت المقسم عليه المحذوف هنا منفيا كقولك: لا اقسم بيوم القيامة لاتتركون سدى.

قلت: لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر. الا ترى كيف لقى (لا أقسم بهذا البلد) بقوله (لقد خلقنا الانسان) وكذلك (فلا أقسم بمواقع النجوم) بقوله: انه لقرآن كريم؟"(٥٠).

فرّد على من قال إن (لا) في قوله تعالى (فلا وربك) انما زيدت لتظاهر النفي فيما بعد اي (لايؤمنون) بأن ذلك مردود باستواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله (فلا اقسم) فرد بما فيه الفعل على ما لا فعل فيه.

وهذا فيما نرى غير سديد، فان الاستعمال يدل على انها مختلفان.

اما (لا والله) فتستعمل على ضربين:

الاول: أن تكون ردّاً لكلام سابق مثبتاً أو منفياً أو طلباً وذلك نحو قولك لمن قال لك: (اراك قد ملت اليه). لا والله ما ملت اليه.

ونحو قولك لمن قال لك: (لا اراك ذاهبا معه). لا والله ليس الامر كما ترى بل اني ذاهب معه.

وكقولك لمن قال لك: (اكرمْ فلانا). لا والله لا اكرمه.

وكقولك لمن قال لك: (ألا تذهب اليه؟). لا والله لا اذهب اليه.

وقد يكون جوابها مثبتا فتقول لمن قال لك: (ارى فلانا كاذبا). لا والله انه لصادق.

---

(٥٠) الكشاف ١/ ٤٠٥.

والضرب الآخر وهو المقصود أن تقع ابتداء من غير كلام سابق والغرض من هذا النفي الايذان بنفي المقسَم عليه وتوكيد النفي الذي يجيْ فيما بعد وذلك نحو قوله تعالى : (فلا وربك لايؤمنون) ، وكقول امرئ القيس :

لا وابيـك ابنـة العـامرى   لايـدّعـي الـقـوم أني أفـر

فلا يكون جوابها الاّ منفيا والامر فيها كما قال من قال إنها ايذان بالنفي وتوكيد له

واما (لا اقسم) فالامر فيها مختلف فان جوابها يكون مثبتا ومنفيا ، ولم يرد في القرآن الكريم الاّ مثبتا.

وهذاالتعبير – أي القسم – لون من الوان الاساليب في العربية تخبر صاحبك عن أمر يجهله أو ينكره وقد يحتاج الى قسم لتوكيده لكنك تقول له : لاداعي لأن احلف لك على هذا أو لا أريد أن احلف لك أن الامر على هذه الحال ، ونحوه مستعمل في الدارجة عندنا نقول : ما أحلف لك أن الأمر كيت وكيت ، أو ما أحلف لك بالله لان الحلف بالله عظيم ان الامر على غير ما تظن ، أوما اگول والله ان الامر كذا وكذا (أي لااقول والله).

فأنت تخبره بالامر وتقول له لاداعي للحلف بالمعظمات على هذا الامر فأنت اخبرته ماأردت ان تخبره به وعظّمت له ماأردت أن تعظّمه مما يستحق أن يقسم به ثم تقول له : إنني لا اريد أن اقسم لك بما هو عظيم على هذا الامر.
فهذا من هذا الضرب والله اعلم.

جواب القسم

جملة جواب القسم اما اسمية اوفعلية ، فان كانت اسمية اجيب القسم في الاثبات باللام المفتوحة أو (إنّ) واللام ، أو (إنّ) وحدها مشددة أو مخففة[٥١] .

---

(٥١) انظر شرح الرضي على الكافية ٢/ ٢٧٤ ، الهمع ٢/ ٤١.

تقول : (والله لهو افضل منك) أو (إنه افضل منك) أو (إنه لافضل منك)
قال تعالى : ﴿فورب السماء والارض إنه لحق – الذاريات ٢٣﴾ .
وقالَ : ﴿حم والكتاب المبين. انا انزلناه في ليلة مباركة – الدخان ١ – ٣﴾ .
وقال : ﴿قال تالله إنْ كدت لتردين – الصافات ٥٦﴾ .
وقال : ﴿فيقسمان بالله لَشهادتُنا أحقُّ من شهادتهما – المائدة ١٠٧﴾ .

واذا كان الجواب جملة فعلية فعلها مضارع كان باللام المفتوحة مع النون أو من دون نون. قال تعالى : ﴿وتالله لأكيدنّ اصنامكم – الانبياء ٥٧﴾ ، وقال : ﴿ولئن مُتّم أو قُتلتم لإلى الله تُحشَرون – آل عمران ١٥٨﴾ .

وذلك انه اذا كانت جملة الجواب مصدرة بفعل مضارع مثبت مستقبل غير مفصول عن لامه بفاصل وجب توكيده بالنون(٥٢) . وان فقد شرط واحد من هذه الشروط امتنعت النون.

فان كانت الجملة منفية امتنعت النون. قال تعالى : ﴿وأقسموا بالله جَهد أيمانهم لايبعث الله من يموت – النحل ٣٨﴾ وقال : ﴿فلا وربك لايؤمنون – النساء ٦٤﴾ .

وان كان الفعل للحال امتنعت النون ايضا وذلك لان نون التوكيد تخلص الفعل للاستقبال فلا تدخل على ما كان للحال. تقول : ﴿والله لأذهبُ اليه الآن) ، وتقول : (لعمرك لأحسبه صادقا) فتكتفي باللام وتمتنع النون(٥٣) . ومن هنا فرقوا بين قولهم : (ان محمداً ليضربَنّ خالدا) و (ان محمداً ليضربُ خالدا) . فقالوا ان مافيه نون التوكيد مخصوص بالاستقبال ، وما فيه اللام وحده ليس كذلك ، بل ذهب اكثرهم الى انه مخصوص بالحال لأن لام الابتداء تخلص الفعل المضارع للحال عند الاكثرين(٥٤) .

---

(٥٢) شرح الاشموني ٣/ ٢١٥ ، التصريح ٢/ ٢٠٣ ، الهمع ٢/ ٤٢.
(٥٣) شرح الرضي ٢/ ٣٧٦.
(٥٤) انظر المغني ١/ ٢٢٨.

وقد بحثنا هذا في باب (انّ وأخواتها) ورجحنا انها لاتخلص المضارع للحال بل قد تفيده وتفيد الاستقبال. قال تعالى: ﴿وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة – النحل ٢٤﴾. وعلى هذا فالتعبير بالنون مخصوص بالاستقبال، والتعبير باللام يحتمل الحال والاستقبال، وهو للحال برجحان الاّ اذا دل على غير ذلك دليل.

جاء في (شرح ابن يعيش): "فاذا قلت: (ان زيداً ليضربن عمرا) تقديره: ان زيداً والله ليضربن عمرا فاللام واقعة موقعها لانها جواب للقسم فهي بعده. واذا قلت: (ان زيدا ليضرب عمرا) فهذه اللام تقديرها ان تكون داخلة على (انّ) فبين هذه اللام واللام التي معها النون فصل من وجهين:

احدهما ان اللام التي معها النون لاتكون الاّ للمستقبل والتي ليس معها النون تكون للحال وقد يجوز أن يراد بها المستقبل.

والوجه الآخر ان المفعول به لايجوز تقديمه على الفعل الذي فيه النون ويجوز تقديمه على الذي لانون فيه"(٥٥).

وتمتنع النون ايضا اذا فصل اللام عن الفعل تقول: (والله لسوف اكرمك). قال تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى – الضحى ٥﴾.
وعلى اية حال لابد من اللام مع المضارع المثبت.

اما اذا كانت جملة الجواب مصدرة بفعل ماض غير جامد فيكون الجواب باللام مع قد، كقوله تعالى: ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا – يوسف ٩١﴾ وربما حذفت اللام اذا كان في الكلام طول. قال تعالى: ﴿والشمس وضحاها... قد افلح من زكاها – الشمس ١ – ٩﴾(٥٦). وقيل بل هو ليس بجواب القسم بل هو تابع لقوله تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ على سبيل الاستطراد(٥٧). وهو الراجح فيما هو ظاهر.

---

(٥٥) شرح ابن يعيش ٩/ ٩٦، وانظر كتاب سيبويه ١/ ٤٥٦.
(٥٦) انظر الهمع ٢/ ٤٢.
(٥٧) انظر الكشاف ٣/ ٣٤٢.

واما الفعل الجامد فيجاب باللام دون (قد) لان (قد) لاتدخل الاّ على المتصرف، تقول: (والله لنعم الرجل انت). قال:

يمينا لنعم السيدان وجدتما[٥٨]

واما في النفي فيجاب القسم بـ (ما) أو (لا) أو (إنْ) في الجمل الاسمية أو الفعلية. قال تعالى: ﴿يحلفون بالله ماقالوا- التوبة ٧٤﴾ وقال: ﴿والله ربنا ما كنّا مشركين- الانعام ٢٣﴾ فتلقّاه بـ (ما).

وقال: ﴿وأقسموا بالله جَهد أيمانهم لايبعث الله من يموت- النحل ٣٨﴾.

وقال: ﴿فيقسمان بالله إن ارتبتم لانشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى- المائدة ١٠٧﴾ فتلقّاه بـ (لا).

وقال: ﴿ولئن زالتا إن امسكهما من احد من بعده- فاطر ٤١﴾.

وقال: ﴿ثم جاؤوك يحلفون بالله إن اردنا الاّ احسانا وتوفيقا- النساء ٦٢﴾ فتلقّاه بـ (ان) النافية.

وتقول في الجمل الاسمية (والله ما محمد مسافرا) أو إنْ محمدٌ مسافر.

قال تعالى: ﴿والسماء والطارق... إنْ كلُّ نفس لمّا عليها حافظ- الطارق ١- ٤﴾ أي ما كل نفس الاّ عليها حافظ.

وتقول: والله لااحد في الدار، أو والله لا ابراهيم ولا محمود في الدار[٥٩].

واما في القسم الطلبي والاستعطافي فُيتلقّى بالامر والنهي والاستفهام، تقول: (بالله عليك ارحم ضعفي) وتقول: (بالله عليك لاتردني خائبا) وقال:

بربك هل ضممت اليك ليلى

ويجاب بالاّ و (لمّا) تقول: (بالله عليك الاّ فعلت ولمّا فعلت)[٦٠].

حذف (لا) النافية من جملة الجواب:

يجوز حذف (لا) النافية من جواب القسم قياسا اذا كان فعلا مضارعا تقول: (والله أرغبُ عنك) أي لا أرغب عنك. فاذا أُريد الاثبات جيئ باللام، ولابد اذ

---

(٥٨) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٧٦.

(٥٩) انظر شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٧٥.

(٦٠) انظر الهمع ٢/ ٤١- ٤٢، شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٧٤.

لايجوز أن يُتلقّى القسم في الاثبات بغير اللام ، فان لم تذكر اللام علمت أنه منفي لامحالة. قال تعالى : ﴿تالله تفتأ تذكر يوسف– يوسف ٨٥) ، والمعنى لاتفتأ. ولو اريد الاثبات لقيل (لتفتأن) في الاستقبال أو (لتَفتأ) اذا اريد الحال. قال الشاعر:

آليت حب العراق الدهر أطعمه   والحب يأكله في القرية السوس

أي : لا اطعمه. وقال :

فقلت يمين الله ابرح قاعداً   ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي : لاأبرح. وقال :

تالله يبقى على الايام ذو حيد   بمشمخر به الظيّان والآس[61]

وقال صفوان بن أمية في الخمر:

رأيت الخمر صالحة وفيها   مناقب تفسد الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتي   ولا اشفي بها أبدا سقيما

أي : لا اشربها.
وقال عمر بن الظرب فيها أيضا :

سآلة للفتى ما ليس في يده   ذهّابة بعقول القوم والمال
أقسمت بالله اسقيها واشربها   حتى يفرّق ترب القبر أوصالي
مورثة القوم اضغانا بلا احن   مزرية بالفتى ذي النجدة الحالي

---

(٦١) انظر المبدع ٢ / ٤٣ ، شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٧٧.

أي : لا اسقيها ولا أشربها .

جاء في (الكتاب) : "وقد يجوز ذلك وهو من كلام العرب ان تحذف (لا) وأنت تريد معناها وذلك قولك (والله افعل ذاك ابدا) تريد : والله لاافعل ، وقال :

فحالف فلا والله تهبط تلعة من الارض الاّ أنت للذل عارف[٦٢]

وجاء في (معاني القرآن) للفراء في قوله تعالى (تالله تفتأ) : "(تالله تفتأ) : معناه لاتزال تذكر يوسف و (لا) قد تضمر مع الأيمان لانها اذا كانت خبراً لايضمر فيها (لا) لم تكن الاّ بلام. الا ترى أنك تقول : (والله لآتينك) ولا يجوز أن تقول : (والله آتيك) الا ان تكون تريد (لا). فلما تبين موضعها وقد فارقت الخبر أضمرت[٦٣] " .

الاستغناء بالجواب عن القسم :

يقول النحاة إنه قد يستغنى بجواب القسم عن القسم فيكون الجواب دليلا على القسم المحذوف وذلك كأن يؤتى باللام الواقعة في جواب القسم كقولك : (لأذهبنّ اليه) وقولك (لقد رددت عليه) فاللام واقعة في جواب قسم محذوف والتقدير: والله لاذهبن اليه أو لقد رددت عليه. قال تعالى : ﴿كلا لَيُنبذَنّ في الحطمة﴾ الهمزة ٤ ، وقال : ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ آل عمران ١٥٢ .

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "ويستغنى كثيرا عن القسم بجوابه إن اكد بالنون نحو: (لأ ضربنك)"[٦٤] .

وجاء في (الكتاب) : "وسألته – يعني الخليل – عن قوله (لتفعلن) إذا جاءت مبتدأة ليس قبلها ما يحلف به . فقال : انما جاءت على نية اليمين وان لم يتكلم بالمحلوف به"[٦٥] .

---

(٦٢) كتاب سيبويه ١/ ٤٥٤ .

(٦٣) معاني القرآن ٢/ ٥٤ .

(٦٤) شرح الرضي ٢/ ٣٨٧ ، وانظر الهمع ٢/ ٤٤ .

(٦٥) كتاب سيبويه ١/ ٤٥٥ .

وقد يؤتى باللام المواطئة للقسم قبل الشرط للتنبيه على القسم المحذوف كقولك (لئن لم تأتني لاقطعن عنك العون) أي: والله ان لم تأتني. قال تعالى: ﴿ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن - يوسف ٣٢﴾ وقال: ﴿لئن لم تنته لأرجمنك - مريم ٤٦﴾. فهذه اللام نبهت على القسم المقدر.

وربما حذفت اللام الموطئة قبل الشرط[٦٦] واكتفي بجواب القسم للدلالة على القسم المحذوف وذلك نحو قوله تعالى ﴿وان اطعتموهم انكم لمشركون - الانعام ١٢١﴾ فثمة قسم مقدّر قبل الشرط والتقدير: لئن اطعتموهم بدلالة الجواب. إذ لو كان الجواب للشرط لقيل (فانكم مشركون) فالجواب ههنا دليل على القسم المقدر ونحو قوله تعالى: ﴿وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - الاعراف ٢٣﴾ فهنا قسم مقدر قبل الشرط بدلالة الجواب (لنكونن) ولو لم يكن جوابا للقسم لقيل (نكن من الخاسرين) كما قال تعالى في موطن آخر: ﴿والاّ تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين - هود ٤٧﴾.

والذي يبدو لي أن ليس ثمة قسم مقدر وانما هو توكيد كتوكيد القسم وهو نظير قولنا (انه لمنطلق) فهذا ليس بقسم ولكنه مؤكد كتوكيد القسم إذ لو أقسمت فقلت (والله انه لمنطلق) لم يختلف التوكيد في الجملتين مع أن الاولى ليست قسما كما هو رأي الجمهور.

وكذلك قولك (لقد ذهبت اليه) أو (لأذهبن اليه) ليس بقسم وانما هو توكيد للاثبات، ونحوه قوله تعالى: ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تَحُسّونهم باذنه - آل عمران ١٥٢﴾.

وقوله: ﴿ولقد كنتم تَمنّون الموت من قبل أن تلقَوه - آل عمران ١٤٣﴾

وقوله: ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت - البقرة ٦٥﴾.

وقوله: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة - التوبة ٢٥﴾.

وقوله: ﴿ولقد أتوا على القرية التي أُمطرت مطر السَّوء أفلم يكونوا يرونها - الفرقان ٤٠﴾.

---

(٦٦) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٧٧، المغني ٢/ ٦٤٠.

فهذا كله ليس بقسم فيما أرى وانما هو توكيد فحسب. وهل يحتمل المعنى القسم في قوله تعالى ﴿ولقد كنتم تمنون الموت﴾ والمخاطبون يعلمون ذلك مقرّون به وليسوا منكرين له؟ وهل يحتمله قوله تعالى ﴿ولقد أتوا على القرية التي امطرت مطر السوء﴾ وهم يأتونها في اسفارهم وليسوا منكرين لذلك؟

يخيل اليّ أن المعنى على التوكيد وحسب والله اعلم.

وكذلك مافيه نون التوكيد نحو قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم – المائدة ٩٢﴾.

وقوله: ﴿لنخرجنك ياشعيب والذين معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا – الاعراف ٨٨﴾. فهل في قوله تعالى (أو لتعودن في ملتنا) قسم؟ وهل يستقيم الكلام إذا قلت: والله لتعودن في ملتنا؟ وهل يدل ذلك على المعنى المراد؟. وكذلك قوله تعالى؛ ﴿ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه حتى حين – يوسف ٣٥﴾ فمن هذا الذي اقسم على ذلك؟

وهل نحس في هذا معنى القسم؟ أفيصحّ التقدير: ثم بدا لهم من بعد مارأو الآيات والله ليسجننه حتى حين؟ أترى أن ذلك موافق للمعنى؟

ونحوه قوله تعالى: ﴿وليحلفن إنْ اردنا الاّ الحسنى – التوبة ١٠٧﴾ فهذا على مقتضى قول النحاة حلف على الحلف لان (ليحلفن) عندهم جواب لقسم مقدر وهو حلف ايضا جوابه ان اردنا الاّ الحسنى.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدُنّ في الارض مرتين -- الاسراء ٤﴾ فان هذا ليس حلفا بل وعدا وحسب والله اعلم.

الحق أن هذا توكيد للاثبات فقط وليس بقسم فانك كما تؤكد الامر والنهي والاستفهام والنفي بالنون تؤكد الاثبات وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ولاتموتُنّ الاّ وانتم مسلمون -- آل عمران ١٠٢﴾. وقوله: ﴿هل يُذهِبنّ كيده ما يغيظ – الحج ١٥﴾، وقوله: ﴿واتقوا فتنة لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة – الانفال ٢٥﴾، والاّ فكيف نؤكد الاثبات من دون قسم إذا أردنا ذلك؟

ألا ترى أننا نؤكد الجملة الاسمية المثبتة من دون قسم فنقول : (إن محمداً قادم) و(انه لقادم) وكذلك يقتضي القياس أن نؤكد الجملة الفعلية من دون قسم نحو (لاذهبن اليه) و(لقد ذهبت اليه).

وليس كل ما يصلح أن يقع جوابا لقسم يكون جوابا للقسم بالضرورة. ألا ترى أن النحاة لايقولون إن قولنا : (لاأذهب اليه) جواب قسم مع انه يصح أن يقع جوابا للقسم فتقول (والله لا اذهب اليه). قال تعالى : ﴿فيقسمان بالله ان ارتبتم لانشتري به ثمنا ولوكان ذا قربى - المائدة ١٠٧﴾ فلماذا يكون المثبت جوابا للقسم دائما ولايكون النفي كذلك؟ فاننا نقول في الاثبات (والله لاذهبن اليه) ونقول في النفي : (والله لاذهب اليه) فالثانية نفي للأولى فلماذا يجعلونها في المثبت قسما دائما ولايجعلونها في النفي كذلك؟ الا ترى أنه تمحُّلٌ فحسب؟

ومثل ذلك ما فيه اللام التي يسمونها موطئة فهي ليست قسما فيما أرى بل هي لزيادة التوكيد فحسب، فليس ثمة قسم فيما أحسب في قوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله - الزخرف ٨٧﴾ إذ هو لايحتاج الى قسم فيما يبدو، ومثله قوله : ﴿لئن اكله الذئب ونحن عصبة - يوسف ٦٤﴾، وقوله : ﴿ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب - التوبة ٦٥﴾.
وهل في قوله : ﴿ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماء... ليقولن الله - العنكبوت ٦٣﴾ قسم؟ وهل هو في حاجة الى قسم؟

ان هذا زيادة في التوكيد فحسب، فما جاءت فيه اللام الموطئة مع الشرط آكد مما لم تكن فيه اللام، فقولك (لئن جاءني لاكرمنه) آكد من قولك (ان جاءني لاكرمنه) باضمار اللام. وآكد منها القسم الصريح، فاذا قلت (والله ان جاءني لاكرمنه) كان آكد من قولك (ان جاءني لاكرمنه) أو (لئن جاءني لاكرمنه). يدلك على ذلك الاستعمال القرآني.

قال تعالى : ﴿والاّ تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين - هود ٤٧﴾ من دون توكيد.

وقال : ﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين – الاعراف ١٤٩﴾ بتوكيد الجواب وباللام الموطئة قبل الشرط.

فالثالثة آكد من الثانية والثانية آكد من الاولى ويدلك على ذلك السياق. قال تعالى في سياق الآية الثالثة : ﴿ولما سُقط في ايديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين – الاعراف ١٤٩﴾.

وهذا في بني اسرائيل بعد ما عبدوا عجل الذهب واتخذوه الها لهم وهو كفر صريح وضلال مبين ولذلك عند توبتهم اكدوا قولهم باللام الموطئة زيادة على توكيد الجواب (لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين).

وأما الآية الثانية التي هي (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) فهي على لسان آدم وزوجه بعد ما اكلا من الشجرة التي نهاهما ربها عنها.

وهذه المعصية أقل من معصية بني اسرائيل، فان معصية قوم موسى كفر لانها عبادة لغير الله ولم يفعل مثل ذلك آدم بل هو مقر بربوبية الله ومقرّ بعبوديته لربه وانما هي لحظة ضعف ادركته كما تدرك الكثير من الناس من غير أن تخرجهم عن دينهم ثم يتوبون عنها. الم تركيف وصف بني اسرائيل بالضلال فقال : (ورأوا أنهم قد ضلوا) ولم يصف آدم بذلك.

فلما كانت المعصية اقل حذف اللام الموطئة التي تفيد التوكيد. فالاولى آكد لان المعصية اكبر. فالتوبة وطلب المغفرة يكونان على قدر المعصية.

وأما الآية الثالثة وهي قوله تعالى : ﴿والاّ تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين﴾ فهي على لسان نوح عليه السلام، وذلك انه سأل ربه أن ينجّي ابنه من الغرق لان الله وعده أن ينجي معه اهله فقال : ﴿رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق﴾ فقال له الله : ﴿انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلاتسألني ما ليس لك به علم إني اعظك أن تكون من الجاهلين – هود ٤٦﴾.

فطلب نوح من ربه المغفرة والعفو لسؤاله هذا فقال : ﴿قال ربي اني اعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والاّ تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ فهذا ليس

بمعصية كمعصية آدم وانما فهم نوح أن ابنه يدخل مع اهله الناجين فبين له الله أنه ليس من اهله لانه كافر، فطلب من ربه المغفرة لما سأل ولذلك لم يأت الكلام مؤكدا. فانت ترى أن التوكيد يتناسب هو وحجم المعصية. فلما لم يكن سؤال نوح معصية لم يؤكد كلامه، ولما كان فعل آدم معصية لربه اكده بالنون، ولما كان فعل بني اسرائيل كفراً وضلالا اكده بالنون وباللام الموطئة، فالخسران انما يكون على قدر المعصية ولاشك.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولانصير – البقرة ١٢٠﴾ فجاء باللام الموطئة في حين قال: ﴿ولا تأكلوا مما لم يُذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون – الانعام ١٢١﴾.

فقال في الاولى (لئن اتبعت اهواءهم...)، وقال في الثانية: (وان اطعتموهم...).

فأكد الاولى باللام الموطئة، أما الثانية فلم يذكر فيها اللام وذلك لان الاولى تستدعي قدراً زائداً من التوكيد فانها تحذير لرسول الله (ﷺ) من ترك ملة الاسلام واتباع اليهود أو النصارى وهو من اكبر المعاصي، إذ كيف يصح من رسول يتنزل عليه الوحي من ربه أن يترك أمر الله الى ملة اخرى لايرضاها ربّه؟ فاحتاج ذلك الى قدر من الوعيد اكبر.

واما الثانية فهي في الاكل مما لم يذكر اسم الله عليه. وقد جاء الشرط تعقيباً على ذلك. فانت ترى أن المعصية الاولى اكبر واكبر لانه تحذير من انسلاخ رسول من رسل الله يتنزل عليه الوحي عن الدين الذي ارتضاه له ربّه واتّباع ملة ضالة. فاحتاج ذلك الى قدر من التوكيد اكبر.

فانْ سبق الكلام بقسم صريح كان آكد لانك بدأت بذكر ما تعظمه قاطعا على نفسك أنك ستفعل او لا تفعل. وقد ذكرت هذا المعظم تقوية للعهد والميثاق. ففي القسم الصريح توكيد وزيادة بخلاف مالم يذكر فيه القسم الصريح.

وعلى اية حال فان القسم الصريح يختلف عن المؤكد بالنون أو باللام الموطئة من نواح اهمها :

١ – ان ما ذكر فيه القسم الصريح آكد مما لم يذكر فيه القسم صراحة وذلك لانه توكيد وزيادة كما اسلفنا.

٢ – انه في القسم الصريح يقصد لفظ المقسم به ويراد كما يقصد جوابه فالقول (والله) أو (ورب الكعبة) أو (والضحى) أو (والذاريات) او (والمرسلات) وغير ذلك مما يقسم به يراد لفظ المقسم به لامور بلاغية أو تعظيمية أو غيرها كما يراد جوابه.

واما ما لم يذكر فيه المقسم به فالمراد منه هو الجملة المؤكدة فحسب.

٣ – ينبني على ذكر المقسم به صراحة أحكام شرعية كالبر والحنث والصحة والبطلان مما لايكون فيما يسمونه بالقسم المضمر، فالقسم بغير الله باطل. ومن أقسم بالله ولم يبرّ بقسمه فهو حانث وعليه كفارة اليمين بخلاف المؤكد توكيد القسم فإنه لا يجري عليه حكم اليمين. فإذا قلت : والله لازورنه الليلة ثم لم تزره كنت حانثا في يمينك وعليك كفارة اليمين. وإن قلت : لأزورنه الليلة ولم تزره ، لم تلزمك الكفارة وإنما أكدت الوعد توكيد اليمين.

فتبين مما ذكرت ان ما أكد باللام أو ما سبق باللام الموطئة ليس قسماً والله أعلم.

حذف جواب القسم

يحذف جواب القسم وجوباً وجوازاً.

فيجب حذفه إذا تقدم القسم أو اكتنفه ما يدل عليه[٦٧]. فمن الاول قولك : (أنت مخلص والله)، ومن الثاني قولك : (أنت والله مخلص).

ففي الجملة الاولى سبق ما يغني عنه وقد بني الكلام على غير القسم ابتداء حتى إذا انتهى الكلام جيئ بالقسم بعد ذلك.

---

(٦٧) أنظر المغني ٢/ ٦٤٥، شرح الرضي ٢/ ٣٧٧ شرح ابن يعيش ٩/ ٩٣.

واما في الجملة الثانية فقد اعترض القسم بين الكلام ، فقد بني الكلام ابتداء على غير القسم ثم رأيت أن تقسم في أثناء الكلام ، فلا يحتاج القسم الى جواب لان الكلام في كلتا الحالتين غير معقود عليه وقد أغنى عن الجواب الكلام المتقدم على القسم أو المكتنف له .

وهذا نظير حذف جواب الشرط إذا تقدمه أو اكتنفه ما يدل عليه .

اما إذا وقع القسم ابتداء فلابد له من جواب ظاهر أو مقدّر، لان الكلام مبني عليه .

جاء في (معاني القرآن) للفراء : "وكذلك اليمين يكون لها جواب إذا بدئ بها فيقال : والله إنك لعاقل . فإذا وقعت بين الاسم وخبره قالوا : أنت والله عاقل . وكذلك إذا تأخرت لم يكن لها جواب لان الابتداء بغيرها"[٦٨] .

وقد يحذف جواب القسم جوازاً إذا كان في الكلام ما يدل عليه وذلك نحو قولك لمن قال لك : (أذهبت إليه؟) : (نعم والله) . أو (لا والله) أي نعم والله لقد ذهبت إليه ، أو لا والله ما ذهبت إليه .

ويحذف أيضاً جوازاً إذا كان بعده ما يدل عليه وذلك نحو قوله تعالى : ﴿والنازعات غرقاً والناشطات نشطاً ... يوم ترجف الراجفة– النازعات ١ – ٦﴾ والتقدير لتبعثن بدليل ما بعده[٦٩] .

وقد يكون القصد من حذف الجواب أن لايراد جواب بعينه وإنما يراد كل ما يحتمله السياق والمقام من جوابات .

فقد يكون الجواب مقصوداً بعينه وذلك نحو قوله تعالى ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين– مريم ٦٨﴾ ، وقد يكون غير مقصود بعينه وإنما يتسع لكل ما يحتمله المقام فلا ينصرف الذهن الى شيء بعينه ، بل يدعه يذهب كل مذهب مما يحتمله سياق الكلام ومقامه فيكون كله مراداً أو محتملاً مراده وذلك نحو قوله تعالى :(ق

---

(٦٨) معاني القرآن ٢/ ٣٣٨ .

(٦٩) أنظر المغني ٢/ ٦٤٦ ، تأويل مشكل القرآن ١٧٣ ، العمدة ٢/ ٢٧٧ – ٢٧٨ الطراز ٢/ ١١٥ .

والقرآن المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب. أإذا متنا وكنّا تراباً ذلك رجع بعيد. قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ - ق ١ - ٤) فيحتمل الجواب أن يكون (انك لمنذر) بدليل قوله (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم)[٧٠] ويحتمل أن يكون (ليبعثن) بدليل (أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد)، ويحتمل أن يكون (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) ويحتمل غير ذلك مما يتناسب هو والمقام.

ونحو قوله تعالى ﴿ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزّة وشقاق، كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادَوا ولات حينَ منص. وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب. أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب - ص ١ - ٥).

فيحتمل أن يكون الجواب (لنهلكنهم) بدليل قوله تعالى: (كم أهلكنا من قبلهم من قرن)، ويحتمل أن يكون (لقد عجبوا من إنذارك) أو (ليعجبن) بدليل قوله: (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم)، ويحتمل أن يكون الجواب (انه لذكر لهم) أي شرف لهم بدليل قوله (والقرآن ذي الذكر)، ويحتمل أن يكون الجواب (ما الذي كفروا نازلين على حكم الحق بل الذين كفروا في عزّة وشقاق) كل ذلك يحتمله السياق ويحتمل غيره.

وهذه المعاني كلها مرادة أو محتملة المراد فيكون المعنى قد اتسع بحذف الجواب وشمل أبعاداً لم يكن يشملها بالذكر.

وعلى هذا فالغرض من الذكر هو القصد الى جواب بعينه.

وأما الحذف فيحتمل أن يكون المراد منه الايجاز ويحتمل أن يكون المراد منه سعة المعنى وشموله وذهاب الذهن كل مذهب والله أعلم.

---

(٧٠) أنظر المغني ٢/ ٦٤٦.

النفي

ادوات النفي

سبق لنا أن بحثنا ادوات النفي في اماكن متفرقة فقد بحثنا (ليس وما ولا وان ولات) في بحث (ليس والمشبهات بها) وبحثنا (لم ولما ولن ولا) في نصب الفعل المضارع وجزمه وسنعرض لها الآن تعرضا موجزا .

لم :

تنفي الفعل المضارع وتجزمه وتقلب زمنه الى المضي وهي لنفي (فعل)[1] فاذا قلت : (حضر محمد) فان نفيه (لم يحضر). وقد يكون النفي بها منقطعا أي انتفى حدوث الفعل في وقت ما ثم انقطع النفي وذلك نحو قولك (لم يحفظ محمد القصيدة امس وانما حفظها اليوم). وقد يكون النفي متصلا الى زمن المتكلم نحو (لم يعد خالد من سفره الى اليوم) ، وقد يكون مستمرا لم ينقطع ولا ينقطع وذلك نحو قوله تعالى : ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد – الاخلاص ٣ ، ٤﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الجنة التي وُعد المتقون فيها انهار من ماء غيرِ آسن وانهارٌ من لبن لم يتغير طعمه – محمد ١٥﴾ .

لمّا :

وهي تنفي الفعل المضارع وتجزمه وتقلب زمنه الى المضي المتصل بالحال وذلك نحو (لما يحضرْ سعيد) أي لم يحضر الى وقت المتكلم. وهي لنفي (قد فعل[2]) فاذا قلت (قد رجع) فان نفيه (لما يرجع).

والفرق بينها وبين (لم) ان المنفي بـ (لم) يكون متصلا ومنقطعا في حين ان المنفي بـ (لما) لايكون الاّ متصلا بزمن التكلم ، وان المنفي بـ (لما) فيه معنى التوقع وذلك لانها

(١) انظر كتاب سيبويه ١/٤٦٠ .

(٢) كتاب سيبويه ١/٤٦٠ .

نفي لـ (قد فعل) و (قد) فيها معنى التوقع وكذلك منفيها فانك اذا قلت (لما يحضر) فان المعنى : لما يحضر بعد وهو متوقع حضوره . واما (قد حضر) فان معناه كان متوقعا منه الحضور فحضر.

وقد سبق الكلام عليها وعلى (لم) بما فيه الكفاية فلا داعي لاعادته ههنا .

لن :

تدخل على الفعل المضارع فتنفيه نفيا مؤكداً وتخلصه للاستقبال تقول : (لن اكلمه بعد اليوم) ، وهي نفي لـ (سوف يفعل) أو سيفعل[٣] . فاذا قلت (سوف اذهب اليه) أو (سأذهب اليه) فان نفيه: (لن اذهب اليه). ولا يجمع بينهما فلا يقال : (سوف لن اذهب اليه) فان (سوف) للاثبات و (لن) للنفي.

وهي لاتفيد التأبيد بدليل قوله تعالى : ﴿فلن أكلم اليوم انسيا – مريم ٢٦﴾ فقد قيد عدم الكلام بيوم واحد وهو ينافي التأبيد[٤] .

ليس :

تدخل على الجمل الاسمية فتنفيها وتكون لنفي الحال عند الاطلاق نحو: (ليس اخوك حاضرا) أي الآن ، وان قيدت كانت بحسب ذلك القيد[٥] . فقد تكون للمضي نحو (ليس اخي قد سافر أمس) ، وقد تكون للاستقبال وذلك نحو قولك : (لست ذاهبا اليه غدا) . قال تعالى : ﴿الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم – هود ٨﴾ .

وقد تكون للاستمرار وذلك كقوله تعالى ﴿وان الله ليس بظّلام للعبيد – آل عمران ١٨٢﴾ .

وقد تكون للحقيقة غير مقيدة بزمن وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وليس الذكر كالانثى – آل عمران ٣٦﴾ وقوله : ﴿ليس كمثله شيء – الشورى ١١﴾ .

---

(٣) كتاب سيبويه ٤٦٠/١ ، ٦٨/١ .

(٤) انظر المغني ٢٨٤/١ .

(٥) انظر شرح ابن عقيل ١١١/١ ، شرح الاشموني ٢٢٧/١ .

ما :

تنفي الجمل الاسمية والفعلية .

فاذا دخلت على الجمل الاسمية كان نفيها للحال عند الاطلاق واذا قيدت كانت بحسب القيد ، تقول (ماهو مسافراً) أي الآن ، وتقول (ماهو مسافرا غدا) . قال تعالى : ﴿وماهم بخارجين من النار – البقرة ١٦٧﴾ ، أي في الاستقبال .

وقد تكون للمضي نحو (ما سعيد ظلمني حتي بل خالد) .

وقد تكون للحقيقة غير مقيّدة بزمن كقوله تعالى : ﴿ماهنّ امهاتِهم – المجادلة ٢﴾ .

وهي آكد من (ليس) فانها تقع جوابا للقسم تقول : (والله ماهو بمنطلق) بخلاف (ليس) . وقد ذكرنا ذلك في بحث (ليس) والمشبهات بها .

وهي اوسع استعمالا منها ايضا فـ (ليس) مختصة بنفي الجمل الاسمية وأما (ما) فتنفي الجمل الفعلية والاسمية .

واذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للحال عند الجمهور[٦] . قال تعالى : ﴿قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول – هود ٩﴾ .

قال سيبويه : "واذا قال (هو يفعل) أي هو في حال فعل فان نفيه (مايفعل) ، واذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعا فنفيه (لايفعل)"[٧] .

فذكر انها لنفي الحال اذا دخلت على المضارع . وردّ ابن مالك ذلك بقوله تعالى ﴿قل مايكون لي أن ابدّله من تلقاء نفسي – يونس ١٥﴾ . واجيب بأن شرط كونه للحال انتفاء قرينة خلافه[٨] .

وهذا هو الحق فانها تكون للحال كثيرا وقد تكون لغير الحال ايضا . فقد تدل على الاستمرار وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وما يعلم تأويله الاّ الله – آل عمران ٧﴾ ، وقوله :

---

(٦) انظر المفصل ٢/١٩٩ ، المغني ١/٣٠٢ .

(٧) كتاب سيبويه ١/٤٦٠ .

(٨) المغني ١/٣٠٣ .

﴿وما الله يريد ظلما للعباد–آل عمران ١٠٨﴾ وقوله ﴿وما يعدهم الشيطان الاّ غرورا–النساء ١٢٠﴾ وقوله : ﴿وماتسقط من ورقة الاّ يعلمها–الانعام ٥٩﴾ .

وهي تنفي الفعل الماضي نحو (ماذهبت اليه) وقد ذكر أنها عند ذاك تكون لنفي الماضي القريب من الحال[٩] .

والحقيقة ان الكثير فيها أن تكون كذلك ، وقد تأتي لنفي الماضي البعيد. قال تعالى : ﴿وما خلقنا السماء والارض ومابينها لاعبين–الانبياء ١٦﴾ ، وقال : ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا–آل عمران ١٩١﴾ . وقال ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم–النساء ١٥٧﴾ .

وقد تكون للاستقبال في جواب الشرط أوغيره قليلا . قال تعالى : ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا انفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه الاّ قليل منهم–النساء ٦٦﴾ ، وقال : ﴿لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتُقبّل منهم–المائدة ٣٦﴾ ، وقال : ﴿ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك–البقرة ١٤٥﴾ .

وفيها توكيد فقد ذكر سيبويه انها نفي ل (لقد فعل) قال سيبويه : ''واذا قال (لقد فعل) فان نفيه (مافعل) لانه كأنه قال : (والله لقد فعل) فقال : (والله مافعل)''[١٠] . فهي آكد من (لم) .

جاء في (الاتقان) : ''ومقتضى كلام سيبويه ان فيها معنى التأكيد لأنه جعلها في النفي جوابا[١١] لقد (كذا) فكما ان (قد) فيها معنى التأكيد فكذلك ماجعل جوابا لها''[١٢] .

---

(٩) المفصل ١٩٩/٢ .
(١٠) كتاب سيبويه ٤٦٠/١
(١١) الصواب لـ (لقد)
(١٢) الاتقان ١ / ١٧٦

وقد ذكرنا في بحث (لا النافية للجنس) أن (ما) قد تأتي ردّاً على قول أو مانزل هذه المنزلة. قال تعالى: ﴿وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم-النساء ١٥٧﴾.

الفرق بين ما ولم:

تدخل (لم) على المضارع فتقلب زمنه الى ماض كما ذكرنا و (ما) تنفي الفعل الماضي فتقول (لم اذهب) و (ماذهبت) فيفيدان الدلالة على المضي ولكن ثمة فروقا بينهما من نواح اهمها:

١- ان الماضي المنفي بـ (ما) يكون في الغالب لنفي الماضي القريب من الحال، واما (لم) فليست مقيدة بزمن من أزمنة المضي.
٢- ان (ما) آكد من (لم) وذلك انها تقع جوابا للقسم كما ذكرنا بخلاف (لم).

قال تعالى: ﴿والله ربنا ماكنا مشركين-الانعام ٢٣﴾.
وقال: ﴿يحلفون بالله ماقالوا-التوبة ٧٤﴾ والقسم توكيد وكذلك جوابه.

ويدل على ذلك ايضا ان منفيها كثيرا ما يقترن بـ (من) الاستغراقية المؤكدة وهي التي يسميها النحاة زائدة وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وما مسّنا من لغوب-ق ٣٨﴾، وقوله: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله- المؤمنون ٩١﴾، وقوله: ﴿ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه-الاحزاب ٤﴾.

وأنا لا أذكر آية واحدة يمكن أن يقترن منفيها بـ (من) ثم لم يقترن بها بخلاف (لم) فإنها لم يقترن منفيها بـ (من) ولو مرة واحدة على كثرة ما ترددت في القرآن الكريم فدل ذلك دلالة واضحة على قوة نفي (ما) دون (لم).

والظاهرة الجديرة بالتسجيل أنه لاينافس (ما) في اقتران منفيها بـ (من) الا (إنْ) النافية فإنها لم ترد في القرآن الكريم الاّ مقترنة بـ (من) حيث أمكن ذلك في اللغة.

واما (لا) النافية فان منفيها لم يرد مقترناً ب (من) هذه الاّ في موطن واحد على كثرتها المستفيضة في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهن من أزواج – الاحزاب ٥٢﴾. قال تعالى: ﴿واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يُقبَل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون – البقرة ٤٨﴾.

٣ – إن (ما) كثيراً ما تكون ردّاً على كلام أو ما نزّل هذه المنزلة وذلك كأن يقول لك قائل: (لقد ذهب سالم الى سعيد) فتقول له (ما ذهب إليه) قال تعالى: ﴿وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي الهين من دون الله؟﴾ فكان الجواب ﴿ما قلت لهم الاّ ماأمرتني به – المائدة ١١٦ – ١١٧﴾. وجاء على لسان النسوة في سورة يوسف ردّاً على التهمة التي ألصقتها به امرأة العزيز ﴿حاش لله ما علمنا عليه من سوء – يوسف ٥١﴾. وجاء على لسان المكذبين ردّاً على قول رسلهم (إنا إليكم مرسلون) ﴿قالوا ما أنتم الاّ بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء – يس ١٤، ١٥﴾.

وهذا يقع أيضاً في غير الجمل الفعلية. فقد جاء ردّاً على قول المنافقين (إن بيوتنا عورة) قوله تعالى: ﴿وما هي بعورة – الاحزاب ١٣﴾ وعلى قولهم (قالوا آمنا) قوله ﴿وما هم بمؤمنين – البقرة ٨﴾.

وهذا كثير وليس مطرداً.

٤ – يخيل اليّ أن هناك فرقاً بين دخول (ما) على الماضي ودخول (لم) على المضارع من ناحية أخرى وهي أن الماضي يدل على أن الامر قد انقضى، وأما المضارع فإنه قد يدل على التكرار والتجدد والتطاول فقولك (كتب) يدل على انتهاء الحدث وانقضائه وقولك (يكتب) يدل على تجدد الحدث واستمراره فإذا دخلت (ما) على الماضي دل على انتفاء الحدث بصيغة المضي وإذا دخلت (لم) على المضارع دل على انتفاء الحدث في المضي لكن بصيغة التجدد والاستمرار. فدخول (لم) يدل على أن الحدث لم يحصل في الماضي على تطاول المدة واستمرارها. قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مّسنا من لغوب – ق ٣٨﴾.

وقال: ﴿قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا – مريم ٢٠﴾.

فقال في الآية الاولى (وما مسنا) وفي الثانية (ولم يمسسني).

والسبب والله أعلم ان الآية الاولى ردّ على اليهود الذين يقولون إن الله تعب من خلق السماوات والارض فاستراح في اليوم السابع [١٣] تعالى الله عمّا يقولون فرّد عليهم بـ (ما) وجاء بـ (من) الاستغراقية للدلالة عل أنه لم يحصل شيء من ذلك بخلاف الثانية فإنها ليست ردّاً على من قال إنها مسها بشر ولكن إخبار عن نفسها بذلك.

والامر الثاني وهو الذي يعنينا هنا أنه في الآية الاولى جاء بصيغة الماضي لان الامر حدث وانقضى مرة واحدة وهو خلق السماوات والارض، واما الآية الثانية فهي في مس الرجال للنساء وهو أمر قد يتكرر ويتجدد حصوله فذكرت أن ذلك لم يحصل فيما انقضى من عمرها. فثمة اختلاف بين الامرين فإنه في الثانية كان من الممكن أن يتكرر المس في الماضي بخلاف التعب الذي يعقب العمل فإنه موقوت بذلك العمل. فما كان شأنه التجدد والاستمرار نفاه بـ (لم) مع المضارع، وما حدث مرة واحد نفاه بـ (ما) مع الماضي.

وقال: ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا – الكهف ٩٠﴾ ولم يقل (وما جعلنا لهم) لان ذلك متكرر متطاول إذ كل يوم تطلع عليهم الشمس وليس لهم ستر دونها فجاء بالفعل المضارع مع (لم) بخلاف قوله تعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الاّ فتنة للناس – الاسراء ٦٠﴾ فجاء بالفعل الماضي مع (ما) لان الرؤيا وقعت مرة واحدة، ثم إن الآية هذه ردّ على الكفرة الذين سخروا من رؤياه بخلاف الآية الاولى فإنها إخبار لاردّ فجاء في الاولى بـ (لم) والثانية بـ (ما) والله أعلم.

ونحوه قوله تعالى: ﴿في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلّين ولم نك نطعم المسكين – المدثر ٤٠ – ٤٤﴾ فجاء بـ (لم) مع المضارع للدلالة على التكرر والتجدد. فإن الصلاة تتكرر وإطعام المسكين يتكرر.

ويمكن أن يقال أيضاً انه قد ينفى بـ (ما) مع الماضي إذا أريد نفي الحدث بصورته المنقضية التامة وينفى بـ (لم) مع المضارع إذا أريد نفي الحدث في الماضي بصورة التغير

(١٣) أنظر (سفر التكوين – الاصحاح الثاني الآية ٢، ٣) و (سفر الخروج ٣١ – الآية ١٧).

والتجدد فيشخّص الحدث في الذهن بصورته المتجددة ثم ينفيه بهذه الصورة في الماضي ، فإذا قلت مثلا (ما استجاب لك خالد) أفاد نفي الاستجابة في الماضي بصورتها النهائية التامة . وإذا قلت (لم يستجب لك خالد) أفاد نفي الاستجابة في الماضي بصورتها التجددية . قال تعالى : ﴿فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه - البقرة ٢٥٩﴾ فجاء ب (لم) وذلك لان تغير الشراب والطعام يحصل تدريجيا ويستمر وليس دفعة واحدة فجاء ب (لم) للدلالة على انه لم يحصل شيء من ذلك ولو جاء ب (ما) وقال (ما تسنّه) لافاد نفي التسنّه وهو التغير بصورته النهائية التامة .

وقال : ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم - الكهف ٥٢﴾ فهنا أفاد نفي الاستجابة بصورة التجدد والتطاول ، ولو قال (ما استجابوا لهم) لافاد نفي الاستجابة بصورتها المنقضية التامة.

ويبدو لي أن قوله تعالى ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً - الكهف ٥٣﴾ يفيد تكرار البحث وادامة النظر للخروج من النار فكأننا نراهم يبحثون غير أنهم لم يجدوا على كثرة مابحثوا . ولو قال (ماوجدوا) لافاد انتفاء الحدث بصورته المنقضية لابصورة البحث والتفتيش .

والذي دعاني الى هذا الفهم هو صورة المضارع مع (لم) وصورة الماضي مع (ما) وهما صورتان مختلفتان.

٥ - اذا عطف على المنفي ب (لم) بالماضي كان اثباتاً للمعطوف واذا عطفت على المنفي ب (ما) احتمل النفي والاثبات ، وذلك نحو قولك : (لم أعط محمداً وأعطيت خالداً) فهذا نفي لاعطاء محمد واثبات لاعطاء خالد. ولو قلت (ما اعطيت محمداً وأكرمت خالداً) لاحتمل نفي اعطاء محمد ونفي إكرام خالد اي : وما أكرمت خالداً واحتمل الاستئناف ايضاً ، أي نفي الاعطاء واثبات الاكرام فلا يكون عطفاً.

وقد تقول هذا مردود بقوله تعالى :﴿ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى - الضحى ٦ ، ٧﴾ فقد عطف (وجدك) على (ألم يجدك).

والثاني مثبت والاول منفي ومعناهما واحد.

والحق انهما ليسا مختلفين فان الآية الاولى تقرير أي اثبات وليس نفياً فقوله تعالى (ألم يجدك يتيماً) معناه : انه وجدك يتيماً. ونحو قوله تعالى :﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك – الانشراح ١ ،٢﴾ فالمعنى أنه شرح له صدره ووضع عنه وزره. فهما ليسا مختلفين.

٦ – قد يحتمل اشتراك (ما) مع مايشبه لفظها من اسم موصول أو من حرف مصدري فيحتمل التعبير اكثر من معنى ولا يكون ذلك مع (لم) وذلك نحو قولك : (تركتهم وما يعبدون الاّ الله) فقد يحتمل ان يكون المعنى أنه تركهم وهم لايعبدون الاّ الله أي تركهم يعبدون الله. ويحتمل أن يكون المعنى تركتهم وعبادتهم الاّ الله، أي : الاّ عبادة الله، فتكون (ما) مصدرية، وقد تحتمل الموصولية أي تركتهم والذي يعبدون الاّ الله. وهذا المعنى الأخير نظير قوله تعالى : ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون الاّ الله – الكهف ١٦﴾.

ونحو (ما أخبرتك ماأريد) فقد يحتمل أن تكون (ما) الاولى نافية أي لم أخبرك الذي أريده، وقد يحتمل أن تكون اسماً موصولاً أي : الذي أخبرتك به هو الذي أريده.

ولا يكون نحو هذا في (لم).

من خصوصيات الاستعمال القرآني :

١ – لم يستعمل القرآن الكريم الاستفهام التقريري ب (ما) قط، بل استعمل (لم) لذلك قال تعالى :﴿ألم يأتكم رسل منكم – الانعام ١٣٠﴾، وقال :﴿ألم نشرح لك صدرك – الانشراح ١﴾، وقال :﴿ألم نربّك فينا وليداً – الشعراء ١٨﴾.

٢ – لم يرد جواب (لو) منفياً ب (لم)، بل ب (ما) فقط. قال تعالى .﴿ولو سمعوا مااستجابوا لكم – فاطر ١٤﴾، وقال :﴿ولو شاء الله مااقتتلوا – البقرة ٢٥٣﴾ وقال :﴿لو اطاعونا ماقُتلوا – آل عمران ١٦٨﴾.

٣- لم تقع (ما) النافية بعد الاسماء الموصولة أي في صدر الصلة وقد وقع غيرها من ادوات النفي مثل (لم) و (لا) و (ليس). قال تعالى: ﴿ويعلّمكم مالم تكونوا تعلمون - البقرة ١٥١﴾، وقال: ﴿والذين لايؤمنون بالآخرة - الانعام ١٥٠﴾، وقال: (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الاّ النار - هود ١٦).

إنْ:

تدخل على الجمل الاسمية والفعلية مثل (ما).

فإن دخلت على الجمل الاسمية كانت لنفي الحال عند النحاة.(١٤)

والحق انها تكون لغير الحال ايضاً فهي للحال عند الاطلاق ومن ورودها لغير الحال قوله تعالى ﴿وإنْ من قرية الاّ نحن مهلكوها قبل يوم القيامة - الاسراء ٥٨﴾ وقوله: ﴿وإنْ منكم الاّ واردها - مريم ٧١﴾ وقوله: ﴿إنْ كل من في السماوات والارض الاّ آتى الرحمن عبداً - مريم ٩٣﴾ فهي ههنا للاستقبال.

وقد تكون للحقيقة غير مقيدة بزمن وذلك كقوله تعالى: ﴿إنْ امهاتهم الاّ اللائي ولدنهم - المجادلة ٢﴾: وقوله: ﴿إن الكافرون الاّ في غرور - الملك ٩﴾.

وقد تكون للمضي وذلك نحو قوله تعالى في عيسى عليه السلام ﴿إن هو الاّ عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل - الزخرف ٥٩﴾ وقوله: ﴿وان من أمة الاّ خلا فيها نذير - فاطر ٢٤﴾ وقوله: ﴿إنْ كلٌّ الاّ كذب الرسل فحق عقاب - ص ١٤﴾.

وقد تكون للاستمرار وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وان من شيء الاّ يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم - الاسراء ٤٤﴾.

فهي لنفي الحال عند الاطلاق وإن قيدت كانت بحسب ذلك القيد.

وتدخل على الفعل المضارع والماضي، فإن دخلت على الفعل المضارع كانت في الغالب لنفي الحال وذلك كقوله تعالى: ﴿إنْ تتّبعون الاّ الظن - الانفال ١٤٨﴾ وقوله: ﴿وإنْ أدري أقريب أم بعيد ماتوعدون - الانبياء ١٠٩﴾

---

(١٤) المفصل ٢/٢٠٠، الهمع ١/١٢٤.

وقد تكون لغير الحال وذلك نحو قوله تعالى : ﴿بل إنْ يعدُ الظالمون بعضهم بعضاً إلاّ غروراً– فاطر ٤٠﴾ . فهي هنا للاستمرار.

وتدخل على الفعل الماضي فتكون لنفي الماضي القريب من الحال في الغالب وذلك نحو قوله تعالى : ﴿إنْ أردنا الاّ احساناً وتوفيقاً– النساء ٦٢﴾ ، وقوله : ﴿ولقد مكنّاهم فيما إنْ مكناكم فيه– الاحقاف ٢٦﴾.

وقد تكون لغير ذلك قليلاً نحو قوله تعالى : ﴿إن كانت الاّ صيحةً واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون– يس ٥٣﴾ وقوله : ﴿إن الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده– فاطر ٤١﴾ ، فالفعل للاستقبال في الآيتين.

وهي آكد من (ما) يدل على ذلك اقترانها الكثير بـ (الاّ) وهذا يعطيها قوة وتأكيداً فإن في القصر قوة وذلك نحو قوله تعالى : ﴿إن انتم الاّ بشر مثلنا– ابراهيم ١٠﴾ وقوله : ﴿وإن من شيء الاّ يسبح بحمده– الاسراء ٤٤﴾.

وذهب بعضهم انها لاتأتي الاّ وبعدها (الاّ) أو (لمّا) المشددة التي بمعناها كقوله تعالى : ﴿إنْ كلّ نفس لمّا عليها حافظ – الطارق ٤﴾[١٥] . والصواب انها قد تأتي بدونها[١٦] .

قال الراغب في (إن) هذه : "وأكثر مايجيئ يتعقبه (الا) نحو:﴿إن نظن الاّ ظناً﴾[١٧]﴿إن هذا الاّ قول البشر﴾[١٨]﴿ان نقول الاّ اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾هود ٥٤"[١٩]

وقد وردت (ان) النافية في القرآن الكريم في عشرة ومائة موضع كلها مقترنة بـ (الاّ) أو (لمّا) عدا سبع آيات هي قوله تعالى : ﴿ان عندكم من سلطان بهذا– يونس ٦٨﴾.

---

(١٥) المغني ٢٣/١.

(١٦) المغني ٢٣/١.

(١٧) الجاثية ٣٢.

(١٨) المدثر ٢٥.

(١٩) مفردات الراغب ٢٧.

وقوله : ﴿وإنْ أدري أقريب أم بعيد ماتوعدون- الانبياء ١٠٩﴾.
وقوله : ﴿وإنْ أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين- الانبياء ١١١﴾.
وقوله : ﴿ولئن زالتا إنْ امسكهما من أحد من بعده- فاطر ٤١﴾.
وقوله : ﴿ولقد مكنّاهم فيما إنْ مكنّاكم فيه- الاحقاف ٢٦﴾.
وقوله : ﴿وإنْ كان مكرهم لِتزول منه الجبال- ابراهيم ٤٦﴾ على رأي من جعلها نافية هنا.
وقوله : ﴿قل إنْ ادري أقريب ماتوعدون- الجن ٢٥﴾.
ووردت في ثلاثة مواضع مع (لمّا) المشددة التي بمعنى (الاّ) وهي قوله تعالى :
﴿وإنْ كل لمّا جميع لدينا محضرون- يس ٣٢﴾.
وقوله : ﴿وإنْ كل ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا- الزخرف ٣٥﴾.
وقوله : ﴿إنْ كل نفس لمّا عليها حافظ- الطارق ٤﴾.
وليست (ما) ولا غيرها من حروف النفي كذلك فدل هذا على قوتها في النفي.

ومما يدل على ذلك ايضاً الاستعمال القرآني فانه يستعمل (ان) فيما فيه زيادة توكيد في النفي.

قال تعالى : ﴿ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا **إنْ هذا الاّ اساطير الاولين**- الانعام ٢٥﴾.

وقال : ﴿والذي قال لوالديه أفّ لكما اتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن انّ وعد الله حق فيقول **ماهذا الاّ اساطير الاولين**- الاحقاف ١٧﴾ فقال في الآية الاولى ﴿إن هذا الاّ أساطير الاولين﴾ وقال في الثانية : ﴿ماهذا الاّ اساطير الاولين﴾ والاولى آكد يدل على ذلك السياق فقد قال فيها :
١- وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه.
٢- وفي آذانهم وقراً.
٣- وذكر أنهم إنْ يروا كل آية لايؤمنوا بها

فأنت ترى أن درجة التكذيب أشد مما في الآية الاخرى لأن الصفات التي تستدعي قوة التكذيب والانكار كانت في المكذبين الاولين أشد وأكثر ولذلك أكد النفي فيها بانْ بخلاف الثانية.

وقال تعالى: ﴿وقالوا **ماهي الاّ حياتنا الدنيا** نموت ونحيا وما يهلكنا الاّ الدهر وماهم بذلك من علم إنْ هم الاّ يظنون – الجاثية ٢٤﴾.

وقال: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ماهذا الاّ بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون. ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون. أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون. هيهات هيهات لما توعدون. **إنْ هي الاّ حياتنا الدنيا** نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين إنْ هو إلاّ رجلٌ افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين – المؤمنون ٣٣ – ٣٨﴾.

فقال في الآية الاولى: ﴿ماهي الاّ حياتنا الدنيا﴾
وقال في الثانية ﴿إن هي الاّ حياتناالدنيا﴾
وواضح أن التكذيب في الآية الثانية اشدّ وأقوى من وجوه:

١ – فقد اسند التكذيب والانكار في الآية الاولى الى ضمير الكفرة (وقالوا) واما في الثانية فقد أسنده الى الكفرة صراحة مضفياً عليهم صفات تزيد في تكذيبهم وانكارهم ﴿الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحياة الدنيا﴾ فهذه صفات تزيد في قوّة التكذيب بخلاف الآية الاولى التي قال فيها (وقالوا).
٢ – المجادلة في صدق الرسل: فقد ذكر هؤلاء الكفرة أن الرسل إنما هم بشر مثلهم يأكلون كما يأكل الناس ويشربون كما يشربون فلا ينبغي أن يطاعوا البتة.
٣ – السخرية من الوعد بالحياة الآخرة ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون﴾.
٤ – الاستبعاد المؤكد في قولهم (هيهات هيهات لما توعدون)
٥ – ثم ختموا تكذيبهم وانكارهم بقولهم ﴿إنْ هذا الاّ رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين﴾.

فكان طبيعياً أن يكون انكارهم أشد وآكد مما في الاية الاولى ولذا جاء بانْ والا وهو المناسب للسياق بخلاف الآية الاخرى فانه جاء ب (ما) و (الآ) لانه أقل توكيداً فدّل ذلك على أنّ (إنْ) آكد من (ما).

وقال تعالى: ﴿قل ماكنت بِدْعاً من الرسل وما أدري مايُفعل بي ولا بكم إنْ أتبّعُ الآ مايوحى اليّ **وما أنا الآ نذير مبين**- الاحقاف ٩﴾.

وقال: ﴿وقالوا أنؤمن لك واتّبعك الارذلون. قال: وما علمي بما كانوا يعملون. إنْ حسابهم الآ على ربي لو تشعرون. وما أنا بطارد المؤمنين. **إنْ أنا الآ نذير مبين**. قالوا لئن لم تنتهِ يانوح لتكوننّ من المرجومين. قال ربِ إنّ قومي كذّبون - الشعراء ١١١-١٢١﴾.

فقال في الآية الاولى ﴿وما أنا الآ نذير مبين﴾.

وقال في الثانية ﴿إن أنا الآ نذير مبين﴾.

ومن الواضح ان الآية الثانية في مقام المحاربة والمجادلة والجهاد في القول والتنقيص من المؤمنين بخلاف الآية الاولى فانها في مقام الدعوة الهادئة المبينة بالحجة، يدل على ذلك في الآية الثانية.

١ - وصفهم المؤمنين بالارذلين.

٢ - طلبوا طردهم فرّد عليهم بقوله ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾.

٣ - تحذيرهم نوحاً والطلب اليه الكف عن الدعوة والآ رجموه ﴿لئن لم تنتهِ يانوح لتكوننّ من المرجومين﴾.

وأنت ترى أن المقام في الآية الاولى يختلف عنه في الثانية، فجاء في الثانية ب (إنْ) و (الآ) وجاء في الاولى ب (ما) و (الآ) فدل ذلك على أنّ (إنْ) آكد من (ما).

ومما يدل على ذلك ايضا قوله تعالى: ﴿وما ادري مايُفعَل بي ولا بكم- الاحقاف ٩﴾.

وقوله: ﴿وإنْ أدري أقريب أم بعيد ماتوعدون- الانبياء ١٠٩﴾ وقوله: ﴿قل إنْ أدري أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربي أمدا- الجن ٢٥، ٢٦﴾.

فجاء بنفي الدراية الاولى ب (ما) ونفي الدراية الثانية وما بعدها ب (ان) وذلك لان الآية الثانية والثالثة أبعد في عدم الدراية وأقعد من الاولى فقد أطْلع الله رسوله فيما بعد على ماسيفعله به وبهم في الدنيا والآخرة فقد وعده بالفتح والنصر والمغفرة وكسر شوكة الكفر في الدنيا وأطْلعه على ماسيفعل به وبهم في الآخرة ولذلك قيل الآية منسوخة[٢٠].

في حين لم يُطلع الله سبحانه رسوله ولا احداً من خلقه على موعد يوم القيامة فان هذا مما اختص الله به نفسه ولم يُظهره لاحد غيره فأكد عدم العلم بالساعة ب (إنْ) والآخر ب (ما). وهذا واضح.

واظن أنّ في هذا كفاية.

فدل ذلك على أنّ (إنْ) آكد في النفي من (ما) والله اعلم.

لا :

أقدم حروف النفي في العربية[٢١]، تدخل على الاسماء والافعال.

فما يدخل على الاسماء (لا) النافية للجنس نحو: (لاريبَ فيه) و (لارجلَ في الدار) وهي تفيد التنصيص على نفي الجنس، وهي آكد من العاملة عمل ليس أو المهملة كما سبق ذكره.

ومنها (لا) المشبهة ب (ليس)، وغير العاملة أصلا نحو (لارجلٌ حاضراً) و (لا رجلٌ حاضرٌ) وهما لنفي الجنس برجحان وقد يراد بها نفي الواحد.

وتدخل على المعارف فيجب اهمالها وتكرارها وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدرك القمر ولا الليلُ سابقُ النهار- يس ٤٠﴾، ونحو (لا محمدٌ حاضر ولا خالد مسافر) وذلك لانها عند ذاك لايراد بها الاّ اشراك اكثر من طرف في النفي كأن يقول لك قائل (خالد كاتب وابراهيم شاعر) فتقول (لا خالد كاتب ولا ابراهيم شاعر).

---

(٢٠) انظر الكشاف ٣/ ١١٨.

(٢١) التطور النحوى ١١٥.

وهذا من باب دخولها على الجمل.
وقد تدخل على الاسماء المفردة لا الجمل وهي (لا) العاطفة نحو: (جاء محمد لا خالد).
والداخلة على الخبر نحو: (هو لا شاعر ولا كاتب).
والنعت نحو قوله تعالى: ﴿وظِلٍّ من يَحموم لابارِدٍ ولا كريم - الواقعة ٤٣، ٤٤﴾
وقوله ﴿وفاكهةٍ كثيرةٍ لامقطوعةٍ ولا ممنوعة - الواقعة ٣٢، ٣٣﴾.
والحال نحو (جئت لامسرعاً ولا مبطئا)[٢٢].

ولا يقع غير (لا) من حروف النفي في هذه المواضع الاخيرة اعني كونها عاطفة أو داخلة على الخبر أو النعت أو الحال، فلا يقال: (محمد ماحاضر) ولا (جاء محمد ماخالد) ولا غير ذلك من الصور التي ذكرناها.

واذا دخلت على الخبر أو النعت أو الحال وجب تكرارها لانه يراد عند ذاك إشراك اكثر من حالة في النفي فيراد نفي اكثر من خبر أو نعت أو حال، ولا يصح نفي خبر واحد بها أو نعت واحد أو حال واحدة. واذا اريد ذلك نفي بـ (غير) فقط فتقول (هو غيرُ مُجيد) وتقول (هو رجل غيرُ كريم) وتقول: (رأيت محمداً غيرَ راكب).

وقد تقول: ولماذا (غير) فقط؟ ألا ينفى الخبر بـ (ليس) ايضا فيقال: (هو ليس كريما أو مجيدا)؟

والجواب أن (ليس) لم تنف الخبر وحده وانما نفت الجملة المؤلفة من الضمير المستتر الذي هو اسمها والخبر المنصوب الذي هو خبرها. ومن المعلوم أن (ليس) لا تنفي المفردات وانما تنفي الجمل.

وتدخل (لا) على الفعل المضارع فلا تقيده بزمن على الارجح وان كان النحاة يرون انها تخلصه للاستقبال.

---

(٢٢) انظر المغني ١/ ٢٣٧ - ٢٤٢.

قال سيبويه : "واذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعا فنفيه (لايفعل) واذا قال (ليفعلنّ) فنفيه (لايفعل) كأنه قال : (والله ليفعلن) فقلت : (والله لايفعل)[٢٣]".

والحق انها قد تكون للحال كقوله تعالى : ﴿مالكم لاتنطقون – الصافات ٩٢﴾ و ﴿مالي لاأرى الهدهد – النمل ٢٠﴾.

وقد تكون للاستقبال نحو قوله تعالى : ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم – البقرة ١٧٤﴾.

وقد تكون للاستمرار وذلك نحو قوله تعالى : ﴿لاتأخذه سِنة ولا نوم – البقرة ٢٧٣﴾ وقوله : ﴿لايحب الله الجهر بالسوء من القول الاّ من ظُلم – النساء ١٤٨﴾.

وتقع جوابا للقسم كما ذكر سيبويه في النص الذي نقلناه عنه آنفا. قال تعالى : ﴿فيقسمان بالله إنِ ارتبتم لانشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى – المائدة ١٠٦﴾، وقال : ﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجَرَ بينهم – النساء ٦٥﴾.

وتدخل على الفعل الماضي فيجب تكرارها نحو قوله تعالى : ﴿فلا صدّق ولا صلّى – القيامة ٣١﴾ ونحو قولك : (لاجلب خيرا ولا دفع ضرا) الاّ اذا كان دعاء نحو (لافض الله فاك) أو الماضي الذي يراد به الاستقبال كقولك : (والله لافعلت ذاك ابدا).

والخلاصة انه يجب تكرار (لا) في المواضع الآتية :

١ – اذا تقدم الخبر على المبتدأ نحو ﴿لافيها غول ولا هم عنها ينزفون – الصافات ٤٧﴾.

٢ – اذا دخلت على جملة اسمية صدرها معرفة كقوله تعالى : ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تُدرك القمر ولا الليل سابق النهار – يس ٤٠﴾.

وقد استثني من ذلك قولهم (لانولُك أن تفعل كذا) أي لا ينبغي أن تفعل كذا.

---

(٢٣) كتاب سيبويه ١/ ٤٦٠.

٣- اذا دخلت على المفرد خبراً أو حالا او نعتا نحو (هو لاطويل ولا قصير) ﴿وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة - الواقعة ٣٣﴾ و (جئت لامسرعا ولا مبطئا).

٤- اذا دخلت على ماضي اللفظ والمعنى نحو (لاقرأ ولا كتب)[٢٤].

ومن اقسام (لا) النافية (لا) المعترضة بين الجار والمجرور نحو: (جئت بلا زاد) و (غضبت من لاشيء) والجمهور يسمونها زائدة، وهي ليست زائدة في المعنى عندهم بل في الاعراب لانها وقعت بين العامل والمعمول ولذا يصح اسقاطها لانها تفيد النفي.

وهي عند الكوفيين اسم بمعنى (غير)[٢٥].

والحق انها لاتطابق (غيراً) فان استعمال (غير) يمكن أن يعطينا اكثر من معنى بخلاف استعمال (لا) فأنت تقول مثلا (جئت بلا سلاح) أي لاسلاح معك عند مجيئك. وتقول: (جئت بغير سلاح) وهذا يحتمل معنيين:

المعنى الاول هو نفي وجود السلاح معك كالاولى وهو نظير قوله تعالى ﴿ليضل الناس بغير علم - الانعام ١٤٤﴾.

والمعنى الآخر انك جئت بسلاح آخر غير ذلك السلاح.

فالتعبير بـ (لا) لايحتمل الا معنى واحداً، وأما التعبير بـ (غير) فقد يحتمل اكثر من معنى.

ثم ان (لا) في نحو هذا لاتدخل الا على النكرات فلا تقول (جئت بلا السلاح) أي (بغير السلاح). واما (غير) فتدخل على المعارف والنكرات وذلك كقوله تعالى: ﴿فاستكبروا في الارض بغير الحق - فصلت ١٥﴾.

وسنعرض للخلاف بين (لا) و (غير) في بحث (غير) ان شاء الله تعالى.

ومن اقسام (لا): المقترنة بحرف العطف نحو (ما قبل محمد ولا خالد) ويسميها النحاة زائدة لانها اذا اسقطت بقي معنى النفي فاذا قلت (ما اقبل محمد وخالد) نفيت اقبالهما جميعا غير أن المعنى يختلف في ذكرها عنه في اسقاطها فإذا اسقطتها احتمل

---

(٢٤) انظر المغني ١/٢٤٢- ٢٤٤، شرح الرضي على الكافية ١/ ٢٨٢.

(٢٥) انظر التصريح ١/ ٢٣٧، المغني ١/ ٢٤٥.

المعنى نفي اقبالها على كل حال مجتمعين أو متفرقين، واحتمل المعنى ايضا انهما لم يقبلا مجتمعين بل اقبل كل منهما على انفراد فإذا جئت بـ (لا) صار الكلام نصا على المعنى الاول.

جاء في المغني: "وكذلك (لا) المقترنة بالعاطف في نحو (ما جاءني زيد ولا عمرو) ويسمونها زائدة وليست بزائدة البتة. الا ترى انه اذا قيل (ما جاءني زيد وعمرو) احتمل أن المراد نفي مجيْ كل منهما على كل حال وأن يراد نفي اجتماعهما في وقت المجيْ فإذا جيْ بـ (لا) صار الكلام نصا في المعنى الاول.

نعم هي في قوله سبحانه ﴿وما يستوي الاحياء ولا الاموات﴾[26] لمجرد التوكيد وكذا اذا قيل: لايستوي زيد ولا عمرو"[27].

وجاء في (بدائع الفوائد) في قوله تعالى: ﴿غيرالمغضوب عليهم ولاالضالين﴾ ان المراد من زيادة (لا) "المغايرة الواقعة بين النوعين وبين كل نوع بمفرده فلو لم يذكر (لا) وقيل (غير المغضوب عليهم والضالين) أوهم ان المراد ماغاير المجموع المركب من النوعين لا ماغاير كل نوع بمفرده فإذا قيل (ولا الضالين) كان صريحا في أن المراد صراط غير هؤلاء وغير هؤلاء، وبيان ذلك انك اذا قلت (ما قام زيد وعمرو) فانما نفيت القيام عنهما ولا يلزم من ذلك نفيه عن كل واحد منهما بمفرده"[28].

ومن اقسامها ان تقع جوابا مناقضا لنعم ويكثر حذف الجمل بعدها نحو (أحضر محمد؟) فتقول: (لا)، والاصل: لا لم يحضر[29].

مما تقدم يتبين لنا ان (لا) تنفي الجمل الاسمية والفعلية المصدرة بفعل ماض أو مضارع، وتقع جواباً مناقضاً لنعم، وتنفي المفرد من خبر أوحال أو صفة. وتدخل بين الجار والمجرور وبين المتعاطفين كائنة حرف عطف أو غير عاطفة نحو (اقبل محمد لاخالد) و (ما اقبل محمد ولا خالد) ولايقع غيرها من حروف النفي في المواقع

---

(٢٦) فاطر ٢٣.

(٢٧) المغني ١/٢٤٥ وانظر الاشباه والنظائر ١/٢١٢-٢١٣.

(٢٨) بدائع الفوائد ٢/٣٤-٣٥.

(٢٩) انظر المغني ١/٢٤٢.

الاخيرة، اعني نفي المفرد من خبر أو حال أو صفة أو الدخول بين الجار والمجرور والتوسط بين المتعاطفين.

ألا تفعل وألست تفعل:

إنّ ثمة فرقاً بين قولنا (ألا تفعل) و (ألست تفعل) أي في دخول (لا) النافية على المضارع ودخول (ليس) عليه بعد همزة الاستفهام وذلك ان قولك: (ألا تفعل) عرض للقيام بالفعل نحو (ألا تذهب معي) ونحو قوله تعالى: ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم — التوبة ١٣﴾ وقد تكون للاستفهام المجرد من العرض نحو (ألا تنوي اخباره بما حدث؟).

واما (ألستَ تفعل) فمعناه تحقق القيام بالفعل وذلك نحو قولك: (ألست تذهب اليه؟) أي انك تذهب اليه. الا ترى انك تقول: (ألا أخبر أباه بما حصل؟) مستفهماً ولا يحسن ان تقول: (ألست أخبر اباه بما حصل؟) على هذا المعنى.

جاء في (تفسير الرازي) في قوله تعالى: ﴿الا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم﴾ "حكى الواحدي عن اهل المعاني انهم قالوا: اذا قلت: (الا تفعل كذا) فانما يستعمل ذلك في فعل مقدر وجوده، واذا قلت: (ألست تفعل) فانما تقول ذلك في فعل تحقق وجوده. والفرق بينهما ان (لا) ينفى بها المستقبل فإذا دخلت عليها الالف صار تحضيضاً على فعل ما يستقبل، و (ليس) انما تستعمل لنفي الحال فإذا دخلت عليها الالف صار لتحقيق الحال" [٣٠].

وقد ذكرنا سابقاً أن (ليس) تكون لنفي الحال عند الإطلاق واما (لا) فليست مقيدة بزمن على الأرجح.

لات:

تستعمل لنفي الحين خصوصاً كقوله تعالى: ﴿ولات حين مناص — ص ٣﴾ وكقول الشاعر:

---

(٣٠) التفسير الكبير ١٥ / ٢٣٥.

نـدم الـبـغـاة ولات سـاعـة مـنـدم

وقد مرّ الكلام عليها بما فيه الكفاية.

غير:

اسم يفيد المغايرة يقع استثناء بمعنى (الاّ) ويقع نفيا وقد يكون اسماً لمعنى المغايرة بلا دلالة على نفي أو استثناء.

فمن دلالته على الاستثناء قولك (اقبل الرجال غير رجل واحد).

ونحو قوله تعالى: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله — النساء ٩٥﴾ في قراءة النصب، وقد مرّ هذا في باب الاستثناء.

ومن دلالته على المغايرة فحسب من غير دلالة على استثناء أو نفي قوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً — النساء ٨٢﴾، وقوله: ﴿انما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ به لغير الله — البقرة ١٧٣﴾.

وقد يكون اسما يفيد النفي ينفي المضاف اليه ويقع في المواطن الاعرابية المختلفة، فيقع مبتدأ كقوله:

غـيـرُ مجـدٍ في مـلـتي واعـتـقـادي نَـوحُ بـاكٍ ولا تـرنّـم شـادي

وقوله:

غــيــرُ مــأســوف عــلى زمــن يــنــقــضي بــالهمّ والــحَــزَن

وصفة كقوله تعالى: ﴿ذلك وعد غير مكذوب — هود ٦٥﴾

وخبراً كقوله تعالى: ﴿وهو في الخصام غير مبين — الزخرف ١٨﴾.

وحالاً كقوله تعالى: ﴿أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة — النور ٦٠﴾ وقوله ﴿فمن اضطُرّ غير باغ ولاعاد فان ربك غفور رحيم — الانعام ١٤٥﴾.

وفاعلاً نحو: (رماك غير رام رهجاك غير شاعر).

ومفعولاً به نحو: (خاصمتَ غير كفء) و (هجرت غير مستحق) و (رميت غير عدوك).

ومجروراً بالحرف كقوله تعالى: ﴿الذين يتكبرون في الارض بغير الحق — الاعراف ١٤٦﴾.

وظرفاً كقوله تعالى: ﴿فمكث غير بعيد — النمل ٢﴾.

وغير ذلك.

ان (غيراً) كما ترى مختصة بنفي الاسم وهي وظيفة تنفرد بها (غير) عن سائر ادوات النفي.

وقد تقول إن (لا) قد تشاركها في بعض المواضع و (ما) ايضا، فما الفرق بينها وبينهما؟

والجواب ان غيراً اوسع استعمالاً في نفي الاسماء من (لا) أو (ما) أو غيرهما. وذلك ان (ما) تنفي الافعال وتنفي الجمل الاسمية ولكنها لا تنفي الاسم المفرد الآ بقيود وذلك ان لها صدر الكلام فلا يصح أن تقول مثلا (محمد ما حاضر) ولا (اقبل محمد ما مسرعا) ولا (اكرمت ما محمدا) بل تقدم (ما) مع منفيها الى صدر الكلام فتقول (ما حاضر محمد) و (ما مسرعا اقبل محمد) و (ما محمدا أكرمت) والمعنى في التقديم يختلف عنه في التأخير. واما (غير) فيصح تقديمها وتأخيرها فتقول (محمد غير قائم) و (غير قائم محمد) و (اكرمت غير محمد) و (غير محمد اكرمت).

ولا يمكن نفي الصفة مثلا بـ (ما) لان الصفة لا تتقدم في اول الكلام كما هو معلوم.

وكذلك (لا) فانها تنفي الافعال وتنفي الجمل الاسمية. وقد تنفي الاسم المفرد ولكن لا تنفيه الآ بقيد ايضا فهي لا تنفي الخبر المفرد ولا الصفة ولا الحال الآ بشرط تكرارها كما مر، وذلك لانه يراد بها اشراك اكثر من جهة في النفي بخلاف (غير) فانه لا يشترط أن تتكرر كما هو واضح من الامثلة. فوظيفة (لا) تختلف عن وظيفة ادوات النفي الاخرى.

هذا من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى أن(غيرا) اسم يفيد المغايرة فقولك (غير محمد) يعني شخصا آخر مغايراً لمحمد ، وأما (ما محمد) فيعني النفي عن محمد ولا يعني شخصا آخر. فاذا قلت مثلا (ما محمد حضر) فانك نفيت الحضور عن محمد خصوصا ، ولكن اذا قلت : (غير محمد حضر) فانك اثبت الحضور لشخص آخر غير محمد.
وكذلك اذا قلت (ما محمداً أكرمت) فانه يفيد نفي الاكرام عن محمد خصوصا ومن هذا الخصوص عن محمد يدل التعبير استنتاجا على أنك أكرمت غير محمد. واما قولك (غير محمد اكرمت) فانه يفيدا ثبات الاكرام لشخص غير محمد وبلفظ المغايرة دل التعبير على نفي الاكرام لمحمد. فهما طريقتان مختلفتان في النفي والاثبات. فالاولى اعني النفي بالحرف هو نص على النفي وقد يستفاد الاثبات لغير المنفي استنتاجا.

واما النفي بـ (غير) فهو يفيد الاثبات لغيرالمذكور، ويفيد النفي عن المذكور بلفظ المغايرة فقولك (ما محمدا أكرمت) يفيد نفي الاكرام عن محمد خصوصا واثبات الاكرام لغيره استنتاجا. وقولك (غير محمد أكرمت) يفيد اثبات الاكرام لغير محمد وينفيه عن محمد بلفظ المغايرة ، والمعنى في التعبيرين نفي الاكرام عن محمد ولكن بطريقتين مختلفتين.

ان الاصل كما يبدو من لفظ (غير) انها كانت تستعمل للمغايرة اطلاقا وبتطور الدلالة اقتربت المغايرة من معنى الاستثناء حتى اصبحت استثناء كما مر في باب الاستثناء. واقتربت من معنى النفي عن طريق الاثبات لما غاير المذكور حتى صارت نفياً عن المذكور. وربما انمحى معنى المغايرة من الذهن في الاستثناء والنفي فلا يفهم إلاّ بالتأوّل والتأمّل فقولك (ما حضر غير علي) مثلاً يفهم منه (ما حضر إلاّ عليّ) ولايفهم منه أن الشخص الذي هو غير علي لم يحضر. وكذلك قوله تعالى : ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين- الذاريات ٣٦﴾ . فان معنى المغايرة انمحى أوكاد من هذا التعبير ولم يفهم الاّ بالتأول واعمال الفكر لعقد الصلة بين الاستثناء والمغايرة.

وكذلك النفي في نحو قوله تعالى : ﴿ويقتلون النبيين بغير حق- آل عمران ٢١﴾ ، قوله : ﴿انما يوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب- الزمر ١٠﴾ فانه لا يفهم منه اثبات غير الحق واثبات غير الحساب الاّ تأولا وتأملا ، وانما يفهم نفي الحق ونفي الحساب بداهة وابتداء.

قلّ وقلّما واقلّ :

هذه الفاظ تفيد القلّة . والاصل أن تفيد وقوع الشيء قليلا ، وقد تستعمل للنفي أي عدم وقوع الشيء . تقول (قلّما رددت عليه) اذا عنيت أنك رددت عليه قليلا وقد يراد بها عدم الرد أي مارددت عليه .

وتقول (أقلُّ رجل يفعل ذاك) على معنى (ما رجل يفعل ذاك) .

جاء في (الكتاب) : "وتقول (اقلّ رجل يقول ذاك الاّ زيد) لأنه صار في معنى : ما أحد فيها الاّ زيد"[٣١] . وقال : (قلّما) نفي لقوله (كثر ما)[٣٢] .

وجاء في (الاصول) لابن السراج : "اعلم أن (قلّ) فعل ماض و (اقلّ) اسم الاّ ان (اقل رجل) قد اجروه مجرى (قل رجل) فلا تدخل عليه العوامل وقد وضعته العرب موضع (ما) لأنه اقرب شيء الى المنفي القليل...

وتقول (قلما سرت حتى ادخلها) من قبل ان (قلّما) نفي لقوله (كثرما) كما ان (ماسرت) نفي لقوله (سرت) ...

وتقول (قلّما سرت) اذا عنيت سيراً واحداً أو عنيت غير سير كأنك تنفي الكثير من السير الواحد كما تنفيه من غير سير"[٣٣] .

وجاء في (معاني القرآن) للفراء في قوله تعالى ﴿فقليلا مايؤمنون– البقرة ٨٨﴾ :

"فيه وجهان من العربية :

احدهما الاّ يكونوا آمنوا قليلا ولا كثيرا ، ومثله مما تقوله العرب بالقلّة على ان ينفوا الفعل كله قولهم (قلّ مارأيت مثل هذا قط) .

وحكى الكسائي عن العرب : مررت ببلاد قلّ ماتنبت الاّ البصل والكراث أي ماتنبت الاّ هذين...

والوجه الآخر ان يكونوا يصدقون بالشيء قليلا ويكفرون بما سواه"[٣٤] .

---

(٣١) كتاب سيبويه ٣٦١/١ .

(٣٢) كتاب سيبويه ٤١٥/١ .

(٣٣) الاصول ١٧٤/٢ – ١٧٦ .

(٣٤) معاني القرآن ٥٩/١ .

نفي الفعل

مر بنا هذا في بحث الفعل وسنعرض له الآن بصورة موجزة.

١ - فَعَل : نفيه (لم يفعل) فاذا قلت (حضر محمد) فان نفيه : (لم يحضر) وذلك ان (فعل) غير مخصوص بزمن معيّن من ازمنة الماضي ونفيه كذلك.

٢ - قد فعل : نفيه (لمّا يفعلْ) فاذا قلت (قد حضر محمد) فان نفيه (لما يحضر محمد) وذلك ان (قد فعل) يفيد القرب من زمن التكلم ويفيد التوقع والتحقيق ونفيه كذلك. فان (لما يحضر) متصل النفي بزمن التكلم فلا يصح ان يقال (لما يحضر ثم حضر) بخلاف (لم يحضر) فانه يصح أن يقال (لم يحضر ثم حضر)، ويفيد التوقع فان (قد حضر) معناه انه كان متوقع الحضور فحضر، واما (لما يحضر) فان معناه : لم يحضر وهو متوقع حضوره. ويفيد التحقيق وذلك ان الفعل الماضي المسبوق بـ (قد) لاينصرف الى المستقبل لأنه تحقق وقوعه وكذلك منفيه بخلاف المنفي بـ (لم) فانه قد ينصرف الى الاستقبال كقولك (ان لم تأتني لم أُكرمك).

٣ - لقد فعل : نفيه (مافعل). قال سيبويه لأنه كأنه قال : (والله لقد فعل) فقال : (والله مافعل)[٣٥].

٤ - يفعل : اذا كان للحال فان نفيه (ما يفعل) واذا كان للاستقبال فان نفيه (لايفعل). قال سيبويه : "واذا قال (هو يفعل) أي هو في حال فعل فان نفيه (مايفعل)، واذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعا فنفيه (لايفعل)"[٣٦].

٥ - ليفعلن : نفيه (لا يفعل) فإذا قلت (ليحضرن خالد) فنفيه : (لا يحضر خالد). قال سيبويه "وإذا قال (ليفعلن) فنفيه (لا يفعل) كأنه قال : (والله ليفعلن) فقلت : (والله لايفعل)"[٣٧].

---

(٣٥) كتاب سيبويه ١/٤٦٠.

(٣٦) كتاب سيبويه ١/٤٦٠.

(٣٧) كتاب سيبويه ١/ ٤٦٠.

٦- سوف يفعل أو سيفعل : نفيه (لن يفعل)[٣٨] وذلك أن السين و (سوف) للاستقبال ومنفيها كذلك ، ثم ان السين و (سوف) يفيدان توكيد حصول الفعل في المستقبل[٣٩] ، ومنفيها كذلك فإن (لن) تفيد توكيد النفي في المستقبل[٤٠] . ولا يجمع بينها. فلا يقال (سوف لن أفعل) لان (سوف) لتوكيد الاثبات في المستقبل و (لن) لتوكيد النفي في المستقبل.

٧- كان سيفعل : نفيه (لم يكن ليفعل) فإذا قلت (كان سيحضر) أو (كان سوف يحضر) فإن نفيه (لم يكن ليحضر)[٤١] .

وذكر سيبويه أن نفيه (ما كان ليفعل)[٤٢] . والصواب الاول وذلك ان (ما كان) نفي لقولنا (لقد كان) كما ذكر سيبويه نفسه.

دلالات النفي

١- نفي العمدة :

قد تنفى العمدة وهي المسند أو المسند إليه . فمن نفي المسند قولك (ما حضر خالد بل سافر) وقولك (ما مسافر أخوك) فقد نفيت الحضور في الاولى والسفر في الثانية وهما مسندان وكقولك (هو لا كاتب ولا شاعر).

وقد ينفى المسند إليه نحو قوله تعالى : ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون- البقرة ٣٨﴾ فنفى الخوف ، وقوله : ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده- البقرة ٢٤٩﴾ فنفى الطاقة.

وقد ينفى المسند إليه عن طريق إثباته وذلك كأن تقول (شاعركم لا يحسن القول) فظاهر هذا أن لهم شاعراً لا يحسن القول وقد يراد بذلك أن ليس لهم شاعر

---

(٣٨) كتاب سيبويه ١/ ٤٦٠ ، ١/ ٦٨.

(٣٩) أنظر الكشاف ١/ ٢٤١ قوله - " (فسيكفيكهم الله) ، ١/ ٤٣٤ (أولئك سوف نؤتيهم أجورهم).

(٤٠) المفصل ٢/ ٢٠٠ ، شرح الرضي على الكافية ٢/ ٢٦٠.

(٤١) كليات أبي البقاء ٧٨.

(٤٢) كتاب سيبويه ١/ ٤٠٨ وانظر شرح ابن يعيش ٧/ ٢٩ ، الاشباه والنظائر ٢/ ٢٥٢.

أصلاً ، ونحو قولك : (شعرك أحسن من نثره) فظاهر هذا الكلام أن له شعراً أحسن من نثر الغائب ، وقد يقال هذا التعبير وليس للمخاطب شعر أصلاً فيراد به أنه لو كان لك شعر لكان أحسن من نثره أو يقال على سبيل التهكم ، ومنه قوله تعالى : ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين− المدثر ٤٨﴾ والمعنى أنهم لاشافعين لهم أصلاً فتنفعهم شفاعتهم ، وليس المعنى أن الشافعين يشفعون لهم ولكن لاتنفعهم شفاعتهم.

ومنه قول الشاعر:

على لا حبٍ لا يهتدى بمناره

أي على طريق لامناربه فيهتدى به وليس المراد أن في الطريق مناراً لايهتدى به[٤٣].

ومنه "قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلّم (لاتُنثَى فلتاته) أي لاتذاع سقطاته ، فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثَم فلتات غير أنها لاتذاع. وليس المراد ذلك ، بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات فتنثى"[٤٤]. فظاهر التعبير إثبات المسند إليه غير أن المقصود نفيه أصلاً.

٤− نفي القيد :

قد ينفى القيد من مفعول أو متعلق أو حال أو صفة أو غير ذلك من القيود كقولك (ما أكرمت محمداً) و (ما رأيت خالداً يوم الجمعة) و (ما أقبل خالد راكباً) ونحو ذلك .

ونفي القيد له دلالات متعددة :

أ− فقد يدل نفي القيد على أن القيد لم يحصل أما ما عداه فلا يُدرى أحصل أم لا ، وذلك نحو قولك (ما أكرمت محمداً) فإنك نفيت الاكرام عن محمد وسكتَّ عن غيره فقد تكون أكرمت غيره أو لاتكون.

---

(٤٣) أنظر الخصائص ٣/ ١٦٥ ، البرهان ٣/ ٣٩٤ ، المثل السائر ٢/ ٦٥− ٦٧.

(٤٤) المثل السائر ٢/ ٦٥.

ومثله (ما رأيت محمداً يوم الجمعة) فإنك نفيت رؤيته يوم الجمعة وسكتّ عن رؤيته في الايام الاخرى ، فقد تكون رأيته في غير يوم الجمعة ويحتمل أنك لم تره لا في يوم الجمعة ولا في غيره .

ونحوه (ما ذهبت الى خالد) فأنت نفيت الذهاب الى خالد وسكتّ عن الذهاب الى غيره فقد تكونُ ذهبت الى غيره أو لاتكون .

ومثله الحال نحو (لم أسمع الطفل باكياً) فأنت نفيت سماعك الطفل باكياً ، أما سماعه غير باك فأنت سكتّ عنه فقد تكون سمعته أو لا تكون .

وقد يدل نفي القيد على رجحان حدوث الاصل نحو قولك (ما شربنا اليوم ماء بارداً) فالراجح في نحو هذا أنك شربت ماء غير بارد ، وقد يراد به أنك لم تشرب شيئاً وذلك كأن يكون المتكلم صائماً وقد كان معتاداً على شرب الماء البارد فيقول (ما شربنا اليوم ماء بارداً) .

ونحوه قولك (ما جاء اليوم أخوك راكباً) ، فالراجح في نحو هذا أنه جاء غير راكب وإن كان من المحتمل أيضاً احتمالاً مرجوحاً بأنه لم يجئ راكباً ولا غير راكب وذلك كأن يكون من المعتاد أن يجئ أخوه راكباً فنفى هذه الهيئة بأكملها .

ب- الدلالة على نفي القيد وحده مع القطع بحدوث الاصل وذلك إذا علم حدوث الاصل نحو قوله تعالى : ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين- الانبياء ١٦﴾ فهذا إثبات لخلق السماء والارض ونفي للعب ، ونحو قولك : (مامشى عمر على الارض مختالاً) فانه أثبت المشي ونفي الاختيال . ومنه في غير النفي قوله تعالى : ﴿ولاتمش في الارض مرحاً- لقمان ١٨﴾ فإنه نهى عن الاختيال ولم ينه عن المشي أصلاً .

وقد يفيد نفي القيد الدلالة على حدوث الاصل وذلك بتقديم القيد على عامله نحو (ما محمداً أكرمت) فإن هذا التعبير يفيد نفي الاكرام لمحمد خاصة وإثباته لغيره بخلاف ما لو قلت (ما أكرمت محمداً) فإنه يفيد نفي الاكرام عن محمد أما بالنسبة الى غير محمد فهو مسكوت عنه ، ونحو قولك (ما الى خالد ذهبت) فإنه يفيد نفي الذهاب الى خالد خاصة وإثبات الذهاب الى غيره بخلاف قولك : (ما ذهبت الى

خالد) فإنه يفيد نفي الذهاب الى خالد أما الذهاب الى غيره فهو مسكوت عنه(٤٥) كما ذكرنا آنفاً.

ج – وقد يذكر القيد والمراد نفي الاصل وذلك نحو قوله تعالى ﴿لا يسألون الناس الحافا– البقرة ٢٧٣﴾ والمراد نفي السؤال أصلاً بالحاف أو بغيره ومنه قوله تعالى: ﴿لايشترون بآيات الله ثمناً قليلا– آل عمران ١٩٩﴾ والمقصود نفي الشراء بآيات الله أصلا لاثمنا قليلا ولا كثيرا لان كل ثمن هو قليل بالنسبة الى آيات الله.

جاء في (البرهان): "ومنه نفي الشيء مقيداً والمراد نفيه مطلقاً وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النفي وتأكيده كقولهم (فلان لايرجى خيره) ليس المراد أن فيه خيراً لا يرجى وإنما غرضهم أنه لا خير فيه على وجه من الوجوه.

ومنه ﴿يقتلون النبيين بغير حق﴾(٤٦) فإنه يدل على أن قتلهم لايكون الاّ بغير حق، ثم وصف القتل بما لابد أن يكون من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق... وقوله تعالى: ﴿لا يسألون الناس الحافا﴾ فإن ظاهرة نفي الالحاف في المسألة والحقيقة نفي المسألة البتة...

ومثله قوله تعالى ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾(٤٧) ليس المراد نفي الشفيع بقيد الطاعة بل نفيه مطلقاً"(٤٨).

ومنه قوله:

لاتفزع الارنبَ أهوالُها ... ولا ترى الضب بها ينجحر

أي لا أرنب بها فتفزعها أهوالها(٤٩)، وليس المقصود أن بها أرنباً لاتفزعها الاهوال، وكذلك قوله (ولا ترى الضب بها ينجحر) "فإن ظاهر المعنى من هذا البيت أنه كان هناك ضب ولكنه غير منجحر وليس كذلك، بل المعنى أنه لم يكن هناك ضب أصلا"(٥٠).

---

(٤٥) أنظر دلائل الاعجاز ٩٨.
(٤٦) آل عمران ٢١.
(٤٧) غافر ١٨.
(٤٨) البرهان ٣/ ٣٩٦– ٣٩٧، الكليات ٣٥٥.
(٤٩) الخصائص ٣/ ١٦٥.
(٥٠) المثل السائر ٢/ ٦٦.

وجاء في (دلائل الاعجاز) : "أنه من حكم النفي إذا دخل على كلام ثم كان في الكلام تقييد على وجه من الوجوه أن يتوجه الى ذلك التقييد وأن يقع له خصوصاً.

تفسير ذلك أنك إذا قلت (أتاني القوم مجتمعين) فقال قائل : (لم يأتك القوم مجتمعين) كان نفيه ذلك متوجهاً الى الاجتماع الذي هو تقييد في الاتيان دون الاتيان نفسه. حتى أنه ان أراد أن ينفي الاتيان من أصله كان من سبيله أن يقول انهم لم يأتوك أصلاً، فما معنى قولك مجتمعين؟ هذا مما لايشك فيه عاقل...

فإذا قلت : (جاءني زيد راكباً) و (ما جاءني زيد راكبا) كنت قد وضعت كلامك لان تثبت مجيئه راكبا أو تنفي ذلك لا لان تثبت المجيء وتنفيه مطلقاً. هذا ما لا سبيل الى الشك فيه" (٥١).

والصواب ما ذكرنا، فإن نفي القيد قد يفيد حصول الاصل وقد يفيد نفي الاصل أيضا كما أوضحنا.

د- وإذا تعددت القيود احتمل أن يكون المراد نفي القيد الاخير واحتمل أن يراد نفي القيود كلها واحتمل أيضاً أن يكون المراد نفي الاصل أيضاً، فإذا قلت مثلا (ما رأيت رجلا غريباً طويلا) احتمل أن تكون رأيت رجلا غريباً فقط وليس طويلا. وقد تكون رأيت رجلا لا غريباً ولا طويلاً.

وإذا قلت (ما جعلت مالي نصفين وأعطيت محمداً نصفاً وخالداً نصفاً) احتمل أنك جعلت مالك نصفين وأعطيت محمداً نصفاً ولكنك لم تعط خالداً نصفاً، واحتمل أيضاً أنك جعلت مالك نصفين غير أنك لم تعط محمداً نصفاً، واحتمل أيضاً أنك جعلت مالك نصفين غير أنك لم تعط محمداً ولا خالداً، أو أنك أعطيتها غير النصف، ومن المحتمل أيضاً أنك لم تفعل هذا الامر أصلاً لم تقسم مالك ولم تعط شيئاً.

ونحوه قولك (ما ذهبت الى محمد وخالد وقلت لهما : أنا معكما) فهذا يحتمل نفي القول وإثبات الذهاب إليهما. ويحتمل أنك ذهبت الى واحد منهما فقط، ويحتمل أنك نفيت الامر كله أي أن هذا الامر لم يحصل كله ولا شيء منه.

---

(٥١) دلائل الاعجاز ٢١٦ - ٢١٧.

ونحوه أن تقول (ما أقبل محمد راكباً ضاحكاً صباح اليوم) فقد يراد بذلك نفي القيد الاخير وهو صباح اليوم وإثبات ما قبله، وقد يراد بذلك نفي القيود كلها، وقد يراد أنّ شيئاً من ذلك لم يحصل أي تنفي الهيئة كلها.

هـ - التنصيص على نفي القيد دون غيره: إذا أردت التنصيص على نفي شيء من الاسماء أو القيود وإثبات ما عداه نصاً جئت بـ (غير) أو (لا) أحياناً فتقول مثلا (أقبل محمد راكباً غير ضاحك) و(أقبل محمد راكباً لا ضاحكاً) إذا نفيت الضحك وحده وأثبت الاقبال، وتقول (أقبل محمد غير راكب ولا ضاحك) إذا نفيت الركوب والضحك وأثبتّ الاقبال.

وتقول (شربت الماء غير بارد) و(رأيت رجلا غير غريب ولا طويل) فانك ههنا نصصت على ماأردت اثباته ونفيه، ففي الجملة الاولى اعني (اقبل محمد راكبا غير ضاحك) نصصت على مجيْ محمد راكبا ونصصت على نفي الضحك وهكذا شأن الجمل الاخرى.

يتبين لنا من هذا أن النفي مع القيود يكون نفيا احتماليا في الغالب وان كان الاظهر انه يفيد نفي القيد وحده، فاذا اردت التنصيص على النفي جئت بـ (غير) مع الاسم وربما صح الاتيان بـ (لا) ايضا كما أسلفنا.

٣- نفي الشيء والمراد عدم كماله:

قد ينفى الشيء أصلا وليس المراد ذلك بل المراد انتفاء كماله أو يكون المراد انه لاينبغي ان يوصف بهذا الوصف وذلك كقولك (ان فلانا ليس بحي) والمقصود ان حياته التي هو فيها لاينبغي ان تسمى حياة، ونحو هذا قول الشاعر:

ما عاش من عاش مذموما خصائله ولم يمت من يكن بالخير مذكورا

ونحو هذا قوله تعالى في اهل النار: ﴿لايموت فيها ولا يحيى - طه ٧٤﴾ "فنفى عنه الموت لانه ليس بموت صريح ونفى عنه الحياة لانها ليست بحياة طيبة ولا نافعة"[٥٢].

---

(٥٢) البرهان ٣/ ٣٩٥.

ونحوه أن تقول لزائرك وقد همّ بالانصراف (لم نرك بعد) أى لم تتم رؤيتنا لك فقد نفى الرؤية والمقصود عدم كمالها.

٤ - التقديم والتأخير:

وله صور ابرزها:

أ- تقديم الاسم على الفعل، فمن ذلك:

تقديم المسند اليه على الفعل نحو (ما انا اخبرته بهذا) فهذا يفيد أن الاخبار حصل ولكن لم تفعله أنت بل فعله غيرك بخلاف ما لو قلت: (ما اخبرته بهذا) فهذا نفي للاخبار عن نفسك. اما بالنسبة الى غيرك فقد يكون اخبره أو لم يخبره.

ومثله (ما ذهبت اليه) والمقصود نفي الذهاب عن نفسك. اما بالنسبة الى غيرك فقد سكت عنه فقد يكون ذهب او لم يذهب، فاذا قدمت المسند اليه فقلت (ما انا ذهبت اليه) افدت نفيه عن نفسك واثباته لغيرك ولذا لايصح أن يقال (ما انا ذهبت اليه ولا احد غيري) فان قولك (ما انا ذهبت اليه) يعني أن غيرك ذهب اليه. فاذا قلت (ولا احد غيري) ناقض آخر الكلام أوله.

جاء في (دلائل الاعجاز): "اذا قلت (ما فعلت) كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول. وإذا قلت: (ما انا فعلت) كنت نفيت عنك فعلاً ثبت أنه مفعول... وكذلك اذا قلت (ما ضربت زيدا) كنت نفيت عنك ضربه ولم يجب ان يكون قد ضرب، بل يجوز أن يكون قد ضربه غيرك وأن لايكون قد ضرب اصلا. واذا قلت: (ما انا ضربت زيدا) لم تقله الاّ وزيد مضروب وكان القصد أن تنفي ان تكون انت الضارب...

وههنا امران يرتفع معهما الشك في وجوب هذا الفرق ويصير العلم به كالضرورة: احدهما انه يصح لك ان تقول: (ما قلت هذا ولا قاله احد من الناس) و (ما ضربت زيداً ولا ضربه احد سواي) ولا يصح ذلك في الوجه الآخر، فلو قلت (ما انا

قلت هذا ولا قاله احد من الناس) و(ما انا ضربت زيداً ولا ضربه احد سواي) كان خلفا من القول"(٥٣).

ومن ذلك :

تقديم القيد على الفعل :

نحو تقديم المفعول به والجار والمجرور والظرف وغير ذلك وهو يفيد ما افاده الاول من الاثبات والنفي ، وذلك نحو قولك : (ماخالدا اكرمت) فانه يفيد نفي الاكرام لخالد خاصة واثباته لغيره بخلاف ما لو قلت : (ما اكرمت خالدا) فانه يفيد نفي الاكرام لخالد ولم تعرض لغيره باثبات او نفي فقد تكون اكرمته أو لا تكون. ولذا يصح أن تقول (ما اكرمت خالداً ولا غيره) ولا يصح أن تقول (ما خالداً اكرمت ولا غيره) لان تقديم المفعول به افاد اثبات الفعل وهو الاكرام فكيف تنقضه؟

وكذلك الجار والمجرور نحو (ما اليّ جاء) فانه نفى المجيْ اليه وأثبت المجيْ الى غيره بخلاف ما لو قال (ما جاء اليّ) فانه نفى المجيْ اليه ولم يعرض للمجيْ الى غيره فقد يكون حصل أو لم يحصل.

ونحوه الظرف نحو (مابين الاشجار وجدت الكرة) فانه يفيد اثبات وجدان الكرة ، لكن نفى كونها بين الاشجار بخلاف ما لو قال : (ماوجدت الكرة بين الاشجار) فانه نفى وجودها بين الاشجار ، اما وجودها في محل آخر فلم يعرض له فقد يكون وجدها أو لم يجدها. ونحو (ما يوم الجمعة سافر خالد) و (ما سافر خالد يوم الجمعة) وهكذا.

جاء في (دلائل الاعجاز) : "ويجيْ لك هذا الفرق على وجهه في تقديم المفعول وتأخيره. فاذا قلت : (ماضربت زيدا) فقدمت الفعل كان المعنى انك قد نفيت ان يكون قد وقع ضرب منك على زيد. ولم تعرض في امر غيره لنفي ولا اثبات وتركته مبهما محتملا. واذا قلت (مازيداً ضربت) فقدمت المفعول كان المعنى على أن ضرباً وقع منك على انسان وظُن أن ذلك الانسان زيد ، فنفيت أن يكون اياه ، فلك أن تقول

---

(٥٣) دلائل الاعجاز ٩٦ - ٩٧.

في الوجه الاول (ماضربت زيداً ولا احداً من الناس) وليس لك في الوجه الثاني. فلو قلت (ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس) كان فاسدا على ما مضى في الفاعل....

وحكم الجار مع المجرور في جميع ماذكرنا حكم المنصوب فاذا قلت: (ما امرتك بهذا) كان المعنى على نفي أن تكون قد امرته بذلك. ولم يجب أن تكون قد امرته بشيء آخر. واذا قلت (مابهذا أمرتك) كنت قد امرته بشي غيره" (٥٤).

ب – وقوع الفعل في حيّز النفي وعدمه: اذا وقع الفعل في حيّز النفي كان منفيا، وان لم يقع في حيّزه كان مثبتا وذلك نحو (عرفت أنه ليس مسافرا) و (ماعرفت أنه مسافر) فالجملة الاولى اثبات للمعرفة والثانية نفي لها. فقد عرف في الجملة الاولى أنه ليس بمسافر، وأما في الثانية، فقد نفى معرفته بذلك فلم يعلم أنه مسافر. ونحو (سمعت أنك لم تترك عملك) و (ما سمعت أنك تركت عملك). فالاولى اثبات للسماع والثانية نفي له. ونحو قولك: (قلت: إنه ليس بشاعر) و (ما قلت إنه شاعر) فقد اثبت القول في الاولى ونفاه في الثانية. فقد قال في الاولى (انه ليس بشاعر)، وفي الثانية لم يقل انه شاعر.

ونحو قولنا (يجب أن لاتخبره بذلك) و (لايجب أن تخبره بذلك) ففي الاولى اوجب عليه عدم الاخبار وفي الثانية نفى وجوب اخباره، بل اجاز له ان يخبره وأن لايخبره، ونحو (يجب أن لاتحضر) و (لايجب أن تحضر) ففي الاولى الزمه بعدم الحضور، وفي الثانية لم يوجب عليه الحضور، بل اجاز له الحضور وعدم الحضور. ومثله (يجوز أن لاتفعل) و (لايجوز أن تفعل) ففي الجملة الاولى جوّز له عدم الفعل، وجوّز له الفعل وفعله أولى. وفي الثانية منعه من الفعل أي لم يجوّز له الفعل.

ونحو (ادركت أنه ليس غبيا) و (ما ادركت أنه غبي) ففي الاولى ادرك عدم غبائه وفي الثانية لم يدرك غباءه.

ونحوه قولك (ما اصبحت تملك عقارا) و (اصبحت لاتملك عقارا) ففي الجملة الاولى لم يصبح وفي الثانية اصبح. ومعنى العبارة الاولى ان المخاطب كان يأمل أن

---

(٥٤) دلائل الاعجاز ٩٨.

يكون من اصحاب العقار ولم يتيسر له ذاك ، واما الثانية فتقولها لمن كان يملكه وهو الآن لا يملكه. فالعبارة الاولى لاتدل على انه كان يملك العقار بخلاف الثانية.

ونحوه قولك : (ما اصبحت تملك زرعا ولا ضرعا) و (أصبحت لاتملك زرعا ولا ضرعا). فالعبارة الاولى تفيد أنه كان يريد ذاك فلم يتحقق له ما أراد ، والثانية تفيد أنه كان يملكها ففقدها ، وهكذا.

والخلاصة انه اذا وقع الفعل في حيّز النفي تسلط عليه ، وان لم يقع في حيزّه كان مثبتا ولم يتسلط عليه.

ج- وقوع (كل) في حيّز النفي وعدمه :

قد مّر بنا هذا في باب التوكيد ، وذكرنا ثَم أنه اذا وقعت (كل) في حيّز النفي افادت الثبوت لبعض الافراد واذا لم تقع في حيزه اقتضى ذلك النفي عن كل فرد ، فاذا قلت : مثلا (ما اعانني كل الطلاب) كنت اثبتّ الاعانة لبعضهم فلم يعنك كلهم بل اعانك بعضهم ، واذا قلت (كل الطلاب لم يعينوني) نفيت الاعانة عن كل الطلاب.

جاء في (دلائل الاعجاز) في قول أبي النجم :

قد أصبحت ام الخيار تدّعي علـيّ ذنبا كلّه لم اصنع

برفع كل "انه اراد انها تدعي عليه ذنبا لم يصنع منه شيئا البتة لا قليلا ولا كثيرا ولا بعضاً ولا كّلا. والنصب يمنع من هذا المعنى ، ويقتضي أن يكون قد أتى من الذنب الذي ادّعته بعضه. وذلك انا اذا تأملنا وجدنا اعمال الفعل في (كل) والفعل منفي لايصلح أن يكون الا حيث أن يراد أن بعضا كان وبعضا لم يكن. تقول : (لم الق كل القوم) و (لم آخذ كل الدراهم) فيكون المعنى : انك لقيت بعضا من القوم ولم تلق الجميع ، وأخذت بعضا من الدراهم وتركت الباقي ، ولا يكون أن تريد أنك لم تلق واحدا من القوم ولم تأخذ شيئا من الدراهم...

واذ قد بان لك من حال النصب أنه يقتضي ان يكون المعنى على أنه قد صنع من الذنب بعضا وترك بعضا فاعلم أن الرفع على خلاف ذلك، وانه يقتضي نفي أن يكون قد صنع منه شيئا واتى منه قليلا اوكثيرا، وانك اذا قلت: (كلهم لايأتيك) و(كل ذلك لايكون) و(كل هذا لايحسن) كنت نفيت أن يأتيه واحد منهم وابيت أن يكون أو يحسن شيء مما اشرت اليه"(٥٥).

قيل: وقد يشكل على الشق الاول من هذا القول نحو قوله تعالى: ﴿انّ الله لايحب كل مختال فخور- لقمان ١٨﴾ وقوله ﴿والله لايحب كل كفار أثيم- البقرة ٢٧٦﴾ اذ يقتضي ذلك أن يحب الله بعض هؤلاء.

وأجيب "ان دلالة المفهوم انما يعول عليها عند عدم المعارض وهو ههنا موجود اذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقا"(٥٦). وتحريم الكفر والاثم.

٥- تكرير الفعل في النفي

تقول (ما مررت بمحمد وخالد) وتقول (ما مررت بمحمد وما مررت بخالد) وقد فرق قسم من النحاة بين التعبيرين فقالوا: اذا نفيت مروراً واحداً قلت (ما مررت بمحمد وخالد)، واذا نفيت مرورين منقطعا احدهما عن الآخر قلت (ما مررت بمحمد وما مررت بخالد). واما الاثبات فيحتمل معاني متعددة فاذا قلت (مررت بمحمد وخالد) احتمل أنك مررت بهما مروراً واحدا واحتمل أنك مررت بكل واحد منها مرورا منقطعا عن الآخر، واحتمل أن يكون مرورك بخالد أولاً أو بمحمد أولاً، لان الواو لاتفيد الترتيب على الارجح.

قال سيبويه: "يجوز أن تقول: (مررت بزيد وعمرو) والمبدؤ به في المرور عمرو ويجوز أن يكون زيدا ويجوز أن يكون المرور وقع عليها في حالة واحدة، فالواو يجمع هذه الاشياء على هذه المعاني...

---

(٥٥) دلائل الاعجاز ٢١٥- ٢١٨.

(٥٦) المغني ١/ ٢٠٠- ٢٠١.

وقد تقول: (مررت بزيد وعمرو) تعني أنك مررت بهما مرورين وليس في ذلك دليل على المرور المبدوء به كأنه يقول: ومررت ايضا بعمرو. فنفي هذا (ما مررت بزيد وما مررت بعمرو)''[٥٧].

فتبين من قول سيبويه أنه اذا كان مرّ مرورين فنفيه يكون بتكرير العامل (ما مررت بزيد وما مررت بعمرو) اما اذا كان المرور واحداً فلا يتكرر العامل.

قال سيبويه: ''قولك (مررت برجل وحمار قبل) فالواو أشركت بينهما في الباء فجريا عليه ولم تجعل للرجل منزلة بتقديمك اياه يكون بها أولى من الحمار، كأنك قلت: (مررت بهما) فالنفي في هذا أن تقول: (ما مررت برجل وحمار) أي ما مررت بهما''[٥٨].

وجاء في (الكليات) لأبي البقاء: ''اذا دخل حرف النفي في مثل (رأيت زيداً وعمرا) فان كانت الرؤية واحدة تقول (ما رأيت زيداً وعمرا) وان كنت قد مررت بكل منهما على حدة تقول: (ما مررت بزيد ولا مررت بعمرو)''[٥٩].

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): ''واما لو كررت العامل فقلت: (ما جاءني زيد وما جاءني عمرو) فهو عند سيبويه نفي للمجيئين المنقطع احدهما عن الآخر كأن المخاطب توهم أنه حصل مجيءُ كل واحد منهما لكن منقطعا عن مجيءُ الآخر فرفعت بهذا الكلام وهمه.

وعند المازني هو أيضا نفي للاحتمالات الثلاث (كذا) كما كان من دون تكرير العامل. وهذا القول أقرب ويكون فائدة تكرير الفعل المنفي كفائدة زيادة (لا) بعد الواو واكثر''[٦٠].

---

(٥٧) كتاب سيبويه ١/ ٢١٨.

(٥٨) كتاب سيبويه ١/ ٢١٨.

(٥٩) الكليات ٤٠٨.

(٦٠) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٤٠٤.

ويبدو لي أن رأي المازني أرجح فتكرار الفعل في نحو هذا يفيد التوكيد ويفيد نفي احتمال الاجتماع في المجيء فاذا قلت : (ما حضر محمد وخالد) احتمل انك اردت نفي اجتماعهما في الحضور أي حضر احدهما ولم يحضرا كلاهما ، واحتمل أنه لم يحضر محمد ولا خالد . فاذا قلت (ما حضر محمد وما حضر خالد) نفيت ان يكون حضر أيّ واحد على أيّ حال .

وكذلك الاثبات فانك اذا قلت (حضر محمد وحضر خالد) فانه يحتمل حضورهما معا ، ويحتمل حضورهما منقطعا احدهما عن الآخر كقولك (حضر محمد وخالد) ، الا ان تكرار الفعل فيه توكيد والله اعلم.

٦- نفي النفي

من المعلوم ان نفي النفي اثبات نحو (ماما محمد قائم) والمعنى (محمد قائم) فهذا نفي للنفي وذلك ان قائلا قال : (ما محمد قائم) فرددت عليه كلامه قائلا : (ماما محمد قائم) اي ليس نفيك صحيحا .

وليس من نفي النفي قولنا (لا لم اذهب) و (لا لا أذهب) فان هذا توكيد للنفي لانقض له . وذلك ان (لا) الاولى حرف جواب نقيض نعم ، كأن يقال لك (أذهبت الى سعيد؟) فتقول : (لا لم أذهب) أو (أتذهب الى سعيد؟) فتقول (لا لا أذهب) فليس هذا نقضا للنفي بل هو توكيد له .

ومن نفي النفي قولنا : (لااريد أن لا اذهب) والمعنى أريد أن أذهب . لان قولك (اريد أن لا اذهب) معناه تريد عدم الذهاب فان نفيت هذه الارادة فقلت : (لا اريد ان لا اذهب) كان المعنى لاتريد عدم الذهاب ، ونحوه أن تقول (لا امانع ألاّ يحضر) والمعنى انك تمانع حضوره لان قولك (امانع الاّ يحضر) معناه انك تمانع عدم حضوره فهذا نفي للنفي فكان اثباتا .

وقريب من هذا ما هو نفي في المعنى نحو (ما منعك ان لا تعتذر؟) وهذا يدل على انه اعتذر فقال له سائلا : ما منعك من عدم الاعتذار؟ ذلك لان قولك (ما منعك

أن تعتذر؟) معناه انه لم يعتذر فقال له: ما منعك من الاعتذار؟ ثم نفى هذا المعنى فقال: (ما منعك ان لاتعتذر؟) أي: ما منعك من عدم الاعتذار؟

ونحوه قوله تعالى: ﴿قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ - ص ٧٥﴾ أي: ما منعك من السجود؟

واما قوله تعالى: ﴿قال ما منعك الاّ تسجد اذ أمرتك - الاعراف ١٢﴾ ف (لا) زائدة ولا بد لانها لو لم تكن زائدة لكان المعنى انه سجد فما منعه عن السجود وسيكون المعنى عند ذاك: ما منعك من عدم السجود؟ بعكس المعنى الاول وهذا باطل. وقد مرّ بحث هذا في باب الفعل فلا داعي لتكراره.

ومن هذا الضرب قولنا (ابى أن لا يحضر) والمعنى: ابى عدم الحضور، أى اراد الحضور بعكس (ابى أن يحضر) ومعناه: ابى الحضور، وليس من هذا الضرب قولنا (ابى الاّ أن يحضر) بمعنى أراد الحضور. فان هذا انتقاض للنفي ب (إلاّ) كما تقول (ما محمد الاّ شاعر) و (ما حضر الاّ خالد) وليس نفيا للنفي. والنتيجة واحدة في كليهما وهي الاثبات غير أن النقض بالا يفيد الحصر بخلاف نفي النفي فانه يفيد مجرد الاثبات بلا دلالة على القصر.

اسماء وظروف مختصة بالنفي

من الاسماء المختصة بالنفي ولا تستعمل في الايجاب (أحد) و (عَريب) و (ديّار) و (كرّاب) و (طوري) وكلها بمعنى واحد[٦١]. تقول: (ما بالدار ديّار) و (مافيها عَريب) بمعنى ما فيها احد.

وقد مرّ بحث (احد) في العدد فلا نعيده ههنا.

ومن الظروف المختصة بالنفي (قَطّ) بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة و (عَوْض) فالاولى لاستغراق الزمان الماضي، تقول: (ما رأيته قط) أي ما رأيته فيما مضى من عمري، ولا يقال: (لا اكلمه قط).

---

(٦١) انظر كتاب سيبويه ١/ ٣٠٣، شرح الرضي على الكافية ٢/ ١٦٤، الكشاف ٣/ ٢٧٣: قوله تعالى: (من الكافرين ديّارا).

والثانية لاستغراق الزمن المستقبل مثل (ابداً) الاّ انه لايستعمل في الاثبات بخلاف (ابدا) فانها تستعمل في النفي والاثبات. قال تعالى: ﴿ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم- الجمعة ٧﴾ وقال: ﴿خالدين فيها ابدا- المائدة ١١٩﴾.

واما (عَوْض) فهي مختصة بالنفي ولا تقع في الاثبات تقول: ﴿لا افعله عَوْض﴾ أي لا افعله ابدا، وهو ظرف مبني على الضم، واذا اضيف اعرب، تقول (لا افعله عوضَ العائضين) أي دهر الداهرين. ومعنى الداهر أو العائض الذي يبقى على وجه الدهر، فيكون المعنى: لاافعله مابقي في الدهر داهر أي مابقي على وجه الدهر باق.

وربما استعمل (عوض) لمجرد الزمان لا لاستغراق الزمن المستقبل وذلك كقوله:

فلولا نيل عوض في خطاى واوصالي

أي: فلولا نيلي الزمن منّي[٦٢].

وقد مرّ بحث (قط) و (عوض) في باب الظرف وحسبنا ههنا ماذكرناه الآن عنها.

الحروف المؤكدة للنفي

يؤكد النفي بحروف اشهرها الباء و (من) و (إنْ) و (لا) الزائدات فالباء نحو (ماهو بمنطلق) ونحو ﴿ولستم بآخذيه الاّ أن تُغمضوا فيه- البقرة ٢٦٧﴾.

و (من) نحو ﴿وما من اله الاّ الله- آل عمران ٦٢﴾ ونحو ﴿وما مَسنا من لغوب- ق ٣٨﴾.

و (إنْ) نحو: (ما إنْ اخوك معنا) وكقوله:

بني غدانة ما إنْ انتم ذهب ولا صريف ولكن انتم الخزف

و (لا) نحو ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن- فصلت ٣٤﴾.

وقد مر بحثها كلها في مواضعها فلا نعيد القول فيها مرة أخرى.

---

(٦٢) انظر: المغني ١/ ١٧٥، ١/ ١٠٥، الهمع ١/ ٢١٣، شرح الرضي على الكافية ٢/ ١٣٩، القاموس المحيط (دهر) ٢/ ٣٣.

الاستفهام

ادوات الاستفهام

١ – الهمزة

الهمزة اوسع ادوات الاستفهام استعمالا فهي تستعمل للتصور والتصديق.
والتصور هو ما يجاب عنه بالتعيين نحو (أمحمد عندك أم خالد؟) فتجيب (محمد) أو (خالد).

والتصديق هو ما يجاب عنه بـ (نعم) أو (لا) نحو: (أحضر القاضي؟) فتجيب بـ (نعم) أو (لا) بخلاف ادوات الاستفهام الاخرى فانها تستعمل للتصور خاصة اذ هي لا يجاب عنها بـ (نعم) أو (لا) بل بالتعيين. تقول: من حضر؟ فيقال: سعيد. وتقول: كيف اصبحت؟ فيقال: بخير. ما عدا (هل) و (أم) المنقطعة فانها تستعملان للتصديق خاصة[1]. ولا تستعملان للتصور. تقول: هل أعددت الطعام؟ فيقال: نعم. ولا يجوز أن يقال: هل محمد مسافر أم خالد؟

وقد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى اشهرها:

١ – التسوية:

نحو قوله تعالى: ﴿ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون – البقرة ٦﴾ وقوله: ﴿سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون – الاعراف ١٩٣﴾.

ولا تختص بها الهمزة الواقعة بعد كلمة (سواء) «بل كما تقع بعدها تقع بعد (ما ابالي) و (ما ادري) و (ليت شعري) ونحوهن. والضابط انها الهمزة الداخلة على

---

(١) انظر المغني ٢/ ٣٤٩، همع الهوامع ٢/ ٦٩.

جملة يصح حلول المصدر محلها نحو (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم)[٢]
ونحو: (ما ابالي أقمت أم قعدت)»[٣].

وهمزة التسوية لا يراد بها الاستفهام الحقيقي بل هي وما بعدها على معنى الخبر لا الانشاء فانك اذا قلت: (سواء عليّ أحضرت أم غبت) كان المعنى سواء عليّ حضورك وغيابك. فهي لا تستحق جوابا "لان المعنى معها ليس على الاستفهام وان الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب لانه خبر"[٤].

والذي يبدو لي ان ثمة فرقا في المعنى بين قولنا (سواء عليّ أحضرت أم غبت) و (سواء عليّ حضورك وغيابك) وأنها لا يتطابقان تماما. فان قولك (سواء عليّ أحضرت أم غبت) معناه انك لا تهتم بجواب هذا الاستفهام ولا تُعنى به فان الجواب بأحد الامرين مستوٍ عندك ونقيضه بخلاف قولك (سواء عليّ حضورك وغيابك) فانك ذكرت الاستواء على سبيل الخبر نصاً.

فما بعد همزة التسوية خبر تأولا لا نصا لانه تساوي عندك جواب الامرين. ومن هنا دخل معنى الخبر، واما الثانية فهي خبر نصا لأنها اخبار بتساوي الامرين انفسها. ونحوه قولك (لا ابالي أفاز أم خسر) أي انك لا تبالي بجواب هذا الاستفهام على اية حال كان فلا داعي للاجابة عنه.

ولا يصح وقوع (أو) بعد همزة التسوية بل لا تقع الاّ (ام)[٥] فلا تقول (سواء عليّ أحضرت أو غبت) بل لابد أن تقول (سواء عليّ أحضرت أم غبت). قال تعالى: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص – ابراهيم ٢١﴾، وذلك لان المعنى يقتضي (أم) لا (أو). وذلك ان جواب قولك: (أكَتبَ أو قرأ؟) هو: (نعم) أو (لا)، والمعنى أَفَعلَ احدهما؟
وجواب (أكَتبَ أم قرأ؟) هو التعيين، فتقول: (كتب) أو تقول: (قرأ).

---

(٢) المنافقون ٦.
(٣) المغني ١/ ١٧.
(٤) المغني ١/ ٤١.
(٥) المغني ١/ ٤٣.

وبهذا تعلم ان في قولنا (أكتب أم قرأ) أمرين متعادلين يسأل عنهما. وأما قولك (أكَتَبَ أو قرأ؟) فليس فيه امران، بل هو أمر واحد يسأل عنه أي أفَعل احدهما؟ والتسوية لا تكون الآ بين أمرين لا في امر واحد ولذا امتنع أن يساوى بـ (أو) بعد الهمزة.

٢- الانكار:

وذلك كقوله تعالى ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا - الاسراء ٤٠﴾.

والانكار الواقع بعد الهمزة على قسمين:

انكار ابطالي وهو انكار على من ادّعى وقوع الشيء والحق انه غير واقع وذلك كالآية السابقة فانهم ادّعوا أن الملائكة بنات الله فأنكر ذلك عليهم وأبطل قولهم. ونحوه قوله تعالى ﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون- الصافات ١٤٩﴾.

والثاني: الانكار التوبيخي: ويقتضي أن المخاطب فعل فعلا يستلزم توبيخه عليه وتقريعه، فالامر واقع في الانكار التوبيخي بخلاف الابطالي. ومن الانكار التوبيخي قوله تعالى: ﴿أتعبدون ما تنحتون- الصافات ٩٥﴾ ﴿أتأتون الذُّكران من العالمين- الشعراء ١٦٥﴾.

وهذان الانكاران مختصان بالهمزة.

٣- التقرير:

وهو اثبات المستفهم عنه، قيل ويختص بالوقوع بعد النفي "سواء كان بما أو لم أو ليس أو لّما"[٦]. نحو ﴿ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا- الكهف ٧٥﴾ ﴿ألم يجدك يتيما فآوى- الضحى ٦﴾ ﴿أليس الله بكاف عبده- الزمر ٣٦﴾.

وقيل لا يختص بالنفي بل يقع بعد الاثبات والنفي لان المقصود بالتقرير "حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر ثبوته أو نفيه"[٧].

---

(٦) جواهر الادب ١٤.

(٧) المغني ١/ ١٨.

فالنفي نحو ما ذكرنا ، والاثبات نحو (أضربت محمدا؟) أو (أأنت ضربته؟) اذا استقر عندك أنه الضارب.

٤- التهكم :
نحو قوله تعالى : ﴿أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا - هود ٨٧﴾.

٥- الامر:
نحو قوله تعالى : ﴿وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم - آل عمران ٢٠﴾
أي : أسلِموا.

٦- التعجّب :
وذلك نحو قوله تعالى : ﴿قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إنّ هذا لشيء عجيب - هود ٧٢﴾ وقوله : ﴿أجَعل الآلهة الهاً واحدا إنّ هذا لشيء عجاب - ص ٥﴾.

٧- الاستبطاء :
نحو قوله تعالى : ﴿ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله - الحديد ٦﴾(٨).

٨- الاستبعاد :
وذلك نحو قوله تعالى : ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون - البقرة ٧٥﴾.

٩- التحذير:
وذلك كقوله تعالى : ﴿وما محمد الآ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإنْ مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم - آل عمران ١٤٤﴾

---

(٨) انظر لهذه المعاني : المغني ١/ ١٧ - ١٨ ؛ الهمع ٢/ ٦٩ ، جواهر الادب ١٤ - ١٥ .

١٠ – التنفير :
نحو قوله تعالى : ﴿أيُحِبّ أحدكم أن يأكل لحم اخيه مَيْتاً – الحجرات ١٢﴾ .

١١ – التشكيك :
وذلك كقوله تعالى : ﴿أأُنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري – ص ٨﴾ يدلك على ذلك قوله تعالى : ﴿بل هم في شكّ من ذكري﴾ .

١٢ – التشويق :
كقوله تعالى : ﴿قل أأُنبئكم بخير من ذلكم ؟ للذين اتقوا عند ربهم جنات – آل عمران ١٥﴾ .

١٣ – النفي :
كقوله تعالى : ﴿أفَعَيِينا بالخلق الاول – ق ١٥﴾ أي لم نعيَ به . وقوله : ﴿أفإن متّ فهم الخالدون – الانبياء ٣٤﴾ ، وقوله : ﴿أنؤمن كما آمن السفهاء – البقرة ١٣﴾ أي لا نؤمن كما آمنوا .
وهي ليست للنفي المحض بل مشوبة بانكار أو تعجب ونحوه . الى غير ذلك من المعاني .

حذف الهمزة

يجوز حذف همزة الاستفهام اذا دل عليها دليل وذلك نحو قول عمر بن ابي ربيعة :

فو الله ما ادري وإنْ كنت داريا   بسبع رمين الجمر أم بثمان

أي : أبسبع رمين الجمر.
وقول الكميت :

طربت وما شوقا الى البيض اطرب   ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

أراد : أوَذو الشيب يلعب ؟[٩]

---

(٩) انظر شرح ابن يعيش ٨/ ١٥٤ ، المغني ١/ ١٤ – ١٥ .

ومنه قوله تعالى : ﴿قالوا ان لنا لأجراً إن كنّا نحن الغالبين. قال نعم وانكم لمن المقربين– الاعراف ١١٣ ، ١١٤﴾ أي : أإن لنا لأجرا.

وقد صرح بالهمزة في موطن آخر فقال : ﴿قالوا لفرعون : أإنّ لنا لأجراً إن كنّا نحن الغالبين. قال نعم وانكم اذن لمن المقربين– الشعراء ٤١ ، ٤٢﴾.

وقد تقول : ولم حذف الهمزة في آية الاعراف وذكرها في آية الشعراء؟

والجواب ان سياق كل من السورتين يقتضي ما فعل. ومن عادة القرآن في التعبير أن يرصد للسياق كل ما هو اليق به ، واليك ايضاح ذلك :

ان الموقف في سورة الشعراء موقف تحدٍّ كبير ومحاجّة شديدة طويلة أشد وأطول مما هي في سورة الاعراف فقد سأل فرعون موسى فيها عن رب العالمين وأجابه جوابا طويلا ثم رمى فرعون فيها موسى بالجنون قائلا : ﴿ان رسولكم الذي أُرسل اليكم لمجنون– الشعراء ٢٧﴾ وهدده بالسجن قائلا : ﴿لئن اتخذت الهاً غيري لاجعلنّك من المسجونين– الشعراء ٢٩﴾.

وليس الامر كذلك في سورة الاعراف.

ومن نماذج الاختلاف في التعبير بين السياقين :

١– انه قال في سورة الاعراف : ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم– ١٠٩﴾ فنسب القول الى ملأ فرعون في حين نسب هذا القول في سورة الشعراء الى فرعون نفسه ﴿قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم– ٣٤﴾.

ومن المحتمل ان كلاً منهم قال ذلك فقد قاله فرعون وملؤه ولكن نسبة القول الى فرعون نفسه في هذا الموقف دلالة على ضيق فرعون وبَرَمه بصورة اشد مما في الموقف الاول.

٢– قال في سورة الاعراف : ﴿يريد أن يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون– ١١٠﴾.

وقال في سورة الشعراء ﴿يريد أن يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون– ٣٥﴾ فزاد لفظ (بسحره).

٣- قال في سورة الاعراف ﴿يأتوك بكل ساحر عليم ١١٢﴾ بصيغة اسم الفاعل (ساحر).

وقال في سورة الشعراء: ﴿يأتوك بكل سحّار عليم- ٣٧﴾ بصيغة المبالغة (سحّار) وذلك لاحتدام الموقف وشدته وللمبالغة في الخصومة والمحاجّة.

٤- قال في سورة الاعراف: ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إنّ لنا لأجراً ان كنّا نحن الغالبين- ١١٣﴾.

وقال في الشعراء ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أإنّ لنا لأجراً إن كنّا نحن الغالبين- ٤١﴾ فلم يصرّح في الآية الاولى انهم قالوا لفرعون. وفي الثانية صرّح بأنهم قالوا لفرعون. ثم انه في الاولى حذف همزة الاستفهام وفي الثانية ذكرها (أإنّ لنا لاجرا) مما يدل على قوة الاستفهام وشدة اللهفة الى استماع الجواب من فرعون نفسه.

ولما كان المقام مقام اطالة، ومبالغة في المحاجّة جيء بهمزة الاستفهام لتشترك في الدلالة على قوة الاستفهام والتصريح به.

ففي الآية الاولى اضمر المقول له وأضمر همزة الاستفهام، وفي الثانية صرّح بالمقول له وبهمزة الاستفهام.

٥- قال في سورة الاعراف: ﴿قال نعم وانكم لمن المقربين- ١١٤﴾ وقال في سورة الشعراء: ﴿قال نعم وانكم اذن لمن المقربين- ٤٢﴾، باضافة (اذن) الى الجواب وهي اضافة مناسبة للجو والسياق.

٦- قال في سورة الشعراء: ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون- ٤٤﴾ فأقسموا بعزّة فرعون وهو ما لم يذكر في الاعراف وذلك لان الموقف اعزاز لفرعون صراحة. فأنت ترى أنّ كل لفظة في سياقها تسهم في تصوير الجو المناسب للموقف.

٧- قال في سورة الاعراف: ﴿ان هذا لَمكرٌ مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون ١٢٣﴾.

وقال في سورة الشعراء : ﴿انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون- ٤٩﴾ بزيادة اللام على سوف (فلسوف) زيادة في التوكيد. وهي نظيرة ذكر الهمزة ههنا وحذفها ثَم.

٨- قال في سورة الاعراف : ﴿قالوا إنّا الى ربنا متقلبون- ١٢٥﴾ وقال في سورة الشعراء : ﴿قالوا لا ضير إنّا الى ربنا متقلبون- ٥٠﴾ بزيادة (لا ضير) زيادة في التبكيت وعدم الاهتمام بعذاب فرعون. وهذه الزيادة تناسب الجو والسياق.

هذه نماذج من الفروق بين السياقين. فأنت ترى أن ذكر الهمزة في آية الشعراء هو المناسب لسياقها، وحذفها من الاعراف هو المناسب لسياقها. فسياق الشعراء سياق اطالة وتحدّ ومحاجّة ومبالغة في الخصومة اكثر ممّا هو في الاعراف فرصد لكل سياق ما يناسبه من الالفاظ.

٢- هل

هي مختصة بالتصديق فيجاب عنها بنعم أو لا كما سبق ذكر ذلك. وتخرج (هل) عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى أشهرها :

١- الامر نحو قوله تعالى : ﴿فهل انتم منتهون- المائدة ٩١﴾ أي انتهُوا.

والامر هنا ليس امرا محضا بل هو أمر مصحوب باستفهام، أي : ألا يكفي ذلك لان تنتهوا، ففيه تهييج للانتهاء. ونحو: ﴿فهل انتم مسلمون- هود ١٤﴾.

٢- التمني :

نحو ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا- الاعراف ٥٣﴾ ﴿فهل الى خروج من سبيل- غافر ١١﴾.

٣- العرض :

نحو قوله تعالى : ﴿قال هل انتم مطّلعون. فاطّلع فرآه في سواء الجحيم- الصافات ٥٤، ٥٥﴾ بمعنى : ألا تطّلعون. ونحو ﴿هل لك الى أن تزكّىٰ- النازعات ١٨﴾ ونحو ﴿هل أتبعك على أن تعلّمني ممّا عُلّمت رشدا- الكهف ٦٦﴾.

٤ – التشويق :

نحو ﴿هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم – الصف ١٠﴾ .

٥ – التعليم والارشاد :

نحو ﴿قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا – الكهف ١٠٣ ، ١٠٤﴾ .

٦ – التبكيت :

نحو ﴿ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا – الاعراف ٤٤﴾ ، ونحو: ﴿فلينظر هل يذهبنّ كيده ما يغيظ – الحج ١٥﴾ .

٧ – الالزام :

نحو ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا – الانعام ١٤٨﴾ ، ونحو ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم – فاطر ٣﴾ .

٨ – النفي :

نحو ﴿هل كنت الاّ بشرا رسولا – الاسراء ٩٣﴾ ، ﴿هل جزاء الاحسان الاّ الاحسان – الرحمن ٦٠﴾ .

وسنتكلم على النفي بـ (هل) عمّا قريب .

٩ – التهويل والتعظيم :

نحو ﴿هل اتاك حديث الغاشية – الغاشية ١﴾ و﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد – ق ٣٠﴾ .

١٠- التحذير:

نحو ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطّعوا أرحامكم- محمد ٢٢﴾ ونحو ﴿قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا- البقرة ٢٤٦﴾.

١١- بمعنى قد:

نحو قوله تعالى: ﴿هل اتى على الانسان حين من الدهر- الانسان ١﴾.

وسنتكلم على هذا المعنى بعد قليل.

الى غير ذلك من المعاني.

ونود أن نذكر هنا أن هذه المعاني ليست معاني مجردة من الاستفهام، بل يشوبها كلها معنى الاستفهام. فالتمني والنفي والامر وغير ذلك من المعاني مشوبة بالاستفهام فلا تكون للنفي المجرد أو الامر المجرد أو التمني المجرد. وسنعرض لبعض المعاني موضحين الفرق بين المعنى الاصلي والمعنى المشوب باستفهام.

هل والهمزة

تفترق (هل) عن الهمزة من وجوه اهمها:

١- اختصاصها بالتصديق في حين ان الهمزة تكون للتصور والتصديق. وعلى هذا لاتأتي (أم) المعادلة مع (هل) بخلاف الهمزة فلا تقول (هل محمد مسافر أم خالد؟) بل (أمحمد مسافر أم خالد؟).

٢- اختصاصها بالاثبات فلا تدخل على النفي تقول: (هل حضر اخوك؟) و(هل اخوك مسافر؟) ويمتنع أن تقول (هل لم يحضر أخوك؟) و(هل ليس اخوك حاضرا؟) بخلاف الهمزة. قال تعالى ﴿الم أقل لكم إني اعلم غيب السماوات والارض- البقرة ٣٣﴾، قال: ﴿أليس منكم رجل رشيد- هود ٧٨﴾ وقال ﴿ألن يكفيكم أن يُمدكم ربكم- آل عمران ١٤٢﴾ وقال: ﴿الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير- الملك ١٤﴾.

٣- تخصيصها الفعل المضارع بالاستقبال نحو (هل تسافر؟). ويمتنع أن تقول: (هل يقرأ الآن؟) و (هل تظنه قائما؟) لان ذلك للحال بخلاف الهمزة فانها تكون للحال والاستقبال تقول (أيكتب الآن؟) و (أتظنه قائما؟) و (أيسافر غدا؟).

٤- انها لا تدخل على الشرط فلا تقول (هل إن سافر سافرت معه؟) بخلاف الهمزة فانه يصح أن تقول (أإن سافر سافرت معه؟) قال تعالى: ﴿أفإن مات أو قُتل انقلبتم على اعقابكم - آل عمران ١٤٤﴾ وقال ﴿أإذا كنّا ترابا أإنّا لفي خلق جديد - الرعد ٥﴾ وقال ﴿أإن ذُكّرتم بل انتم قوم مسرفون - يس ١٩﴾.

٥- انها لا تدخل على (انّ) فلا تقول (هل انه شاعر؟) بخلاف الهمزة. قال تعالى: ﴿أإنك لأنت يوسف - يوسف ٩٠﴾ وقال: ﴿أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى - الانعام ١٨﴾.

٦- انها لا تدخل على اسم بعده فعل اختياراً فلا تقول (هل خالد يرجع؟) ولا (هل خالداً اكرمت؟) بخلاف الهمزة. قال تعالى: ﴿قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون - يونس ٥٩﴾، وقال: ﴿أفأنت تُسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون - يونس ١٢﴾ وقال ﴿أفغير دين الله يبغون - آل عمران ١٨٣﴾.

٧- انها تقع بعد العاطف لاقبله تقول (وهل) أو (فهل) أو (ثم هل). قال تعالى: ﴿فهل ينتظرون الاّ مثل ايام الذين خلوا من قبلهم - يونس ١٠٢﴾ بخلاف الهمزة فانها تقع قبل العاطف. قال تعالى: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم - البقرة ٧٥﴾ وقال: ﴿أَوَلو كان آباؤكم لا يعلمون شيئا - المائدة ١٠٤﴾ وقال: ﴿أثم اذا ما وقع آمنتم به - يونس ٥١﴾.

٨- انها تأتي نافية ولذلك تقع بعدها (الاّ). قال تعالى: ﴿هل ينظرون إلاّ تأويله - الاعراف ٥٣﴾ أي ماينظرون الا تأويله: وقال: ﴿هل يُهلَك الاّ القوم الظالمون - الانعام ٤٧﴾ و ﴿هل جزاء الاحسان الاّ الاحسان - الرحمن ٦٠﴾ أي: ما جزاء الاحسان الاّ الاحسان، بخلاف الهمزة فانها لاتأتي لهذا المعنى فلايقال (أحضر الاّ محمد).

النفي بـ (هل):

وههنا مسألة جديرة بالبحث وهي: هل تكون (هل) حرف نفي كبقية ادوات النفي؟ وهل قوله تعالى: ﴿هل جزاء الاحسان الاّ الاحسان﴾ مماثل لقولنا (ماجزاء الاحسان الاّ الاحسان) انمحى فيه عن (هل) معنى الاستفهام واصبحت الجملة خبرا؟

الذي يبدو راجحا أن معنى النفي المستفاد من (هل) لايطابق النفي بحرف النفي بل المعنى مختلف من جهتين:

الاولى: ان النفي بـ (هل) ليس نفيا محضا بل هو استفهام اشرب معنى النفي فقد يكون مع النفي تعجب أو استنكار أو غير ذلك من المعاني. فقوله تعالى مثلا: ﴿قل هل تَربّصون بنا الاّ احدى الحسنيين - التوبة ٥٢﴾ يختلف عن قولنا (ماتربصون بنا الاّ احدى الحسنيين) فان الاولى ليست نفيا خالصا فان فيها من التحدي والاستخفاف ما لايؤديه النفي المحض. ونحوه قوله تعالى رداً على طلب الكفار حين طلبوا من الرسول أن يفجّر لهم من الارض ينبوعا أو يسقط السماء كسفا أو أن يأتي بالله والملائكة وما الى ذلك. فقال ﴿قل سبحان ربي هل كنت الاّ بشرا رسولا - الاسراء ٩٣﴾ فأنت ترى أن المعنى مختلف عن النفي المحض. وأنه لو جاء بالنفي فقال (قل سبحان ربي ما كنت الاّ بشرا رسولا) ما كان يؤدي ما اداه الاستفهام من استنكار قولهم والتعجب من طلبهم، فهو يسألهم (هل كنت الاّ بشرا رسولا) وسيكون الجواب حتما (لا لست الاّ بشرا) ومن هنا يكون التعجب والاستنكار وهو أنه اذا كنتم تعلمون اني بشر فكيف تطلبون مني مثل هذا؟

ونحوه قوله تعالى: ﴿فهل ينتظرون الاّ مثل ايام الذين خلوا من قبلهم - يونس ١٠٢﴾ فهو يختلف عن قولنا (فما ينتظرون الاّ مثل ايام الذين خلوا من قبلهم).

فأنت ترى أن النفي بطريق الاستفهام ليس نفيا محضا بل هو مشوب بمعان أخرى لايؤديها النفي المحض.

والجهة الثانية : ان النفي الصريح انما هو اقرار من المخبر فاذا قال : (ما جزاء الاحسان الاّ الاحسان) أو قال (ما على الرسول الاّ البلاغ) كان هذا إخباراً من المتكلم. اما اذا قال ذلك بطريق الاستفهام فان المقصود اشراك المخاطب في الامر، فهو يريد الجواب منه. فاذا قال مثلا (هل على الرسول الاّ البلاغ) كان المخاطب مدعوّاً لأن يجيب، وسيكون جوابه المنتظر: لا ليس على الرسول الاّ البلاغ.

واذا قال (هل جزاء الاحسان الاّ الاحسان) كان المخاطب مدعوّاً لأن يجيب، وسيكون جوابه : لا ، ما جزاء الاحسان الاّ الاحسان.

فالنفي ابتداءً يفيد أن المتكلم يقول الامر من نفسه ، واما في الاستفهام فانه يدع ذلك للمخاطب ليقوله.

ونحو هذا قوله تعالى : ﴿وهل نجازي الاّ الكفور– سبأ ١٧﴾ فان عرض المسألة بصيغة النفي معناه ان المتكلم يقررها ابتداء. وان عرضها بصورة الاستفهام معناه ان المخاطب هو الذي يصدر الحكم. فاذا قلت مثلا (مانعاقب الاّ المعتدي) كنت انت الذي ذكرت الامر وقررته بنفسك ، ولكن اذا قلت (هل يعاقَب الاّ المعتدي؟) فأنت تريد منه الجواب ، تريد منه أن يصدر الحكم على نفسه هو، فهناك فرق واضح بين الامرين.

٩– انها تأتي بمعنى (قد) بخلاف الهمزة وجعلوا منه قوله تعالى : ﴿هل اتى على الانسان حين من الدهر– الانسان ١﴾[١٠].

وقد اختلفوا في تقريرها هذا المعنى.

فقد ذكر سيبويه انها بمنزلة (قد) قال : "وكذلك (هل) انما تكون بمنزلة (قد) ولكنهم تركوا الالف اذ كانت (هل) لاتقع الاّ في الاستفهام"[١١]. يعني ان اصل الاستعمال (أهل) ولكنهم تركوا الف الاستفهام لأن (هل) لاتقع الاّ في الاستفهام.

---

(١٠) انظر لهذه المعاني مغني اللبيب ٢/٣٤٩-٣٥٢، الهمع ٢/٧٧-٧٨، شرح الرضي على الكافية ٢/ ٤٣٠-٤٣٢، جواهر الادب ١٦٨، الايضاح للقزويني ١٣٢ شرح المختصر للتفتازاني ٩١.

(١١) كتاب سيبويه ١/٤٩٢.

وذهب الزمخشري الى انها بمعنى (قد) على معنى التقرير والتقريب جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿هل اتى على الانسان حين من الدهر﴾ : "(هل) بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة والاصل (أهل) بدليل قوله:

أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم

فالمعنى (أقد) على التقرير والتقريب جميعا، أي أتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر"[١٢].

وذهب بعضهم الى أنها بمعنى (قد) على معنى التحقيق، وقال بعضهم: معناها التوقع.

وذهب آخرون الى أنها لاتأتي بمعنى (قد) أصلا[١٣].

قال ابن هشام: "وهذا هو الصواب عندي"[١٤].

وهذا هو الصواب فيما أحسب فانها ليست بمعنى (قد) تماما بل هي لاتزال استفهامية فلا يصح ان نبدلها ب (قد) وأن نبدل (قد) بها فلا يصح أن نقول مثلا في قوله تعالى ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك – المجادلة ١﴾ هل سمع الله قول التي تجادلك، ولا في ﴿رَبِّ قد آتيتني من الملك – يوسف ١٠١﴾ (رب هل آتيتني من الملك). ولكنها قد تخرج الى معنى قريب من الاخبار.

ان المقصود من امثال هذا التعبير اشراك المخاطب في الامر ليقرر ويجيب بنفسه في حين لو ذكره بصورة الخبر لكان إخباراً من قبل المتكلم نفسه، فقوله تعالى ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾ يشرك المخاطبين في الامر ويطلب منهم الاجابة عن هذا السؤال ولو أجابوا لقالوا: نعم اتى ذلك على الانسان. فالفرق بين (قد أتى على الانسان حين من الدهر) و (هل أتى على الانسان حين من الدهر) ان المتكلم في الاولى قرر هذا الامر ابتداء وأخبر به. وفي الثانية عرضه بصيغة السؤال

---

(١٢) الكشاف ٣/٢٩٥.

(١٣) المغني ٢/٣٥٢.

(١٤) المغني ٢/٣٥٢.

يقرره المخاطب بنفسه. فبدل ان يقولها المتكلم ابتداء يكون المخاطب مشاركا في اصدار الحكم.

ونحو هذا ان تقول لمخاطبك (هل اكرمتك يافلان؟ هل اعطيتك ماوعدتك؟) فيقول: نعم قد اكرمتني واعطيتني. فبدل ان تقول وانت كنت فعلت ذلك له، ذلك بصورة الخبر تقولها مستفهما لتسمع الجواب منه فيكون ابلغ في التقرير والاحتجاج.

وهذا الضرب من التعبير شبيه بما مّر من مجيْ (هل) نافية فالمتكلم ثم يجيب بالسلب وههنا يجيب بالايجاب.

١٠ - ان الهمزة تكون للانكار بخلاف (هل). وقد مر بنا هذا في باب الهمزة وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أتعبدون ماتنحتون﴾ - الصافات ٩٥ وكقوله لمن ضرب اخاه: أتضربه وهو اخوك؟ فليس القصد هو الاستفهام الحقيقي بل المقصود توبيخ المخاطب على فعله والانكار عليه. فهذا الضرب من الاستفهام مخصوص بالهمزة ولايصح بـ (هل).

جاء في (المغني): "وقد يكون الانكار مقتضيا لوقوع الفعل... وذلك اذا كان بمعنى: ماكان ينبغي لك أن تفعل نحو: أتضرب زيداً وهو اخوك؟"[15] وذكر ان هذا النوع من الانكار مختص بالهمزة.

وقال سيبويه: "وذاك ان (هل) ليست بمنزلة الف الاستفهام لانك اذا قلت (هل تضرب زيدا) فلايكون أن تدّعي أن الضرب واقع. وقد تقول: (أتضرب زيدا) فأنت تدّعي أن الضرب واقع. ومما يدلك على أن الالف ليست بمنزلتها انك تقول:

أَطَرباً وانت قنسريّ

فقد علمت أنه قد طرب ولكن قلت لتوبخه أو تقرره ولاتقول هذا بعد (هل)"[16].

---

(١٥) المغني ٣٥١/٢.

(١٦) كتاب سيبويه ٤٨٥/١ - ٤٨٦.

فهو يبين انك اذا قلت (أتضرب زيداً؟) فمعناه أن الضرب واقع وأنت تنكر عليه ضربه. ونحوه قوله (اطربا وانت قنسري) فالشاعر ينكر عليه طربه، وذلك يقتضي أنه طرب فأنكر عليه طربه. ثم ذكر أن ذلك لايكون ب (هل).

فالفرق بين قولك (أتضرب محمدا؟) و (هل تضرب محمدا؟) ان الضرب في الاولى واقع وأنت تنكر عليه ضربه له، واما الثانية فهي استفهام محض أي: (أستضرب محمدا؟) ولايدل على أن الضرب واقع.

١١ – وهناك فارق آخر بين الهمزة و (هل)، فقد ذُكر أنه يستفهم بالهمزة اذا هجس في النفس اثبات مايستفهم عنه بخلاف (هل) فانه لاترجح عنده بنفي ولا اثبات" فاذا قلت: (أعندك زيد؟) فقد هجس في نفسك انه عندك فأردت ان تستثبته بخلاف (هل)"[١٧].

واذا سبق الى ظنك أن خالدا حضر وأردت أن تستوثق من ظنك قلت: أحضر خالد؟ واذا لم يقع في نفسك شيء وانما اردت الاستفهام المجرد قلت: هل حضر خالد؟

وقد المح سيبويه الى أن الاستفهام بالهمزة انما يكون لما توقع فيه الاثبات بخلاف (هل) فانها ليست كذلك.

قال سيبويه في (باب الحروف التي لايليها الاّ الفعل) "فمن تلك الحروف (قد) لايفصل بينها وبين الفعل بغيره وهو جواب لقوله (أفعل؟) كما كانت (مافعل) جوابا ل (هل فعل) اذا اخبرت أنه لم يقع.

ولمّا يفعل وقد فعل انما هما لقوم ينتظرون شيئا"[١٨].

فذكر أن (أفَعل؟) جوابه (قد فعل) و (قد) للتوقع والانتظار. ومعنى ذلك ان السائل كان يتوقع حصول الشيء فجاء الجواب ب (قد) بخلاف (هل). فاذا قلت: (اكتب خالد في هذا الامر؟) فان السائل كان يتوقع أنه كتب أو هجس في نفسه ذلك، وجوابه اذا كان ايجابا (نعم قد كتب) واذا قلت: (هل كتب خالد في هذا

---

(١٧) البرهان ٤/٤٣٣، ٢/٣٤٨.

(١٨) كتاب سيبويه ١/٤٥٨ – ٤٥٩.

الامر؟) فان السائل لم يكن يتوقع أنه كتب، بل ربما كان عدم الكتابة اقرب الى ذهنه. وذكر برجشتراسر ان (هل) تشير الى أن السائل كان يتوقع الجواب بالنفي.

جاء في (التطور النحوي): "فأدوات الاستفهام عن الجملة العربية اثنتان: (هل) والهمزة، ولاتوجدان في غير العربية من اللغات السامية الآ ان ha في العبرية والارامية العتيقة تقارب الهمزة العربية، والهمزة هي المألوفة الكثيرة الاستعمال، و (هل) اشد قوة في الاستفهام وقد ترمز الى أن السائل يتوقع الجواب بـ (لا)، ولذلك قد تقع بعدها (من) الخاصة بالسلب مثاله من القرآن الكريم (هل من مزيد) فكأن معناها: ما من مزيد. فتقارب هل لـ nam اللاتينية التي لايستفهم بها الآ اذا توقع السائل النفي نحو venitre أي أجاء يعني لاأعرف أجاء أم لم يجئ و namvenil أي هل جاء؟ يعني: اظن أنه لم يجئ وان كان على ضد ذلك فخالفني" (١٩).

والذي يبدو أن الكثير في جواب (هل) أن يكون لما يتوقع أن يجاب بالنفي وليس ذلك على سبيل الاطلاق، قال تعالى: ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير- الانعام ٥٠﴾ والجواب متوقع أن يكون بالنفي. وقال: ﴿هل عندكم من علم فتُخرجوه لنا- الانعام ١٤٨﴾ وقال: ﴿نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد- التوبة ١٢٧﴾ وقال: ﴿مَثَل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا- هود ٢٤﴾ وقال: ﴿فهل انتم مغنونَ عنّا من عذاب الله من شيء- ابراهيم ٢١﴾ وقال: ﴿هل تعلم له سميّا- مريم ٦٥﴾ وقال: ﴿هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء- الروم ٤٠﴾ وقال ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم- فاطر ٣﴾ وقال ﴿فهل ترى لهم من باقية- الحاقة ٨﴾ وكلها مما يتوقع جوابه بالنفي.

الآ أنه قد يكون السائل بها لايتوقع الجواب بالنفي وذلك نحو قوله تعالى ﴿هل أتبعك على أن تعلّمني مما عُلّمت رشدا- الكهف ٦٦﴾ وقوله: ﴿هل ادلكم على من يكفله- طه ٤٠﴾ وقوله ﴿وقيل للناس هل انتم مجتمعون- الشعراء ٣٩﴾. ويمكن أن يقال في كل ذلك إنه خرج عن الاستفهام الحقيقي الى العرض.

---

(١٩) التطور النحوي ١٠٩.

وعلى اية حال فان كثيراً من جواب (هل) لما يتوقع جوابه بالنفي بخلاف الهمزة فان الاصل فيها أن يكون لما توقع حصوله.

١٢ - ان (هل) اقوى وآكد من الهمزة وقد ذكر ذلك برجشتراسر قال: "وهل اشد قوة في الاستفهام"[٢٠].

وهذا صحيح يدل على ذلك اقترانها بـ (من) الزائدة المؤكدة الدالة على الاستغراق نحو: ﴿فهل من مدّكر - القمر ١٧﴾ ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم - فاطر ٣﴾ بخلاف الهمزة فانها لاتقترن بها.

ويشهد لذلك الاستعمال القرآني:

قال تعالى: ﴿أفأنبئكم بشّر من ذلكم؟ النار وعدها الله الذين كفروا - الحج ٧٢﴾.

وقال: ﴿هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله - المائدة ٦٠﴾.

وقال: ﴿هل انبئكم على من تَنزّلُ الشياطين. تَنزّلُ على كل أفاّك اثيم - الشعراء ٢٢١، ٢٢٢﴾.

وقال: ﴿قل هل ننبّئكم بالاخسرين اعمالا - الكهف ١٠٣﴾.

فاستعمل الهمزة و(هل) مع الفعل (نبأ). وعند النظر في الاستعمالين نرى أن (هل) اقوى وآكد في الاستفهام من الهمزة ويبين ذلك السياق.

قال تعالى: ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشرّ من ذلكم؟ النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير - الحج ٧٢﴾.

فاستعمل الهمزة.

وقال: ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزواً ولعبا من الذين اوتو الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين. واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لايعقلون. قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الاّ أن آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وأن

---

(٢٠) التطور النحوي ١٠٩.

اكثركم فاسقون. قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله؟ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل... - المائدة ٥٧ - ٦٠﴾ وما بعدها.

فاستعمل هل.

والفرق واضح بين السياقين فأنت ترى أن في السياق الثاني قوة وتبكيتا لاتجده فيما قبله فذكر أن الكفار اتخذوا الدين والنداء والصلاة هزوا ولعبا، وقد وصفهم بالفسق وعدم العقل، وانهم لعنهم الله وغضب عليهم ومسخ منهم قردة وخنازير وأنهم عبدوا الطواغيت، ثم قال (اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل). ويمضي في تبكيتهم ووصفهم بأقبح الوصف.

وليس الامر كذلك في الآية التي قبلها ولذا جاء في الاولى بالهمزة (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم؟) وفي الثانية ب (هل) (قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله؟).

ونحوه ما جاء في آية الشعراء: ﴿وما تنزّلت به الشياطين. وما ينبغي لهم وما يستطيعون. إنهم عن السمع لمعزولون - ٢١٠ - ٢١٢﴾ الى أن يقول: ﴿هل أنبئكم على من تَنزّل الشياطين. تَنزّل على كل افاك اثيم يُلقون السمع واكثرهم كاذبون - ٢٢١ - ٢٢٣﴾.

فأنت ترى في السياق قوة وشدة بالغة في الرد على الكفرة المفترين فاستعمل لذلك هل.

ونحوه ما جاء في سورة الكهف فقد قال: ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا. الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لايستطيعون سمعا. أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني اولياء إنّا اعتدنا جهنم للكافرين نُزلا، قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا. ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا - الكهف ١٠٠ - ١٠٦﴾.

فان قوة التبكيت وشدة التقريع واضحة في السياق فاستعمل لذلك (هل) ولم يستعمل الهمزة.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم — الصف ١٠-١٣﴾ فان فيها من شدة التشويق والرحمة بالمؤمنين والاخذ بيدهم ما ليس في حاجة الى بيان.

ونحوه قوله تعالى على لسان اخت موسى: ﴿هل ادلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون — القصص ١٢﴾ فان فيها من اللهفة في العرض ما لا يخفى. فدل ذلك على ان (هل) أقوى من الهمزة والله اعلم.

أم وأو:

مر هذا البحث في باب العطف وسنذكر منه الآن بصورة موجزة ما يتعلق بالاستفهام. تقول: (أمحمد عندك أم خالد؟) والجواب يكون بالتعيين فتقول (محمد)، أو تقول: (خالد). وتقول: (أمحمد عندك أو خالد؟) فتجيب بـ (نعم) أو (لا)، والمعنى: أعندك احدهما؟

ومن هنا يتبين أنه لا يجوز استعمال (أم) المعادلة بعد (هل) لانها لا تستعمل للتصور بخلاف (أو) فانه يجوز استعمالها بعدها وبعد الهمزة. قال تعالى: ﴿هل تُحسّ منهم من احد أو تسمع لهم ركزاً — مريم ٩٨﴾ والجواب: (لا). وقال: ﴿هل ينصرونكم أو ينتصرون — الشعراء ٩٣﴾ والجواب: (لا).

جاء في (كتاب سيبويه): "تقول: ألقيت زيداً أو عمراً أو خالداً؟) أو تقول: (أعندك زيد أو خالد أو عمرو؟) كأنك قلت: أعندك احد من هؤلاء وذلك لانك لما قلت: أعندك أحد هؤلاء لم تدّع أن احداً منهم ثَم ألا ترى أنه اذا أجابك قال: (لا) كما يقول إذا قلت: أعندك احد من هؤلاء...

فإذا قلت: (أزيد أفضل أم خالد؟) لم يجز ههنا الآ (أم) لانك انما تسأل عن

صاحب الفضل ، الا ترى أنك لو قلت : (أزيد أفضل) لم يجز كما يجوز: (أضربت زيداً؟) فذلك يدلك ان معناه : (أيها)" [٢١] .

و(أم) خاصة بالعربية ابتدعتها لهذا المعنى بخلاف (أو) كما ذكر برجشتراسر[٢٢] .

ومن الاستعمالات المختلفة بين (أم) و (أو) قولك (مادري أأكل أم شرب) و (مادري أأكل أو شرب) فان المعنى الاولى انك لاتدري أيها فعل ، واما الثانية فمعناها انك لاترى فرقاً بين أكله وشربه . والمعنى انه اكل وشرب لكنه لم يستكمل واحداً منها فلا يصحّ أن يُعَدّ اكله أكلا ولا شربه شرباً .

جاء في (الكتاب) : "وتقول (ماأدري أقام أم قعد) اذا أردت : مادري أيّ ذاك كان . وتقول (مادري اقام أو قعد) اذا أردت أنه لم يكن بين قيامه وقعوده شيء كأنه قال : لا أدّعي أنه كان منه في تلك الحال قيام ولاقعود أي لم أعدّ قيامه قياماً ولم يستبن لي قعوده بعد قيامه . وهو كقوله الرجل : (تكلّم ولم يتكلّم)" [٢٣] .

ومنه قولهم : (مادري أأذن أو أقام) (ومادري أأذن أم أقام) فإذا قالها ب (أو) كان معناه انه فعلها ولم يستكمل واحداً منها واذا قالها ب (أم) فانك لاتدري ماذا فعل [٢٤] .

واما (أم) المنقطعة فتقع بعد (هل) نحو قوله تعالى ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ــ الرعد١٦﴾ ومعناها ههنا (بل) وقد مرّ بحثها في باب العطف فلا داعي لاعادته .

٣ ــ أم

ونعني بها ههنا (أم) المنقطعة وقد مرت في باب العطف وسنوجز القول فيها هنا .

(أم) المنقطعة تفيد الاضراب على اية حال ، ثم هي قد تتجرد له وذلك نحو قوله تعالى : ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ــ الرعد١٦﴾ والمعنى : بل هل تستوي الظلمات والنور.

(٢١) كتاب سيبويه ١/٤٨٧ .

(٢٢) التطور النحوي ١٠٩-١١٠ .

(٢٣) كتاب سيبويه ١/٤٨٣ .

(٢٤) انظر الخصائص ٢/١٦٩ ، ٢/٢٦٦-٢٦٧ .

وقد تتضمن معه استفهاماً فتكون بمعنى (بل) والهمزة[٢٥] ، وهذه التي تعنينا هنا. ومن هذا الضرب قوله تعالى ﴿أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون— الطور٣٧﴾ والمعنى: بل أعندهم خزائن ربك. وقوله: ﴿أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة— القلم٣٩﴾ والمعنى: بل ألكم أيمان علينا.

وقد يكون الاستفهام بها حقيقاً وذلك كقولك (هذا المنطلق احمد أم هو ابراهيم؟) فقد ذكرت اولا انه احمد غير شاك في ذلك وقد بنيت كلامك على اليقين ثم ادركك الشك فأضربت عن كلامك الاول وسألت: بل أهو ابراهيم؟

وقد يكون الاستفهام بها غير حقيقي فيراد به الانكار والتوبيخ ونحوهما وذلك نحو قوله تعالى ﴿أم له البنات ولكم البنون— الطور٣٩﴾ وقوله: ﴿ام عندهم الغيب فهم يكتبون— الطور٤١﴾.

وللزومها معنى الاضراب لاتكون في اول الكلام مثل بقية ادوات الاستفهام بل لابد أن يسبقها كلام فلا تقول ابتداء (أم أنت فقير) ولا (أم فعل هذا)، بل لابد أن يكون المتكلم ابتدأ بشيء ثم اضرب عنه الى شيء آخر وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين. ومالكم كيف تحكمون. أم لكم كتاب فيه تدرسون— القلم٣٥-٣٧﴾.

٤ - أنّى

لها معنيان:

المعنى الاول ان تكون بمعنى (من اين) وذلك نحو قوله تعالى ﴿قال يامريم أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله— آل عمران٣٧﴾ أي: من اين لك هذا؟ وقوله ﴿أولما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم— آل عمران١٦٥﴾ والمعنى: من أين هذا؟ ولذلك كان الجواب: هو من عند انفسكم.

---

(٢٥) انظر المغني ١/٤٤-٤٥.

والمعنى الآخر أن تكون بمعنى (كيف) وذلك نحو قوله تعالى ﴿قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها ـــ البقرة ٢٥٩﴾ والمعنى : كيف يحييها بعد موتها . وقوله : ﴿قال ربّ أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ـــ آل عمران ١٤٠﴾ والمعنى : كيف يكون لي غلام وهذه حالي؟ .

وهي تختلف عن (من اين) و (كيف) لانها لاشتراكها في اكثر من معنى قد تحتمل عدة معان في آن واحد ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين. ثم تَولّوا عنه وقالوا معلّم مجنون ـــ الدخان ١٣-١٤﴾ فانها تحتمل ان يراد بها (من اين لهم الذكرى) وتحتمل أن يراد (كيف لهم الذكرى) أي كيف لهم ان يتذكروا؟ استبعاداً لحالتهم عن التذكر، واحسب ان المعنيين مرادان فإنه يراد السؤال عن الموضع الذي تأتي منه الذكرى ، وعن حالتهم التي هم فيها ، وكلاهما استفهام غير حقيقي . ولو قال (من اين لهم الذكرى) أو (كيف لهم الذكرى) لأدّى ذلك معنى واحداً فجاء بـ (أنّى) ليجمع المعنيين معا .

وهي كذلك في غير الاستفهام فقد قالوا في قوله تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم أنّى شئتم ـــ البقرة ٢٢٣﴾ انه يحتمل عدة معان ، فقد يحتمل أن المراد : من أين شئتم وكيف شئتم ، ومتى شئتم[٢٦] .

والمراد والله اعلم جميع هذه المعاني فلك أن تأتي امرأتك من أين شئت وكيف شئت ومتى شئت مادام ذلك لايخالف شرع الله .

فالغرض من العدول الى (أنّى) توسيع المعنى وزيادته فبدل ان يكرر عدة تعبيرات لافادة هذه المعاني جميعها جمعها بلفظ واحد والله اعلم .

ويبدو لي أنها تختلف عن (كيف) و (اين) من ناحية أخرى هي القوة في الاستفهام ، وبناؤها اللغوي يوحي بذلك فالتشديد الذي فيها والمدة الطويلة في آخرها يرجحان ذلك ، وقد لوحظ في كثير من الالفاظ في العربية ان بناءها اللغوي مشاكل لمعناها وذلك كما مر في (من) و (ما) و (لن) و (لا) . فـ (من) مقيدة و

---

(٢٦) الكليات لابي البقاء ٣٢٨/١ طبعة دمشق/ ٩٧٤ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي

(ما) مطلقة وقد عرفنا أن (ما) أوسع استعمالا من (من) لان (من) تكاد تكون مختصة بالعقلاء و (ما) تكون لغير العقلاء ولصفات من يعقل كما مر تقرير ذلك. و (لن) مقيدة و (لا) مطلقة وقد عرفنا أن (لا) اطول زمنا من (لن). و (أنّى) في آخرها مدة طويلة بخلاف (اين) و (كيف) وقد عرفنا أنها اوسع استعمالا منها فهي تجمع معنييها وربما زادت على ذلك معنى (متى) أو غيره. وهي اقوى استفهاما منها فان في قوله تعالى ﴿أنّى لك هذا﴾ من العجب ما ليس في قولنا (من أين لك هذا) وفي قوله تعالى (أنّى يكون لي غلام) من التعجب ماليس في (كيف). وعلى هذا فهي تختلف عن (من أين) و (كيف) من ناحيتين هما:

١ – السعة في ادائها المعنى.

٢ – القوة في الاستفهام.

والله اعلم.

٥ – أيـن

للسؤال عن المكان سواء كان استفهاماً حقيقياً نحو (اين اخوك؟) ام مجازياً وذلك نحو قوله تعالى ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون— القصص ٧٤﴾ فانه لايسأل عن مكانهم حقيقة وانما هو لتبكيتهم.

٦ – أيّ

وهي بحسب ماتضاف اليه فان اضيفت الى مكان كانت مكاناً وان اضيفت الى زمان كانت زماناً وان اضيفت الى غيرهما كانت بحسب ما اضيفت اليه وذلك نحو قوله تعالى ﴿أيكم زادته هذه ايماناً— التوبة ١٢٤﴾ وقوله ﴿وما تدري نفس بأيّ ارض تموت— لقمان ٣٤﴾ وقوله ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلَب ينقلبون— الشعراء ٢٢٧﴾ ونحو (أيّ يوم سافر خالد) وما الى ذلك.

٧ – أيّـان

يسأل بها عن الزمان المستقبل بمعنى (متى) غير أن (متى) تستعمل للماضي والمستقبل، وأيان تختص بالاستقبال[٢٧]. يقال: متى قدمت؟ ولا يقال أيان قدمت؟

---

(٢٧) انظر شرح الرضي ٢/ ١٣٠، كليات ابي البقاء ٩٠.

وأيان لاتستعمل الاّ للتفخيم والتعظيم. جاء في (شرح ابن يعيش): "وأيان لاتستعمل الاّ فيما يراد تفخيم أمره وتعظيمه نحو قوله تعالى ﴿أيّان مُرساها﴾ [28] أي: متى مُرساها؟ وقال تعالى ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ [القيامة ٦]" [29].

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): "وأيان مختص بالامور العظام نحو قوله تعالى: ﴿أيّان مرساها﴾ و ﴿ايّان يوم الدين﴾ [30] ولايقال: أيّان نمت" [31].

٨- كـم

للسؤال عن العدد نحو (كم يوما قضيت في مصر؟) ونحو قوله تعالى ﴿قال كم لبثت؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم— البقرة ٢٥٩﴾.

٩- كيـف

هي للسؤال عن الحال نحو (كيف أنت؟) وكيف جئت؟

قال سيبويه: "وكيف على أي حال" [32].

والنحاة يعربونها خبراً للمبتدأ في نحو (كيف أنت) وخبراً للفعل الناقص في نحو (كيف كنت) ومفعولاً ثانياً في نحو (كيف ظننت محمداً). وفيما عدا ذلك يعربونها حالا نحو (كيف جئت) [33] و (كيف نمت).

قال ابن هشام: "وعندي انها تأتي في هذا النوع مفعولاً مطلقاً ايضاً وان منه (كيف فعل ربك) اذ المعنى أيّ فعل فعل ربك؟ ولا يتجه ان يكون حالاً من الفاعل" [34].

---

(٢٨) النازعات ٤٢.

(٢٩) شرح ابن يعيش ٤/١٠٦.

(٣٠) الذاريات ١٢.

(٣١) شرح الرضي على الكافية ٢/١٣٠.

(٣٢) كتاب سيبويه ٢/٣١١، انظر حاشية التصريح ١/١٧٦.

(٣٣) انظر المغني ١/٢٠٥.

(٣٤) المغني ١/٢٠٥-٢٠٦.

ان ابن هشام يبدو مصيباً في اعتراضه فانه يبدو من المستبعد أن تعرب (كيف) حالاً في كثير من التعبيرات وذلك نحو قولك (كيف تضربه وهو اخوك؟) ونحو قوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل — الفيل ١﴾ وقوله : ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب — النساء ٥٠﴾ وقوله ﴿وكيف اخاف ما اشركتم ولاتخافون أنكم اشركتم بالله — الانعام ٨١﴾ وقوله ﴿فكيف آسى على قوم كافرين — الاعراف ٩٣﴾ وقوله: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً — نوح ١٥﴾ فالظاهر انه لايسأله في نحو هذا عن حال الفاعل.

غير أنه مما يرد ابن هشام اننا نستطيع ان نذكر المفعول المطلق مع (كيف) في نحو هذا التعبير فتقول مثلاً (الا ترى كيف يضرب خالد أخاه ضرباً موجعاً) فلا يصح أن يقال ان المعنى : أيّ ضرب يضرب خالد أخاه ضرباً موجعاً ، الاّ إذا فزعنا الى التقدير فنقدر فعلاً محذوفاً فيكون تقدير الكلام : الا ترى كيف يضرب خالد أخاه يضربه ضرباً موجعاً.

هذا من ناحية.

ومن ناحية اخرى اننا لو ابدلنا المصدر بـ(كيف) لم نجده يطابق المعنى المقصود. فقوله تعالى ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ لايطابق ، (انظر أيّ افتراء يفترون على الله الكذب) فالقول الاول تعجب من حالهم ، ومعناه انظر كيفية افترائهم في حين يكون معنى القول الثاني : انظر نوع الافتراء الذي يفترونه. فهو تعجب من نوع الفعل لا من كيفيته.

وقوله تعالى : ﴿وكيف اخاف ما اشركتم﴾ لايطابق (أيّ خوف اخاف ما اشركتم) فالاول استبعاد هذه الحال عن نفسه ، واما الآخر فهو سؤال عن نوع الخوف الذي يخافه أهو خوف شديد ام قليل أم غير ذلك. وقد تقول : هذا استبعاد ايضاً ، والجواب نعم هو استبعاد لكنه استبعاد لنوع الخوف لا لحالة الخوف.

وقوله تعالى : ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا — آل عمران ٨٦﴾ لايطابق (أيّ هدى يهدي الله قوماً كفروا) فالاول استبعاد هذه الحالة واما الثاني فهو سؤال عن

نوع الهدى. واذا قيل هو استبعاد ايضاً فالجواب : نعم هو استبعاد ولكن ثمة فرق بين الاستبعادين ، فالاول استبعاد لهذه الحالة واما الثاني فهو استبعاد لانواع الهدى.

وقوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ لايطابق (ألم تر أيّ فعل فعل ربك) فالاول تعجب من الحال التي فعلها ربنا ، تعجب من الكيفية التي فعلها ربنا ، واما الثاني فهو سؤال عن نوع الفعل الذي فعله. وقد يكون معناه تعجباً غير أنه تعجب من نوع الفعل لامن كيفية الفعل وحالته.

ونحوه أن تقول (كيف اعطيك وسلاحك عليّ؟) فهو لايطابق (أيّ عطاء اعطيك وسلاحك عليّ) فالاول استنكار لهذه الحال أو تعجب منها أو استبعاد لها. واما الثاني فهو استفهام عن نوع العطاء ، واذا كان استبعاداً فهو استبعاد لانواع العطاء الذي يعطى له.

والذي قارب بين الاداتين ههنا هو خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي الى اغراض أخرى كالتعجب والاستنكار وغيرها فتبدو الاداتان متقاربتين والحقيقة هي اقتراب الاغراض ، فالتعجب بالهمزة قريب من التعجب بغيرها ، فقول المرأة : (أألد وأنا عجوز عقيم) يقارب القول (كيف ألد وأنا عجوز عقيم) ولكن الهمزة غير (كيف) ، وقولك : (أتكفر بالله وقد خلقك) قريب من قولك (كيف تكفر بالله وقد خلقك) وهكذا مع ان لكل اداة معناها واستعمالها.

ولو كان الاستفهام في نحو هذا حقيقياً وقدر لك أن تجيب عن كل سؤال لاختلف الجواب مع (كيف) ومع (أيّ) فلو سألت حقيقة (كيف يفترون على الله الكذب؟) لاحتمل أن يكون الجَواب : يفترونه مزينين هذا الكذب. أو يفترونه جاعليه في صورة الصدق. أو تقول : يلوون السنتهم بالحديث ليحسبه السامع صدقاً وما الى ذلك.

ولو سألت (أيّ افتراء يفترون على الله الكذب؟) لاحتمل ان يكون الجواب : انهم يفترون افتراء كبيراً ، أو افتراء بيّنا ، أو افتراء البائع لدينه بثمن بخس ، أو افتراء المكذبين بيوم الدين وما الى ذلك.

فالجواب يختلف مع (كيف) و (أيّ).
وبهذا يبدو أن رأي الجمهور أقرب الى الصواب والله اعلم.
وقد تخرج (كيف) عن الاستفهام الحقيقي الى اغراض اخرى منها:

١ - التعجب نحو قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم — البقرة ٢٨﴾ وقوله ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب — النساء ٥٠﴾.
٢ - التوبيخ نحو قوله تعالى: ﴿مالكم كيف تحكمون — القلم ٣٦﴾. ونحو قولك لمن ضرب اخاه (كيف تضرب اخاك الاكبر؟).
٣ - النفي، نحو قوله تعالى: ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم — آل عمران ٨٦﴾ والمعنى: لايهدي الله قوماً كفروا وقوله: ﴿وكيف اخاف ماأشركتم ولاتخافون أنكم اشركتم بالله — الانعام ٨١﴾ ومعناه: لااخاف ماأشركتم.
٤ - التحذير كقوله تعالى: ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين — آل عمران ١٣٧﴾.
٥ - النهي كقوله تعالى: ﴿وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض — النساء ٢١﴾ أي: لاتأخذوه، وقد يكون هذا تنفيراً.
٦ - التنبيه كقوله تعالى: ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض — الاسراء ٢١﴾.
٧ - التهكم كقوله تعالى: ﴿كيف نكلم من كان في المهد صبيا — مريم ٢٩﴾.
٨ - الاستبعاد كقوله تعالى ﴿كيف يكون للمشركين عهد — التوبة ٧﴾. وقوله ﴿وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً — الكهف ٦٨﴾.
٩ - التعظيم والتهويل كقوله تعالى: ﴿فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه — آل عمران ٢٥﴾ وقوله ﴿فيكف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً — النساء ٤١﴾ (٣٥).

الى غير ذلك من المعاني.

---

(٣٥) انظر لبعض هذه المعاني: البرهان ٤/ ٣٣٠-٣٣٨.

وغني عن البيان ان هذه المعاني التي تخرج اليها (كيف) مشوبة بالاستفهام وليست نفياً خالصاً أو نهياً خالصاً كما سبق تقرير ذلك.

١٠- ما

تكون للسؤال عن ذوات مالا يعقل واجناسه وصفاته وللسؤال عن صفة من يعقل[٣٦]. فمن الاول قولك (ماعندك؟) فيقال: كتاب. وتقول: مافي الدار؟ فيقال: ثعبان، أو فرس. وتقول: (مالونه؟) فيقال: اسود.
قال تعالى: ﴿وما تلك بيمينك ياموسى— طه ١٧﴾. وقال: ﴿ماولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها— البقرة ١٤٢﴾.
وتكون لصفات من يعقل كأن تقول: (مامحمد؟) فيقال: كاتب أو شاعر.

جاء في (شرح ابن يعيش): "فإذا قلت: ما في الدار؟ فجوابه: ثوب أو فرس ونحو ذلك مما لايعقل. وإذا قلت: مازيد؟ فجوابه: طويل أو اسود أو سمين فتقع على صفاته"[٣٧].

وللسؤال عن حقيقة الشيء قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وماالرحمن— الفرقان ٦٠﴾. وقال: ﴿قال فرعون وما رب العالمين— الشعراء ٢٣﴾ فهذا سؤال عن حقيقته سبحانه.

وإذا جُرّت حذف الفها[٣٨]، قال تعالى: ﴿فيم أنت من ذكراها— النازعات ٤٣﴾، وقال ﴿لم تقولون مالا تفعلون— الصف ٢﴾ وقال ﴿عم يتساءلون— النبأ ١﴾.
وقد تخرج (ما) عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى منها:

---

(٣٦) انظر المقتضب ٢/٥٢، البرهان ٤/٤٠٢، شرح ابن يعيش ٤/٥.
(٣٧) شرح ابن يعيش ج ٤/٥، الكليات لابي البقاء ٣٣٦، حاشية التصريح ١/١٧٦.
(٣٨) انظر المغني ١/٢٩٨، شرح ابن يعيش ٤/٨.

١ – التعظيم والتفخيم كقوله تعالى : ﴿الحاقة ماالحاقة — الحاقة ١ ، ٢﴾ . وكقوله : ﴿واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين — الواقعة ٢٧﴾ ، ونحو قولك (محمد مامحمد؟) .

جاء في (الكشاف) : "ونحوه (ما) في قولك (زيد مازيد) جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول : ماالغول وما العنقاء؟ تريد أيّ شيء هو من الاشياء؟ هذا اصله ثم جرد للتفخيم"(٣٩) .

٢ – التحقير نحو (ماأنت والشعر) و (ماأنت والمجد) قال الشاعر:

ماأنت ويب أبيك والفخر(٤٠) .

٣ – الحث نحو قوله تعالى ﴿ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله — النساء ٧٥﴾ .

٤ – الانكار نحو قوله تعالى ﴿ماولآهم عن قبلتهم التي كانوا عليها — البقرة ١٤٢﴾ .

٥ – الالزام نحو قوله تعالى : ﴿قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين — البقرة ٩١﴾ .

٦ – الاستبعاد نحو قوله تعالى : ﴿ولئن اخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولُنّ ما يحبسه — هود ٨﴾ ونحو قوله ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم — النساء ١٤٧﴾ .

وغير ذلك من المعاني .

ماذا

تأتي في العربية على أوجه :

احدها : أن تكون (ما) استفهامية و (ذا) اسم اشارة نحو (ماذا؟) أي : (ماهذا؟) ونحو (ماذاالسكوت؟) و (ماذا التواني؟) والمعنى : ما هذا السكوت؟ وما هذا التواني؟

---

(٣٩) الكشاف ٣/٣٠٤ وانظر حاشية التصريح ١/١٦٥ ، التصريح ١/١٦٦ .

(٤٠) شرح الرضي على الكافية ٢/٥٩ .

الثاني : أن تكون (ما) استفهامية و (ذا) موصولة بمعنى الذي نحو (ماذا فعلت؟) أي : ما الذي فعلت؟ وكقول لبيد :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول   أنحبٌ فيقضى أم ضلال وباطل

أي : ماالذي يحاول . ف (ما) مبتدأ بدليل إبداله المرفوع (نحبٌ) منها . و (ذا) موصول بدليل افتقاره الى الجملة . ولوكانت (ماذا) اسماً واحداً لكانت مفعولاً مقدما للفعل (يحاول) ولأبدل منها النصب .

الثالث : أن تكون (ماذا) كلها كلمة واحدة مركبة تفيد الاستفهام[41] كقولك (ماذا أكلت أفاكهةً أم لحماً؟) ف (ماذا) ههنا كلمة واحدة وهي مفعول به مقدم بدليل الابدال منها بالنصب .

فتبين من هذا أنك إذا قلت (ماذا صنعت؟) احتمل أن تكون (ماذا) مركبة من كلمتين : (ما) الاستفهامية و (ذا) الموصولة والمعنى : ما الذي صنعت؟
واحتمل أن تكون (ماذا) كلها كلمة مركبة واحدة والمعنى : ماصنعت؟

فإذا جعلتها اسمين أبدلت من (ما) بالرفع فتقول (ماذا صنعت أخاتم أم سوار؟)
وذلك لان (ما) مبتدأ محله الرفع و (ذا) خبره والبدل من المرفوع مرفوع .

وإن جعلتها اسماً واحداً أبدلت بالنصب فقلت (ماذا صنعت أخاتماً أم سواراً؟)
وذلك لان (ماذا) مفعول به مقدم محله النصب والبدل من المنصوب منصوب .

وجوابها مختلف أيضاً ، فالاصل في جواب الاولى أن يكون : الذي صنعته سوارٌ. وجواب الثانية أعني المركبة (صنعت سواراً) وكذلك إذا قلت (ماذا تفقد؟) على غير معنى التركيب فإن جوابه (الذي أفقده كتابٌ) لان معنى السؤال : ما الشيء الذي تفقده؟

---

(41) انظر المغني ١/ ٣٠٠– ٣٠١ ، الاشموني ١/ ١٥٩ ، التصريح ١/ ١٣٨ .

وعلى معنى التركيب : (أفقد كتاباً) لان المعنى : أيّ شيء تفقد؟ فهما عبارتان مختلفتان .

وههنا يبرز سؤال وهو: ما الفرق في المعنى بين (ماذا) و(ما)؟ ما الفرق مثلا بين قولك (ماذا فعلت؟) و (ما فعلت؟).
الذي يبدو أن الفرق بينهما من ناحيتين :

الاولى : إن (ذا) تفيد التنصيص على الاستفهام فيما يحتمل الاستفهام وغيره ، ذلك كقوله تعالى ﴿فأروني ماذا خلق الذين من دونه – لقمان ١١﴾ فإن (ذا) أفادت التنصيص على الاستفهام ولو حذفت لاحتمل المعنى الاستفهام والموصولية أي فأروني الذي خلقه الذين من دونه. ألا ترى أنك إذا قلت ؛ (أنا أعلم ماتريد) يحتمل الخبر والاستفهام ولو قلت (ماذا) أفادك الاستفهام نصا؟

الناحية الثانية : إن في (ماذا) قوة ومبالغة في الاستفهام ليست في (ما). ففي قولنا (ماذا فعلت؟) قوة ليست في (ما فعلت؟) ولعل ذلك يعود الى زيادة حروفها.

قال تعالى : ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ فجاء ب (ماذا) ، وهذا يدل على المبالغة في الاستفهام ولذلك– والله أعلم– كرر السؤال مرتين فقال : ﴿يسألونك ماذا ينفقون؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل– البقرة ٢١٥﴾ ثم قال : ﴿ويسألونك ماذا ينفقون؟ قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون– البقرة ٢١٩﴾ فمرة أجاب عن السؤال ببيان أوجه الانفاق المشروعة ومرة أجاب عنه بنوع المال الذي يُنفَق فكرر السؤال مرتين وأجاب عنه مرتين لاهمية السؤال ، ولذا جاء به ب (ماذا) بدل (ما).

ونحوه قوله تعالى على لسان فرعون بعد أن عجز عن مواجهة موسى (ع) بالحجة فقال : ﴿إن هذا لَساحرٌ عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون– الشعراء ٣٤ ، ٣٥﴾ فجاء ب (ماذا) للدلالة على المبالغة في الاستفهام ، وذلك لان الموقف يتطلب جواباً يخلصه من مواجهة موسى وتحدّيه فإن موسى يهدّ الوهية فرعون وتجبره ، بخلاف قوله تعالى مثلا ﴿قالوا يا أبانا ما نبغي؟ هذه بضاعتنا رُدّت إلينا– يوسف ٦٥﴾ ، فجاء ب (ما) دون (ماذا) لان الموقف لايتطلب ذالك.

ولذا يؤتى بماذا في مواقف التحدي والقوة. قال تعالى ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذي تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إنْ يعد الظالمون بعضهم بعضاً الآ غروراً - فاطر ٤٠﴾ فهو يتحدى المشركين تحدياً لا يمكنهم الافلات منه فيقول لهم: هؤلاء شركاؤكم أروني ماذا خلقوا من الارض؟ اذكروا لي شيئاً خلقوه وإن هان وحقر. فجاء بـ (ماذا) في التحدي وهو أبلغ وأقوى من (ما) وحدها يدلك على ذلك السياق.

ويوضح ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة الصافات على لسان إبراهيم (ع): ﴿إذ قال لابيه وقومه ما تعبدون؟ أإفكاً آلهة دون الله تريدون - الصافات ٨٣ - ٨٧﴾.

وقوله في سورة الشعراء: ﴿قال لابيه وقومه ما تعبدون؟ قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين - الشعراء ٦٩ - ٧١﴾.

فجاء في الاولى بـ (ماذا): (ماذا تعبدون) وفي الثانية بما (ما تعبدون) وذلك لان الاولى موقف تحدٍّ ظاهر ومجابهة قوية بخلاف الثانية، يدلك على ذلك السياق، فإن المقام في الاولى ليس مقام استفهام وإنما هو مقام تقريع ولذلك لم يجيبوه عن سؤاله بل مضى يقرعهم بقوله ﴿أإفكاً آلهة دون الله تريدون﴾.

وأما في الثانية فهو مقام استفهام المحاجّة إذ قال لهم: ﴿ما تعبدون؟﴾ فأجابوه: ﴿نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين﴾.

فسألهم: ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون - ٧٢، ٧٣﴾.

فأجابوه قائلين: ﴿بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون - ٧٤﴾.

فأنت ترى أن المقام مقام محاجّة بخلاف الاولى فإنه مقام تحدٍّ وتقريع ومجابهة، ويوضح ذلك نهاية السياقين.

ففي آية الشعراء قال: ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الاقدمون. فإنهم عدو لي الآ رب العالمين - ٧٥ وما بعدها﴾.

وأما في آية الصافات فانتهى السياق بتحطيم الاصنام وتحريقه بالنار: ﴿فراغ الى آلهتهم فقال : ألا تأكلون؟ مالكم لاتنطقون. فراغ عليهم ضربا باليمين... قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم- ٩١ وما بعدها﴾.

فثمة فرق كبير بين النهايتين وبين السياقين فجاء في مقام المجابهة وشدة التحدّي ب (ماذا) دون المقام الآخر الذي جاء فيه ب (ما).

جاء في (درة التنزيل) في هاتين الآيتين: "للسائل أن يسأل عن زيادة (ذا) في قوله في (الصافات) (ماذا تعبدون) وإخلاء (ما) في (الشعراء) منها.

والجواب أن يقال: ان قوله (ما تعبدون) معناه أيّ شيء تعبدون؟ وقوله (ماذا) في كلام العرب على وجهين:

أحدهما أن تكون (ما) وحدها إسماً و (ذا) بمعنى (الذي)، والمعنى: ما الذي تعبدون. و (تعبدون) صلة لها.

والآخر: أن تكون (ما) مع (ذا) اسماً واحداً بمعنى (أي شيء). وهو في الحالين أبلغ من (ما) وحدها إذا قيل؛ ما تفعل؟

فما تعبدون في سورة الشعراء اخبار عن تنبيه لهم لانهم أجروا مقاله مجرى مقال المستفهم فأجابوه وقالوا (نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين). فنبه ثانيا بقول (هل يسمعونكم إذ تدعون).

وأما (ماذا تعبدون) في سورة الصافات فإنها تقريع وهو حال بعد التنبيه. ولعلمهم بأنه يقصد توبيخهم وتبكيتهم لم يجيبوا كاجابتهم في الاول. ثم أضاف تبكيتا الى تبكيت ولم يستدع منهم جواباً فقال ﴿أإفكاً آلهةً دون الله تريدون. فما ظنكم برب العالمين﴾.

فلما قصد في الاول التنبيه كانت (ما) كافية. ولما بالغ وقرع استعمل اللفظ الابلغ وهو (ماذا) التي ان جعلت (ذا) منها بمعنى (الذي) فهو أبلغ من (ما) وحدها، وإن جعلا اسماً كان أيضاً أبلغ وأوكد مما إذا خلت من (ذا)"[42].

---

(٤٢) درة التنزيل ٣٣٠- ٣٣١.

١١- متى

للسؤال عن الزمان نحو (متى السفر؟). وقد يخرج عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى كالاستبطاء نحو قولك (متى يؤوب أبي) مستبطئاً عودته. والاستبعاد نحو قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين- يونس ٤٨﴾ وغير ذلك من المعاني.

١٢- من

للسؤال عمّن يعقل نحو: (من حضر؟) فتقول: خالد. قال تعالى: ﴿ومن أصدق من الله قيلا- النساء ١٢٢﴾ وقال ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم الاّ من سفه نفسه- البقرة ١٣٠﴾.

وقد تخرج (من) عن الاستفهام الحقيقي الى أغراض أخرى.

كالنفي نحو قوله تعالى ﴿ومن يغفر الذنوب الاّ الله- آل عمران ١٣٥﴾[٤٣].

والدهشة والتعجب نحو قوله تعالى ﴿من بعثنا من مرقدنا- يس ٥٢﴾.

والالزام نحو ﴿من خلق السماوات والارض وأنزل من السماء ماء﴾.

والتشويق والترغيب نحو ﴿من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة- البقرة ٢٤٥﴾.

الى غير ذلك من المعاني.

وقد تلحقها (ذا) كما مرّ في (ما) فتكون (من) اسم إستفهام و(ذا) اسم إشارة وذلك نحو (من ذا؟) و(من ذا واقفاً؟).

وقد تكون اسماً موصولاً نحو (من ذا أكرمت أمحمدٌ أم خالد؟).

وقد تكون كلمة واحدة مركبة بمعنى (من) نحو (من ذا أكرمت أمحمداً أم خالداً؟).

ويحتمل هذا المعنى قوله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً- البقرة ٢٤٥﴾، ويحتمل أيضاً أن تكون (من) استفهاماً و(ذا) اسم إشارة بمعنى (من هذا

---

(٤٣) انظر المغني ١/ ٣٢٧.

الذي يقرض الله) كما في قوله تعالى ﴿أم من هذا الذي هو جُند لكم ينصركم– الملك ٢٠﴾[٤٤].

ويبدو أنه إذا قرن اسم الاشارة بـ (ها) التنبيه كان آكد وأقوى وذلك لان فيه زيادة تنبيه، فقولك (من هذا الذي فعل؟) آكد وأقوى من قولك (من ذا الذي فعل؟) وذلك ان السائل في العبارة الاولى كأنه يجتهد في الاستخفاف بالفاعل نحو أن تقول (من هذا الذي يستطيع أن يرد عليّ؟) أو تعظيمه كأن تقول (من هذا الذي اقتحم النار وأنقذ الطفل؟).

ويدل على ذلك الاستعمال القرآني أيضاً. قال تعالى ﴿وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده– آل عمران ١٦٠﴾ وقال ﴿من ذا الذي يشفع عنده الاّ بإذنه– البقرة ٢٥٥﴾ فلم يجئ بـ (ها) التنبيه.

وقال: ﴿أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون الاّ في غرور. أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتوّ ونفور– الملك ٢٠، ٢١﴾ فجاء بـ (ها) التنبيه. وسبب ذلك– والله أعلم– ان التحدي في الآيتين الاخيرتين أشد وأقوى وهو واضح من السياق. فالآية الاولى خطاب للمؤمنين. قال تعالى: ﴿فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين. إن ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون– آل عمران ١٥٩– ١٦٠﴾.

والثانية في الكلام على الكافرين في سياق التخويف من قدرة الله وبطشه: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فإذا هي تمور. أم امنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير. ولقد كذّب الذين من قبلهم فكيف كان نكير... أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الاّ في غرور– الملك ١٦– ٢١﴾.

---

(٤٤) أنظر شرح الرضي على الكافية ٢/ ٦٥، المغني ١/ ٣٢٧.

فالسياق والجو مختلف في الآيتين فالاولى مقام رحمة ومسح على جراح المؤمنين ومقام عفو ومغفرة بعد معركة أحد. واما الثانية فمقام ترهيب وإنذار وتخويف وتحذير فجاء بـ (ها) التنبيه زيادة في التحذير والتنبيه وهو ما يقتضيه المقام.

واما الفرق بين (من) و(من ذا) فإنه نظير الفرق بين (ما) و(ماذا) فلا داعي لتكرار القول فيه.

مما تقدم يتبين أن مراحل التعبير من حيث قوته وتوكيده تتدرج كما يأتي:

من فعل؟

من ذا فعل؟

من ذا الذي فعل؟

من هذا الذي فعل؟

تقديم المستفهم عنه

مرّبنا هذا في مواضع عدة في باب المبتدأ والخبر والمفعول به وغيرها، وذلك أنك تقول؛ أضربت محمداً؟ أأنت ضربت محمداً؟ و(أحضر محمد) و(أمحمد حضر؟) ونحو ذلك. ولا نريد أن نعيد الكلام على ذلك بصورة موسعة بل سنوجز القول فيه.

١ - **تقديم الفعل**: إذا قدمت الفعل كنت مستفهماً عن أصل الحدث فإذا قلت: أحضر محمد؟ كنت مستفهماً عن حضور محمد، وكذا إذا قلت: (أجاءك رجل؟) كنت مستفهماً عن مجيْ أحد من الرجال إليه.

٢ - **تقديم المسند إليه على الفعل**: فإذا قلت (أمحمد حضر؟) كنت تعلم أن شخصاً ما حضر ولكنك تسأل أهو محمد؟ فالفرق بين قولنا: (أحضر محمد) و(أمحمد حضر) إننا في الاولى نسأل عن حضور محمد وليس في التعبير دلالة على أننا نعلم أن أحداً حضر. وأما في الثانية فإننا نعلم أن شخصاً ما حضر ولكننا لانعلم من هو.

وكذا قولك : (أجاءك رجل؟) و (أرجل جاءك؟) ففي الاولى أنت تسأل "هل كان مجيئ أحد من الرجال اليه ، فإن قدمت الاسم فقلت : أرجل جاءك؟ فأنت تسأل عن جنس من جاءه : أرجل هو أم امرأة؟ ويكون هذا منك إذا علمت أنه قد آتاه آتٍ ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي"(٤٥).

ومن هذا قوله تعالى : ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم – الانبياء ٦٢﴾ فهم لايسألونه عن وقوع الفعل لانهم يعلمون أن الفعل وقع وقد شاهدوه ولكنهم يسألونه عن الفاعل.

جاء في (دلائل الاعجاز) : "وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها وترك تقديمه. ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة. فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من إستفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت : أأنت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو؟ وكان التردد فيه. ومثال ذلك أنك تقول : أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟ أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟ أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟

تبدأ في هذا ونحوه بالفعل لان السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه ، لانك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه مجوّز أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن.

وتقول : أأنت بنيت هذا الدار؟ أأنت قلت هذا الشعر؟ أأنت كتبت هذا الكتاب؟ فتبدأ في ذلك كله بالاسم. ذلك لانك لم تشك في الفعل انه كان كيف وقد أشرت الى الدار مبنية والشعر مقولا والكتاب مكتوباً؟ وإنما شككت في الفاعل من هو؟ فهذا من الفرق لايدفعه دافع ولا يشك فيه شاك ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر"(٤٦).

---

(٤٥) دلائل الاعجاز ١٠٩.
(٤٦) دلائل الاعجاز ٨٧.

٣ – تقديم المفعول به : وذلك نحو (أمحمداً أكرمت ؟) فالسائل يعلم أن المخاطب أكرم شخصاً فهو يسأل : أهو محمد ؟ بخلاف ما لو قال : أأكرمت محمداً ؟ فإنه يسأل عن أصل الاكرام ، وليس فيه دلالة على أن السائل يعلم أنه وقع إكرام أم لا .

٤ – تقديم الظرف والجار والمجرور: وحكمها حكم المنصوب فإذا قيل : (أيوم الجمعة سافر خالد ؟) فالسائل يعلم أن خالداً سافر ولكنه يسأل أذلك كان يوم الجمعة بخلاف ما لو قال : (أسافر خالد يوم الجمعة) ، فإنه لايفيد ذاك بل هو يسأل عن خالد أسافر يوم الجمعة أم لم يسافر.

ونحوه : (أقُبض على محمد في دارك؟) و (أفي دارك قبض على محمد؟) و (أإلى الموصل سافرت؟) و (أسافرت إلى الموصل؟) في الجملة الاولى يعلم السائل أن المخاطب سافر ولكنه يسأله عن جهة سفره أهي الموصل. واما في الثانية فإنه يسأله عمّا إذا سافر الى الموصل أم لا .

وقس مالم يذكر من القيود على ما ذكرت كالحال ونحوها .

الجواب

جواب الهمزة :

يكون جواب الهمزة وحدها اذا كان السؤال مثبتاً ب (نعم) أو (لا) نحو: أحضر محمد؟ فيجاب : نعم قد حضر محمد[1] ، أو لا لما يحضر محمد.

وكذلك اذا كانت مع (أو) نحو (أمحمد عندك أو خالد؟) فجوابه في الاثبات : نعم عندي محمد ، أو نعم عندي خالد ، أو لا ليس عندي واحد منهما.

وتجاب مع (أم) المعادلة بالتعيين نحو (أمحمد عندك أم خالد؟)والجواب : عندي محمد ، أو عندي خالد.

وتجاب الهمزة اذا كان السؤال منفياً ب (بلى) في الايجاب و (لا) في النفي نحو قوله تعالى : ﴿ألم يأتكم نذير؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير- الملك ٨،٩﴾ و ﴿ألست بربكم؟ قالوا بلى- الاعراف ١٧٢﴾ والنفي نحو ألم يحضر محمد؟ والجواب : لا لم يحضر محمد. واذا قلت : نعم ، فمعناه اقرار النفي. والمعنى : نعم لم يحضر محمد ، ولذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى : ﴿ألست بربكم؟ قالوا بلى﴾ : "لو قالوا نعم لكفروا"[2].

جواب هل :

ويكون جواب (هل) ب (نعم) أو (لا). يقال (هل حضر محمد؟) فتقول في الايجاب : نعم حضر محمد ، وفي النفي : لا لم يحضر محمد[3]. قال تعالى : ﴿فهل وجدتم ماوعد ربكم حقاً؟ قالوا نعم- الاعراف ٤٤﴾.

---

(١) أنظر كتاب سيبويه ٤٥٨/١-٤٥٩.

(٢) انظر المغني ١١٣/١ ، شرح الرضي على الكافية ٤٢٤/٢.

(٣) أنظر كتاب سيبويه ٤٥٨/١.

الاولين) ولا يصح أن يكون بالنصب لانه ليس على معنى (انزل اساطير الاولين) وذلك انهم لايقرّون بانزال الله القرآن وإنما المعنى : هذا الكلام هو أساطير الاولين.

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "فقوله تعالى (أساطير الاولين) ليس جواب لقوله للكفار: ماذا أنزل ربكم ، إذ لوكان جواباً له لكان المعنى : هو اساطير الاولين ، أي الذي انزله ربنا اساطير الاولين. والكفار لايقرون بالانزال فهو اذن كلام مستأنف أي ليس ماتّدعون انزاله منزلاً بل هو أساطير الاولين...

فقوله تعالى ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ أي انزل خيراً وإنما الزم ههنا النصب ليكون مخالفاً لجواب الكفار، لان النصب تصريح بكون (أنزل) مقدراً والرفع يحتمل استئناف الكلام كما ذكرنا في (أساطير الاولين)، ويحتمل تقدير الموصول المذكور في السؤال مبتدأ"[٥].

وهكذا بقية اسماء الاستفهام فجواب (متى) تعيين الزمان ، وجواب كم تعيين العدد و (كيف) للسؤال عن الحال وهكذا.

حروف الجواب

نعم :

حرف تصديق ووعد واعلام.

فالتصديق يكون بعد الخبر نحو (قد زارك محمد) فتقول : نعم . او (مازارك محمد) فتقول : نعم. مصدقاً قوله اثباتاً او نفياً.

والوعد يكون بعد الامر والنهي وما في معناهما نحو (زرنا قريباً) أو (لاتخبرْه بما حدث) فتقول : نعم. واعداً بأنك ستنجز طلبه.

قال سيبويه : "وأما نعم فعدة وتصديق ، تقول : قد كان كذا وكذا ، فيقول : نعم"[٦].

---

(٥) شرح الرضي على الكافية ٢/٦٥-٦٦.

(٦) كتاب سيبويه ٢/٣١٢.

والاعلام يكون بعد الاستفهام نحو (أحضر خالد؟) فتقول له: (نعم)[٧].

بلى:

مختصة بابطال النفي سواء كان خبراً أم استفهاماً فهي تنقض النفي المتقدم على أية حال. فمن وقوعها بعد الخبر قولك (لم يزرك خالد) فتقول: (بلى). قال تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربّي لتُبعثُنّ – التغابن ٧﴾، وقال: ﴿ما كنّا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون – النحل ٢٨﴾.

ومن وقوعها بعد الاستفهام قوله تعالى: ﴿ألست بربكم؟ قالوا بلى – الاعراف ١٧٢﴾ وقوله: ﴿ألم يأتكم نذير قالوا بلى – الملك ٨، ٩﴾[٨].

ومن هنا يتبين أن (بلى) لاتقع الاّ بعد النفي.

أجل:

حرف جواب يقع بعد الخبر كثيراً فيكون تصديقاً له نحو (زارك خالد) أو (لم يزرك خالد) فتقول: أجل. أي تصديق قوله إذا كان اثباتاً أو نفياً.

وذهب قوم من النحاة الى أنها مختصة بالخبر فلا تقع بعد الاستفهام أوالامر أو غيرهما.

وقيل: بل وقوعها بعد الخبر أكثر.

وقيل: هي بعد الخبر أحسن من (نعم). و(نعم) بعد الاستفهام أحسن منها.

وقيل: هي مثل نعم تكون تصديقاً للخبر ووعداً وإعلاماً للمستخبر[٩]. والظاهر ان الكثير وقوعها بعد الخبر.

---

(٧) انظر المغني ٣٤٥/٢، شرح الرضي على الكافية ٤٢٢/٢ – ٤٢٣، المفصل ٢٠٣/٢.

(٨) المغني ٧٦/١، الهمع ٧١/٢، المفصل ٢٠٣/٢.

(٩) أنظر المفصل ٢٠٣/٢، شرح الرضي على الكافية ٤٢٥/٢، المغني ٢٠/١، الهمع ٧١/٢، كليات أبي البقاء ٣٦٤.

إنّ

حرف جواب بمعنى (نعم) قال الشاعر:

بكر العواذل في الصبا ح يلمنني والومهنّهْ
ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت: إنّهْ

أي (نعم).

وقال ابن الزبير لمن قال له: لعنَ اللهُ ناقةً حملتني إليك: "إنّ وراكبها" أي نعم ولعن راكبها[10].

قال سيبويه: "وأما قول العرب في الجواب (إنّهْ) فهو بمنزلة أجل. واذا وصلت قلت: إنّ يافتى وهي التي بمنزلة أجل[11]".

وهي قليلة الاستعمال.

قال برجشتراسر: هي أقدم أدوات الايجاب وهي في العبرية hēn وفي الآرامية ēn[12].

إي:

بكسر الهمزة وسكون الياء وهي مثل (نعم) غير أنها لاتقع الاّ قبل القسم فتكون تصديقاً للمخبر ووعداً للطالب واعلاماً للمستفهم يقال: قد زارك ابراهيم فتقول: إي والله.

ويقال: زرنا كثيراً. فتقول: إي لعمري.

ويقال: هل جاء محمد؟ فتقول: إي وربّي.

قال تعالى: ﴿ويستنبئونك أحقٌ هو؟ قل إي وربّي إنه لحق- يونس ٥٣﴾.

---

(١٠) المغني ٧٦/١، الهمع ٧١/٢، المفصل ٢٠٣/٢.

(١١) كتاب سيبويه ٤٧٤/١.

(١٢) التطور النحوي ١١٠.

فالفارق بينها وبين (نعم) ان (إي) لاتكون الاّ قبل القسم، و(نعم) تكون مع القسم وغيره[١٣].

قال برجشتراسر: و(إي) من الاصوات[١٤].

جلل:

حرف بمعنى نعم. واسم بمعنى عظيم أو يسير[١٥].

جَير:

بفتح الجيم وكسر الراء، وقد تفتح قليلاً. حرف ايجاب بمعنى: (أجل) و(نعم) وهو أكثر مايستعمل مع القسم[١٦].

وقيل: هي كلمة تحلف بها العرب فتقول: جير لأفعلن[١٧].

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) انها تقوم مقام الجملة القسمية[١٨]. ويبدو أن فيها توكيداً ولذا قامت مقام جملة القسم والله أعلم.

---

(١٣) المغني ١/٧٦، الهمع ٢/٧١، المفصل ٢/٢٠٣.

(١٤) التطور النحوي ١١٠.

(١٥) المغني ١/١٢٠.

(١٦) شرح ابن يعيش ٨/١٢٤، المغني ١/١٢٠.

(١٧) الجمل للزجاجي ٢٦٣.

(١٨) شرح الرضي على الكافية ٢/٣٨٧.

التعجب

التعجب له عبارات كثيرة في العربية غير منحصرة، والنحاة يقسمونه على قسمين:

١ - التعجب غير المبوّب له عند النحاة مثل قولهم (سبحان الله).
وفي الحديث (سبحان الله المؤمن لاينجس)، و(لله دره) و(ويلّمه مسعر حرب) و ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم - البقرة ٢٨﴾ و(مارأيت كاليوم رجلاً) و (أيّ رجل هو؟) و(قاتله الله من شاعر) و(ناهيك به رجلا) وما الى ذلك.

وانما لم يبوّب له لان هذه التعبيرات لاتدل على التعجب وضعاً، بل بالقرينة[١٩].

٢ - التعجب المبوّب له وهو عند النحاة صيغتان: ماأفعله وأفعِلْ به. وقد بوّب لها النحاة لانها يطّردان في كل معنى يصح التعجب منه[٢٠].

فهاتان الصيغتان هما للتعجب وضعاً وأما غيرهما فهو في الاصل لغير التعجب ثم نقل الى التعجب.

والتعجب في الحقيقة له أكثر من هاتين الصيغتين المطّردتين. ويمكن أن نقسم عباراته على أقسام أشهرها:

١ - ماافعله

وهو أن تأتي ب (ما) التي تفيد التعجب ثم ب (أفعل) المفتوحة الآخر وبعدها الاسم المتعجب منه منصوباً نحو (ماأعذَب الماءَ) وكقوله تعالى: ﴿فما أصبرهم على النار- البقرة ١٧٥﴾. وقوله: ﴿قُتل الانسان ماأكفره- عبس ١٧﴾.

---

(١٩) التصريح ٢/٨٦ الهمع ٢/٩٢، شرح الرضي على الكافية ٢/٣٤٠.
(٢٠) شرح ابن الناظم ١٨٦.

والنحاة يحللون (ما افعل) هذا الى اصول متعددة بعيدة في جملتها عن معنى التعجب فأكثرهم يجعل (ما) اسما بمعنى (شيء) و (افعل) فعلا ماضيا والمتعجب منه مفعوله. وتقدير الكلام في (ما احسن عبدَ الله) شيء أحسنَ عبدَ الله[21]، أي شيءٌ جعل عبد الله حسنا، ثم نقل الى معنى التعجب وانمحى معنى الجعل[22].

وقال آخرون: ان (ما) موصولة والجملة بعدها صلتها والخبر محذوف أي: الذين أحسن عبد الله موجود.

وقال آخرون: (ما) استفهامية وما بعدها خبرها[23].

والاقرب الى الصواب ان يقال: ان هذه عبارة تفيد التعجب. والتعجب معلوم. ثم ان التعجب انفعال قديم في نفس البشر والاظهر انه وضعت له صيغته ابتداء لان الانسان محتاج الى التعبير عنه قبل كثير من التعبيرات، ولا داعي للدخول في تحليلات تفسد المعنى والذوق.

ولعل الذي الجأهم الى هذا هو الاعراب، فالنحاة يرون ضرورة اعراب كل تعبير ولو الجأهم الى مسخ التعبير وافساده.

---

(٢١) كتاب سيبويه ١/ ٣٧.
(٢٢) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٤١.
(٢٣) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٤١.

ونحن نرى انه لاداعي لاعراب كل تعبير فهناك تعبيرات لاداعي لاعرابها بل يكتفى بوصفها وهذا منها. أو يعرب على صورة اخرى ليس فيها مثل هذا التمحّل[٢٤].

أفعل التعجب:

يصاغ افعل التعجب من كل فعل ثلاثي تام مثبت متصرف مبني للمعلوم قابل للتفاوت ليس الوصف منه على افعل نحو (ما اسرعه) و (ما اعدله؟).

واذا اريد التعجب بفعل لايصح بناؤه على افعل فيؤتى بمصدر ذلك الفعل مسبوقا بـ (أشد) ونحوها فتقول متعجبا من حمرة الورد مثلا (ما اشد حمرة الورد) ومن

(٢٤) امامنا اكثر من خيار في اعراب جملة التعجب هذه من دون تأويل مفسد للمعنى ومن هذه الخيارات:

١) ما: اداة تعجب.
افعل: متعجب به.
زيدا: متعجب منه.

٢) ما: حرف تعجب– وقد قلنا بحرفيته لان الاصل في المعاني عند النحاة ان يعبر عنها بالحروف كالاستفهام والخطاب، والتعجب عند النحاة معنى حقه ان يؤدى بالحرف وقد قلنا بالاصل تخلصا مما قد يجره القول باسميتها من التأويلات البعيدة.
افعل: اسم منصوب متعجب به– وهذا الاسم اذا اتصل بياء المتكلم جيْ بنون الوقاية معه فتقول (ما افقرني) شأن اسماء الافعال نحو قدني وقطني وعليكني ودراكني.
زيدا– متعجب به منصوب.

××××××

٣) ما– حرف تعجب
افعل: فعل التعجب مبني على الفتح– وهذا الفعل لايحتاج الى فاعل شأن افعال الاستثناء نحو جاء الرجال خلا واحدا ولا داعي لتقدير فاعل لايقتضيه المعنى، وقد قال بخلو افعال الاستثناء هذه من الفاعل قسم من النحاة. ينظر:
الهمع ١/ ٢٣٢– ٢٣٣.
زيدا: متعجب منه

××××××

٤) ما: اسم تعجب لامحل له من الاعراب– وهذا قال به الكسائي. ونظيره من الاسماء اسماء الافعال وأل الموصولة وضمير الفصل عند قسم من البصريين وغير ذلك مما ليس له محل من الأعراب من الاسماء.
افعل
زيدا يختار فيها اعراب مما ذكرناه.

انطلاق خالد (ما اسرع انطلاق خالد). واذا كان الفعل مبنيا للمجهول او منفيا فيؤتى بمصدره مؤولا نحو (ما اجمل أن يكافأ المخلص) (ما اقبح ألاّ اساعده).

ولا شك أن الكلمة التي تسبق المصدر تحدد المقصود بتعجبك فقولك مثلا (ما اشد حمرة الورد) يختلف عن قولك (ما اجمل حمرة الورد) فالاولى تتعجب فيها من شدة الحمرة، والثانية تتعجب فيها من جمال حمرته. وكذلك قولك (ما اسرع انطلاقك) و (ما اكثر انطلاقك) و (ما اقل انطلاقك) فالتعجب في الاولى يكون من سرعة الانطلاق وفي الثانية من كثرته والاخرى من قلّته، فهو ليس بمعنى واحد.

من هذا يتبين أن ماسبق المصدر من فعل تعجب لايؤدي المعنى المأخوذ من الفعل على صيغة (افعل). يدلك على ذلك أنك قد تسبق الفعل القابل لان يتعجب منه بما يخصص تعجبك فيمكنك مثلا أن تصوغ من الفعل (مشى) على وزن افعل للتعجب فتقول (ما امشاه) ويمكن أن تسبق المشي ايضا بفعل تعجب يخصص تعجبك من مشيه فتقول: ما اسرع مشيه! وما احسن مشيه! وما ابطأ مشيه! فيكون المشي متعجبا منه، يدلك على ذلك ايضا أن قولك (ما اعدله) لايماثل في المعنى (ما اشدّ عدله). وما أحسنه لايماثل (ما اشد حسنه)، و (ما امشاه) لايماثل: ما اشد مشيه.

ومن هذا يتبين أنه لايمكن ان تؤدي اية صيغة ثانية مؤدى بناء الفعل نفسه للتعجب.

التعجب من أمر ماض:

يؤتى بـ (كان) بين (ما) و (افعل) للدلالة على أن الصفة المتعجب منها كانت في الماضي نحو (ما كان اكرم خالدا) و (ما كان اعلمه بالناس).

جاء في (الكتاب): "وتقول: (ما كان أحسن زيدا) فتذكر (كان) لتدل انه فيما مضى"[٢٥].

---

(٢٥) كتاب سيبويه ١ / ٣٧.

وحكي (ما اصبح ابردها وما امسى ادفأها)[٢٦] ودخول أصبح وأمسى يفيد تعيين وقت البرد والدفء كما كان دخول (كان) لتعيين المضي.

ما افعلني له وما افعلني اليه :

تقول : (ما ابغضني له) و (ما ابغضني اليه) و (ما احب خالداً لبكر) و (ما احب خالداً الى بكر) فتأتي باللام اذا كان المتعجب منه فاعلاً وتأتي بالى اذا كان المتعجب منه مفعولا.

فمعنى (ما ابغضني له) انك تبغضه، ومعنى (ما ابغضني اليه) انه يبغضك.
وتقول : (ما احب خالداً لعمرو) اذا كان خالد يحب عمرا.
وتقول : (ما أحب خالدا الى عمرو) اذا كان عمرو يحب خالدا.

جاء في (الكتاب) : "تقول (ما ابغضني له) و (ما امقتني له) و (ما اشهاني لذلك) انما تريد انك ماقت وانه مبغوض وانك مشته. فان عنيت غيرك قلت (ما افعله) فانما تعني به هذا المعنى. وتقول : ما امقته وما ابغضه الّي انما تريد انه مَقيت وانه مبَغض اليك كما انك تقول : ما اقبحه وانما تريد أنه قبيح في عينك"[٢٧].

فان افهم فعل التعجب علما أوجهلا تعلق بالباء تقول : (ما اعلمه بالشعر) و (ما اعرفه بالفقه) و (ما اجهله بالانساب).

والخلاصة ان فعل التعجب اذا كان يتعدى في الاصل الى المفعول بنفسه تعدى اليه الآن باللام نحو (ما ابغض خالداً لسالم) و (ما اضرب محمداً لخالد) لان الاصل ابغض خالدٌ سالما وضرب محمدٌ خالدا. فسالم مفعول به لأبغض وخالد مفعول به لضرب فتعدى اليه الآن باللام.

واذا كان الفعل يفهم علما أوجهلا تعدى الى مفعوله بالباء نحو: ما أبصره بالفقه وما اجهله بالشعر.

---

(٢٦) شرح ابن يعيش ٧/ ١٥٠.

(٢٧) كتاب سيبويه ٢/ ٢٥١ - ٢٥٢ وانظر الهمع ٢/ ٩١.

وان لم يكن متعديا بنفسه بل بحرف جر بقي ذلك الحرف نفسه نحو: (ما ارغب خالدا في الخير) و (ما أعزّه عليّ) و (ما اسرعه الى العون !)[28].

٢ - أفعِل به

الصيغة الثانية من صيغ التعجب (أفعِلْ به). (أفعِل) بفتح الهمزة وكسر العين وسكون الآخر نحو (أكرِمْ بمحمد). قال تعالى ﴿أسمِع بهم وأبصر- مريم ٣٨﴾.

ويصاغ هذا البناء من كل فعل توفرت فيه الشروط المذكورة في البناء السابق.

وقد حلل النحاة هذه العبارة كما فعلوا في (ما افعله) فذهب اكثرهم الى ان (أفعِلْ) هذا فعل ماض على صورة الامر والباء زائدة في الفاعل فمعنى قولهم (أكرِمْ بمحمد): أكرمَ محمدٌ، أي: صار ذا كرم كأغدّ البعير أي: صار ذا غدة وأورقت الشجرة بمعنى صارت ذات ورق ثم غيرت صيغة الماضي الى صورة الامر فصارت (أكرِمْ محمدٌ) فقبح اسناد صيغة الامر الى الاسم الظاهر فزيدت الباء في الفاعل[29] للدلالة على التعجب لأنّ الباء كثيرا ما تزاد مع المتعجب منه نحو: (كفى بالله شهيدا) و (ناهيك بخالد رجلا) وحسبك به شاعرا.

وذهب الفراء والزمخشري وابن خروف الى أن (افعل) ههنا فعل أمر حقيقة وانه أمر لكل واحد بأن يصفه بالصفة المذكورة، فقولك (اكرم بمحمد) امر لكل واحد بأن يصف محمداً بالكرم والباء مزيدة في المفعول أو هي للتعدية داخلة على المفعول به.

جاء في (المفصل): "وعندي ان اسهل منه مأخذاً أن يقال إنه أمر لكل أحد بأن يجعل زيداً كريما، أي بأن يصفه بالكرم والباء مزيدة مثلها في قوله تعالى: ﴿ولا تُلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾[30] للتأكيد والاختصاص، أو بأن يصيّره ذا كرم والباء للتعدية. هذا اصله ثم جرى مجرى المثل فلم يغير عن لفظ الواحد في قولك: يارجلان اكرم بزيد، ويا رجال أكرم بزيد"[31].

---

(٢٨) انظر الهمع ٢/ ٩١، شرح الاشموني ٣/ ٢٥.

(٢٩) انظر التصريح ٢/ ٨٨، شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٤٣، المفصل ٢/ ١٦٩- ١٧٠.

(٣٠) البقرة ١٩٥.

(٣١) المفصل ٢/ ١٦٩- ١٧٠.

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : "فقال الفراء وتبعه الزمخشري وابن خروف إن (أحسِنْ) امر لكل أحد بأن يجعل زيدا حسنا ، وانما يجعله حسنا كذلك بأن يصفه بالحسن فكأن قيل : صفه بالحسن كيف شئت فان فيه كل ما يمكن أن يكون في شخص"[32] .

وقد رُدّ هذا الرأي بوجوه اهمها :

١ – انه لو كان امراً للزم ابراز ضميره فلا يقال بصورة واحدة للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث .

ورد هذا القول بأنه أُجري مجرى المثل والامثال لاتغيّر. ألا ترى أن (نعم) فعل ماض ولا تستند الى ضمير رفع بارز فلا يقال : نعمت ولا نعموا ولا نعمن . وكذلك (حبذا) فلا يقال : حبذي هند ولا حب أولاء ؟

٢ – انه لو كان امراً لم يكن الناطق به متعجبا كما لايكون الآمر بالحلف ونحوه حالفا .

وهذا مردود بأنه لايقصد به حقيقة الامر ، وانما حوّل الى انشاء التعجب كما في الفاظ العقود والقسم . فقولك (أقسم بالله) اصله خبر تقول : (هو يقسم بالله على اقل من ذلك وانا لا اقسم على هذا) ثم يحول القصد الى القسم فيكون قسما حقيقة نحو : (اقسم بالله انه مخلص) . وكذلك (بعت) و (اشتريت) ونحوهما من الفاظ العقود .

٣ – انه لو كان مسنداً الى ضمير المخاطب لم يله ضمير المخاطب نحو (أحسن بك) .

وقد ذهب بعضهم الى أن الضمير ليس للمخاطب وانما هو للمصدر المأخوذ من الفعل في قولك (أحسنْ بك) الضمير المستتر للحسن المدلول عليه باحسن كأنه قيل : أحسن يا حسن بزيد أي دم به والزمه .

وقال آخرون : الضمير المستتر في (افعل) للمخاطب المستدعى منه التعجب .

وهذا أقوى مأخذ على هذا الرأي اذ كيف يؤمر المخاطب بأن يصف نفسه بصفة ما بقصد التعجب؟ الاّ اذا قيل إنه ليس المقصود منه أمر المخاطب حقيقة بل هو تجوز فيقوله (أعدل بك) على معنى : صف نفسك بالعدل كيف شئت فأنت عادل .

---

(٣٢) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٤٤ وانظر التصريح ٢/ ٨٨.

وقد ذهب الزمخشري وجماعة كما ذكرنا الى أنه أمر لكل احد بأن يصفه بالصفة المتعجب منها ولم يقولوا هو أمر للمخاطب. والامر ليس مقصوراً على المخاطب بل هو قد يكون للمتكلم نحو (لأذهبْ اليه) والغائب والغائبة وغيرهم قال ﴿ولتنظر نفس ماقدمت لغد– الحشر ١٨﴾.

٤ انه لوكان أمراً لوجب له من الاعلال ماوجب لأقم وأبن[٣٣].

وهذا مردود بأنه لم يحصل فيه اعلال لئلا يلتبس بالامر الحقيقي. وقد اهملت العرب الاعلال في مواطن عديدة منعا للبس. من ذلك اسم التفضيل نحو (أسْيَرَ) و (ألْوَم) و (أبْيَن). والصفة المشبهة نحو (أسود) و (ابيض). واسم الالة نحو (مخيط) و (مِرود).

بل ان العرب تعل احد الفعلين ولا تعَل الآخر أمنا للبس نحو باض وبيِض وساد وسوِد وعار وعوِر.

ومن ذلك اهمالهم الاعلال في فعل التعجب (ما افعله) نحو ما اسيره وما ابينه.

ولو اخذنا بهذا الاعتراض لقلنا ردا على هؤلاء. انه لوكان الفعل في (ما افعله) فعلا ماضيا لحصل فيه اعلال كما في أقام وأجاد وأبان.

وقيل في تفسير هذه الصفة أيضا "ان قولك (أكرم بزيد) يفيد أن زيداً بلغ في الكرم الى حيث كأنه في ذاته صار كرما حتى لو اردت جعل غيره كريما فهو الذي يلصقك بمقصودك ويحصل لك غرضك كما ان من قال (اكتب بالقلم) فمعناه ان القلم هو الذي يلصقك بمقصودك ويحصل لك غرضك[٣٤].

والذي يبدو ان هذه الصيغة أمر بالمشاركة في التعجب. فالفرق بين قولك (ما احسن محمدا) و (أحسِنْ بمحمد) ان الاولى تعجب انفرادي يقوله المرء متعجبا من حسن محمد، واما (أحسن بمحمد) فهو دعوة الى التعجب من حسن محمد فأنت تدعو غيرك ليشاركك في هذا التعجب يدلك على ذلك تحويله الى صورة الامر كما يقول الاولون أو هو أمر حقيقة كما يقول الآخرون.

(٣٣) انظر التصريح ٢/ ٨٨– ٨٩، الهمع ٢/ ٩٠، شرح ابن يعيش ٧/ ١٤٨.

(٣٤) التفسير الكبير للرازي ٢١/ ٢٢١.

والباء في المتعجب منه قد تكون زائدة جيْ بها للدلالة على التعجب فمعنى (أكرم بمحمد) (اكرم محمدا) أي صفه بالكرم ولزمت الباء للدلالة على معنى التعجب لان الباء كثيرا ما يؤتى بها للدلالة على التعجب ، وقد تكون للالصاق فقولك (أحسن بمحمد) معناه الصق الحسن بمحمد مراداً منه التعجب .

٣-التحويل الى صيغة (فَعُل)

من صيغ التعجب ماحول من الافعال الى (فَعُل) بضم العين سواء كان مضموم العين اصلا كظرف ولؤم أم محولا من ثلاثي مفتوح العين أو مكسورة نحو فقُه وقضُو وعدُل بشرط تضمينه معنى التعجب . فتقول : (قضُوَ محمد) أي ما أقضاه و (عدُلَ خالد) أي ما أعدله و (ظرف سعيد) أي ما أظرفه .

وذلك ان الاصل في (فَعُل) ان يدل على الطبائع والسجايا كقبح وحسن وقد يحول الفعل الى هذه الصيغة لاغراض متعددة منها الدلالة على التحول في الصفات ومعناه ان الفعل اصبح سجية في صاحبه أوكالسجية فيه وذلك نحو فقِه وفقُه تقول (فقِه محمد المسألة) اذا فهمها ، وتقول (فقُهَ محمد) أي صار فقيها ، بمعنى انه لكثرة ممارسته الفقه اصبح الفقه له سجية أوكالسجية . وتقول (خطَب خالد) بفتح الطاء اذا القى خطبة . فان قلت (خطُب) بضم الطاء كان المعنى انه صار خطيبا أي تحولت الخطابة فيه الى سجية فلك أن تحوّل كل فعل ثلاثي الى هذه الصيغة للدلالة على تمكن الوصف في صاحبه .

ومنها الدلالة على التعجب نحو (كرم الرجل سعيد) بمعنى (ما أكرمه) و (حسن) بمعنى (ما أحسنه)[٣٥] . قال تعالى : ﴿كبُرَتْ كلمةً تخرج من افواههم-الكهف ٤﴾ .

جاء في (الكشاف) في هذه الآية : "وكلمة بالنصب على التميز والرفع على الفاعلية والنصب أقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل : ما اكبرها كلمة"[٣٦] .

---

(٣٥) انظر الهمع ٨٨/٢ ، شرح الرضي على الكافية ٣٥٢/٢ ، شرح ابن يعيش ١٢٩/٧ .

(٣٦) الكشاف ٢٥٠/٢ ، التفسير الكبير ٧٨/٢١ .

وقد كثر انجرار فاعل هذا الفعل المحول الى التعجب بالباء لأن الباء تأتي كثيرا في التعجب نحو (أكرم به) و (كفى به) و (حسبك به) فتقول : ظرف بمحمد وقبح بخالد بمعنى ما أظرفه وما أقبحه.

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "ولهذا كثر انجرار فاعل هذا الملحق بالباء وذلك لكونه بمعنى (افعل به) نحو ظرف بزيد أي اظرف به"[37].

وجاء في (التصريح) : "يجري (فعُل) المضموم العين في المدح والذم مجرى (فعُل) الدال على التعجب فلا يلزم فاعله أل أو الاضمار وهو الصحيح. وعلى هذا يجوز لك في فاعل (فعُل) المذكور أن تأتي به اسما ظاهرا أو مجردا من (أل) وأن تجره بالباء الزائدة تشبيها بفاعل (افعل) في التعجب وأن تأتي به ضميراً مطابقا لما قبله. فالظاهر المجرد من أل نحو: (فهم زيد) حملا على : ما أفهم زيدا. والمجرور بالباء وهو الاكثر نحو: (حسن بزيد) حملا على أحسن بزيد، وسمع من العرب (مررت بابيات جاد بهن ابياتا وجُدن ابياتا) حكاه الكسائي بزيادة الباء في الفاعل اولا وتجرده منها ثانيا. وأصل (جاد بهن ابياتا) جدن ابياتا من جاد الشيء جودة اذا صار جيدا.

ومثال الضمير المطابق ماقبله : (الزيدان كرما رجلين) و (الزيدون كرموا رجالا) حملا على ما أكرمهما رجلين وما أكرمهم رجالا"[38].

دخول الباء على المتعجب منه :

تدخل الباء على المتعجب منه كثيرا من ذلك دخولها دخولا لازما بعد صيغة (أفعِلْ) فيقال (أكرِم بخالد) ولولا هذه الباء لم يعرف أن المقصود به التعجب ، فلو قيل : اكرم خالدا لم يكن فيه معنى التعجب. فالباء عينت أن المقصود به التعجب.

وتدخل كثيرا في صيغ اخرى من صيغ التعجب فقد تدخل على فاعل (فعُل) المحول الى التعجب نحو (حُسن بخالد) و (كرُم به) ودخولها على الفاعل في نحو هذا يدل على أن المقصود بالفعل التعجب فاذا حذفت احتمل الكلام التعجب وغيره.

(٣٧) شرح الرضي على الكافية ٣٥٢/٢-٣٥٣.

(٣٨) التصريح ٩٨/٢-٩٩ وانظر حاشية الخضري ٥٤/٢.

وتدخل في فاعل (كفى) فيفيد الفعل التعجب نصا نحو ﴿كفى بالله وكيلا - الاحزاب ٤٨﴾ ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - الاسراء ١٤﴾ أي ما اكفاها. ولو حذفت الباء لم يكن الفعل نصا في التعجب فاذا قلت: (كفاك محمد) و (كفاك الماء) و (كفيتك الامر) لم يكن تعجبا. وكذا اذا قلت: (كفى الزمن واعظا) لم يكن الفعل نصا في التعجب بل يحتمل التعجب وغيره ونحوه قول الشاعر:

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وهذا لايكون في (كفى) وحدها بل في غيرها ايضا فيقال "نهاك بمحمد رجلا"[٣٩] على معنى التعجب.

وقد تدخل هذه الباء في اساليب اخرى تفيد التعجب نحو (ناهيك به رجلا) و (حسبك به رجلا) فاذا قلت (حسبك درهم) لم يكن فيه معنى التعجب وكذا اذا زدت الباء في (حسب) فقلت (بحسبك درهم) فانه ليس تعجبا بل هي مزيدة للتوكيد ومنه الاثر (بحسب ابن آدم من الدنيا لقيمات يُقِمْن صلبه) فاذا دخلت على الخبر كان الكلام تعجبا نصا نحو (حسبك بخالد شاعرا).

وقد تقول: قد يفيد الكلام التعجب بدونها نحو (ناهيك محمد) و (حسبك خالد) فنقول: قد يكون ذلك ولكن الكلام عند ذاك ليس نصا في التعجب بل هو محتمل للتعجب وغيره فاذا جئت بالباء كان للتعجب نصّا.

الفرق بين فعُل وما أفعل وأفعِل به:

تقول: ما أكرم خالدا وأكرم بخالد وكرم خالد وكرم بخالد، فما الفرق بين هذه التعبيرات؟

اما الفرق بين (ما أكرم خالدا) و (اكرم بخالد) فقد مرّ.

---

(٣٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٩ - ١٢٠.

واما (كرم خالد) فيدل على التحول في الصفة. فالتعجب بـ (فعُل) معناه ان الوصف تحول في صاحبه وتمكن منه الى درجة يتعجب منها، فقولك (ما أحسن خالدا) معناه انك تتعجب من حسن خالد. واما (حسن خالد) فمعناه ان خالدا اتصف بالحسن وتمكن منه الوصف الى درجة يتعجب منها. ففي (فعُل) معنى التحول بخلاف (ما أفعل) فان (ما أفعل) للتعجب من الامر كما هو الآن من دون نظر الى الماضي. اما (فعُل) فيفيد التحول الى درجة التعجب. فالمتعجِّب بهذا الفعل ينظر الى الاصل الذي بدأ منه الفعل ثم بلغ هذا المبلغ.

تقول: (ما أكبر هذه الكلمة) تصفها بالكبر الآن فاذا قلت (كبرت كلمة) كان معناها ان هذه الكلمة قيلت فبلغت من الكبر درجة عظيمة يتعجب منها. قال تعالى: ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم - الكهف ٤، ٥﴾، أي ان هذه الكلمة خرجت من افواههم واتسعت وأضلت خلقا كثيرين فتعجّبْ من هذه الكلمة كيف بلغت هذا الكبر.

ونحوه قولك: (ما أبشع هذه الفعلة) و(بشُعت هذه الفعلة) فان العبارة الاولى تصف الفعلة بالبشاعة الآن، وأما الثانية فانها تفيد أن الفعلة اخذت بالبشاعة ازدياداً حتى وصلت الى حد فظيع يتعجب منه.

فصيغة (ما أفعل) تصف الحال وصيغة (فعُل) تصف تطور الحال وتحوله. يدلك على ذلك أن صيغة (فعُل) لايزال فيها معنى الحدث وان الفعلية لم تنمح كما انمحت من صيغة (ما أفعل) وان الفعل لايزال يستند الى فاعل مرفوع وانه تتصل به تاء التأنيث الساكنة ويرفع الضمير مما يدل على أن الحدث لايزال واضحا في هذا الفعل.

وتفيد صيغة (فعل) ايضا التعجب على وجه الاستمرار والثبات وذلك ان (فعُل) يدل على الثبوت اصلا أو تحويلا. فقولك (ما أحسن هذا المكان) يصف المكان بالحسن في وقت تعجبك، واما (حسُن هذا المكان) فانه يفيد التعجب من هذا الحسن فهي حسنة على وجه الدوام. قال تعالى في وصف الجنة ﴿حسُنت مستقرا

ومقاما – الفرقان ٧٦﴾ فهي حسنة على وجه الدوام. وقال يصف رفقة اهل الجنة : ﴿وحسُن اولئك رفيقا – النساء ٦٩﴾ يصفهم بالحسن على وجه الدوام والاستمرار.

اما اذا قلت (كبر بها كلمة) و (حسن به مقاما) كانت العبارة تنصيصا على معنى التعجب وتأكيداً له، ولا يبعد فيما أرى أن يقال إن الباء تفيد الالصاق على معنى التصق الكبر بالكلمة فهو لايفارقها. والتصق الحسن بالمقام. تقول (صبر بمحمد) ومعناه التصق الصبر بمحمد فهو لايفارقه. وتقول في غير هذا الباب (كفى بالزمن واعظا) أي التصقت الكفاية بالزمن والله اعلم.

٤ – التعجب بالنداء

يتعجب بالنداء وذلك بادخال لام جر مفتوحة على المتعجب منه مسبوقة بحرف النداء (يا) نحو ياللماء! ياللهول! ياللعجب! يالله! يالك شاعرا! وقد تحذف اللام فيجاء بالف في آخر المتعجب منه فيقال: ياعجبا! ياهَولا! والتعجب بالنداء على وجهين:

احدهما: أن ترى أمرا عظيما فتتعجب منه بندائه فتقول مثلا: ياللماء! اذا تعجبت من كثرته. وياللهول! اذا رأيت هولا عظيما فتتعجب من فظاعته.

جاء في (شرح ابن يعيش): "واما دخول اللام للتعجب فنحو قولهم: (يا للماء) كأنهم رأوا عجبا وماء كثيرا فقالوا تعال ياعجب وياماء فانه من ابانك ووقتك. وقالوا: (يا للدواهي) أي تعالين فانه لايستنكر لكن لأنه من احيانكن"[٤٠].

والوجه الآخر أن ترى امراً تستعظمه فتنادي من له نسبة اليه أو مكنة فيه نحو يا للعلماء[٤١]، وذلك كأن ترى جهازا علميا يبهرك فتنادي العلماء للاطلاع عليه أو تناديهم متعجبا من عملهم وصنعهم، وكأن تسمع قصيدة تهزك فتقول يا للشعراء متعجبا من فعلهم أو تدعوهم لسماع هذا الشعر متعجبا منه.

والتعجب بالنداء قياس مطرد.

---

(٤٠) شرح ابن يعيش ١/١٣١ وانظر كتاب سيبويه ١/٣٢٠.

(٤١) الهمع ١/١٨٠، التصريح ٢/٨١.

فاذا حذف اللام جئت بالالف في آخره نحو: ياعجبا ! ياأسفا !

والفرق بين هذه الصورة وما قبلها أن في الاخيرة مداً للصوت زيادة في التعجب واظهاره. فاذا قلت (يا أسفا) كنت مادّا صوتك بالاسف بخلاف قولك (يا للاسف) وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يا أسفا على يوسف – يوسف ٨٤﴾ فأن فيه مدّ الصوت بالالف للدلالة على شدة الاسف وتمكنه من نفس قائله. ونحو قوله تعالى: ﴿ياويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا – الفرقان ٢٨﴾، فانه ابلغ من (يا للويل) لما في مدّ الصوت بالويل من دلالة على فظاعة الويل. ومثله قوله تعالى ﴿ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي – المائدة ٣١﴾. وهذا اشبه شيء بالندبة وما فيها من مدّ للصوت اظهاراً للحسرة والتوجع نحو (واعمراه) (واكبداه). ويجوز التعجب بـ (وا)[٤٢] نحو (واأسفا) لما بينهما من الاقتراب.

ويبدو أن التعجب بزيادة الالف في الآخر اكثر ما يكون فيما كان فيه عاطفة قوية عميقة فيمد الصوت اظهاراً لذلك نحو: ياحسرتاه ! يافرحتاه ! قال تعالى: ﴿أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرّطت في جنب الله – الزمر ٥٦﴾ وهذا مقام حسرة لا يعدلها حسرة والله اعلم.

وقد يخلو المتعجب منه من اللام والالف نحو (ياعجب)[٤٣]. قال تعالى: ﴿ياحسرةً على العباد – يس ٣٠﴾ وقال: ﴿يا ويلنا هذا يوم الدين – الصافات ٢٠﴾ وقال ﴿يابشرى هذا غلام – يوسف ١٩﴾.

وهذا تعجب بالنداء أي (ياللحسرة على العباد) ومعناه: اقبلي ايتها الحسرة فهذا أوانك.

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿ياحسرة على العباد﴾: "نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل. والمعنى انهم أحقّاء بأن يتحسّر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون، أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين،

(٤٢) المغني ١/١٠٦.
(٤٣) التصريح ٢/١٨١.

ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجبه منه»[٤٤].

والتعجب بالنداء على هذه الصورة الاخيرة مستعمل في الدارجة كثيرا، نحو (ياروحي) (ياخسارة) (يافضيحة) (ياعيوني) (يافرحة مادامت) (ياسلام) بمعنى ياللخسارة! ياللفضيحة! ياللفرحة التي لم تدم وهكذا. وهي تعبيرات عربية فصيحة مراد بها معنى التعجب.

٥ – التعجب بتعبيرات معيّنة

قد يتعجب بتعبيرات معيّنة اشهرها:

أ – التعجب بـ (كفى) وما بمعناها

ويكون ذلك اذا زيد على مرفوعها الباء نحو (كفى بمحمد شاعرا) و(كفى بالشيب واعظا) أي يكفيك وعظ الشيب عن غيره والمعنى: ما اكفى الشيب واعظا وما اكفى محمداً شاعرا.

وذهب الزّجاج الى أن الباء زيدت في فاعل (كفى) لتضمنه معنى (اكتف)[٤٥]. وهو قريب من معنى التعجب.

قال ابن هشام: «لا تزاد الباء في فاعل كفى التي بمعنى اجزأ، وأغنى ولا التي بمعنى (وقى) والاولى متعدية لواحد كقوله:

قليل منك يكفيني ولكن ... قليلك لا يقال له قليل

والثانية متعدية لاثنين كقوله تعالى: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾[٤٦]... ووقع في شعر المتنبي زيادة الباء في فاعل (كفى) المتعدية لواحد قال:

(٤٤) الكشاف ٢/٥٨٦.

(٤٥) المغني ١/ ١٠٦.

(٤٦) الاحزاب ٢٥.

كفى ثُعَلاً فخرا بأنك منهم   ودهرٌ لأن امسيت من اهله اهل

ولم ار من انتقد عليه ذلك ، فهذا اما لسهو عن شرط الزيادة أو لجعلهم هذه الزيادة من قبيل الضرورة"[٤٧].

وقد تزاد في مفعول (كفى) المتعدية لواحد دالة على التعجب ايضا ومنه الحديث (كفى بالمرء اثما أن يحدّث بكل ما سمع) وقوله :

فكفى بنا فضلا على من غيرُنا   حب النبّي محمدٍ إيانا[٤٨]

ومثل (كفى) ما هو في معناها نحو (حسبك بمحمد رجلا) و (ناهيك بخالد عالما) و (نهاك بسالم معينا) ، وهي قريبة المعنى من (كفى).

ب- التعجب بـ (أيّ) الكمالية

وذلك نحو (مررت برجل أيّ رجل) و (بشاعر أيّ شاعر) و (بخالد أيّ رجل) فيؤتى بـ (أيّ) للدلالة على وصف الشيء بالكمال في معنى من المعاني والتعجب من حاله. وأيّ الكمالية لا تضاف الآ الى نكرة وتقع وصفا لنكرة وحالا من معرفة[٤٩].

قال سيبويه : "ومن النعت ايضا مررت برجل ايما رجل فـ(أيما) نعت للرجل في كماله وبذّه غيره كأنه قال : مررت برجل كامل"[٥٠].

ويبدو أن اصلها الاستفهام.

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "والذي يقوى عندي ان (أيّ رجل) لا يدل بالوضع على معنى في متبوعه بل هو منقول عن (ايّ) الاستفهامية وذلك ان الاستفهامية موضوعة للسؤال عن التعيين وذلك لا يكون الآ عند جهالة المسؤول عنه

---

(٤٧) المغني ١/ ١٠٧.

(٤٨) المغني ١/ ١٠٩.

(٤٩) انظر شرح ابن عقيل ١/ ١٢.

(٥٠) كتاب سيبويه ١/ ٢١٠.

فاستعيرت لوصف الشيء بالكمال في معنى من المعاني والتعجب في حاله. والجامع بينهما ان الكامل البالغ غاية في الكمال حيث يتعجب منه يكون مجهول الحال بحيث يحتاج الى السؤال عنه"[٥١].

ج- التعجب بادخال (ربّ) على الضمير

من اساليب التعجب ادخال (ربّ) على ضمير الغائب وتفسيره بتمييز نحو (ربه رجلاً لقيت) و (ربه امرأةً لقيت) والمعنى لقيت رجلا أيّ رجل أي لقيت رجلا عظيما. وهذا الضمير يكون مفرداً مذكراً مفسراً بتمييز مطابق للمعنى فنقول: ربه رجلا وربه امرأةً وربه رجالا وربه نساء وهذا "يفعلونه عند ارادة تعظيم الامر وتفخيمه فيكنون عن الاسم قبل جري ذكره ثم يفسرونه بظاهر بعد البيان"[٥٢].

د- لله دَرّه

وهي عبارة استعملت في التعجب نحو (لله دَرّه فارسا) و (لله دَرّه شاعرا). ومعنى (الدَّرّ) اللبن، ومعنى الجملة في الاصل: لله لبنه، أي ان الله سقاه لبنا خاصا فأصبح فارسا بطلا أو شاعرا مجيدا ثم ضمّن معنى التعجب فأصبح يستعمل في التعجب. وقريب من هذا قولهم: (لله أبوه) و (لله أنت).

هـ- التعجب بلام القسم

لا تأتي لام القسم الاّ اذا اريد بها التعجب[٥٣]، وهي لا تدخل الاّ على لفظ (الله) نحو (لله لا يؤخر الاجل) وهي مختصة بالامور العظام[٥٤]. وقد مرّبنا ذكرها في باب القسم.

---

(٥١) شرح الرضي على الكافية ١/ ٣٣٢.

(٥٢) شرح ابن يعيش ٨/ ٢٨.

(٥٣) انظر كتاب سيبويه ٢/ ١٤٤.

(٥٤) انظر شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٦٥.

٦ – تعبيرات غير منحصرة تستعمل في التعجب

وهناك تعبيرات غير منحصرة تستعمل في التعجب ، وذلك كأن يخرج الاستفهام الى التعجب نحو (أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا – هود ٧٢) ونحو (سبحان الخالق المبدع) اذا تعجبت من صورة جميلة و (لا اله الاّ الله) و (قاتله الله من رجل) و (العظمة لله) وما الى ذلك .

وهي تعبيرات غير منحصرة وانما تكون بكل ما يؤدي معنى التعجب .

المدح والذم

استعمل العرب للمدح والذم (نعم وبئس) وما حوّل الى معناهما من الافعال فتقول : (نعم الرجل محمود) و (بئس الرجل سالم).
و (نعم) و (بئس) فعلان ولهما استعمالان :

احدهما أن يستعملا فعلين متصرفين مثل سائر الافعال "فيكون لهما فعل مضارع وأمر واسم فاعل وغيرها وهما اذ ذاك للاخبار بالنعمة والبؤس"[55]. تقول : (نعِم الرجل بمعيشته) - بكسر العين - ينعَم فهو ناعم. قال تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناعمة - الغاشية ٨﴾.

وبِئس بها - بكسر العين - يبأس فهو بائس. قال تعالى ﴿وأطعموا البائس الفقير - الحج ٢٨﴾.

والاستعمال الثاني أن يستعملا لانشاء المدح والذم وهما في هذا الاستعمال جامدان لا يتصرفان.
وهذا القسم الثاني هو مدار بحثنا.

تستعمل (نِعْمَ) و (بِئس) للمدح العام والذم العام. تقول (نعم الرجل محمد) و (بئس الرجل سعيد) فتكون قد مدحت محمداً مدحا عاما وذممت سعيداً ذما عاما ولم تذكر خصلة معينة من خصال المدح والذم.

قال سيبويه : "وأصل نعْم وبئس نعِم وبئِس وهما الاصلان اللذان وضعا في الرداءة والصلاح ولا يكون منها فعل لغير هذا المعنى"[56].

وقد تذكر خصلة معينة من خصال المدح والذم اذا اردت ذلك فتقول مثلا (نعم خطيب القوم احمد) و (نعم شاعراً حسان)[57].

---

(٥٥) حاشية الصبان ٣/ ٢٦ وانظر التصريح ٢/ ٩٤، كتاب سيبويه ١/ ٣٠١.
(٥٦) كتاب سيبويه ١/ ٣٠١- ٣٠٢ وانظر شرح ابن الناظم ١٩٣.
(٥٧) انظر حاشية الصبان ٣/ ٢٧ - ٢٨ وشرح ابن يعيش ٧/ ١٣٠.

استعمالها في المدح والذم

لك أن تستعمل (نعم) و (بئس) في المدح والذم بعدة طرائق :

١ – أن تأتي بالفعل ثم الفاعل ثم المخصوص بالمدح والذم فتقول مثلا : (نعم العبد سلمان) و (نعم الصديق الكتاب) (وبئس الخلق الكذب).

٢ – أن تأتي بالمخصوص بالمدح والذم اولاً ثم تأتي بعده بالفعل والفاعل فتقول : (محمد نعم الرجل) و (الخيانة بئس الخلق).

٣ – أن تأتي بالفعل وتضمر الفاعل وتأتي بتمييز يفسر الفاعل ثم تأتي بالمخصوص فتقول : (نعم رجلاً محمد).

٤ – أن تبدأ بالمخصوص ثم الفعل ثم التمييز فتقول : (محمد نعم رجلاً).

٥ – اذا كان في الكلام ما يدل على المخصوص بالمدح والذم جاز لك أن تستغني عن ذكره وذلك كقوله تعالى ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم نعم المولى ونعم النصير– الحج ٧٨﴾ أي الله. وكقوله تعالى : ﴿والارض فرشناها فنعم الماهدون– الذاريات ٤٨﴾ أي نحن[٥٨].

ولا يجوز الاكتفاء بالفعل وفاعله من دون ذكر مخصوص أو اشارة اليه فليس لك أن تقول : (نعم الرجل) ولا (بئس الفاكهة).

فعناصر الاسلوب في المدح والذم هي

١ – فعل المدح والذم.

٢ – الفاعل.

٣ – المخصوص بالمدح والذم .

وبهذا يختلف فعل المدح والذم عن سائر الافعال. فان الافعال قد تكتفي بمرفوعها وهذه لا تكتفي به ، بل لابد من تعيين ممدوح أو مذموم.

---

(٥٨) شرح ابن يعيش ٧/ ١٣٥.

عناصر اسلوب المدح والذم

١ - الفعل

ذكرنا أن أصل افعال المدح والذم هما (نعم) و (بئس) فـ (نِعْم) للمدح العام و (بئس) للذم العام. ويجوز تحويل كل فعل من الافعال الثلاثية المستوفية لشروط التعجب الى (فَعُل) بقصد المدح والذم سواء كان مضموم العين اصالة كـ (شرُف) و (لؤُم) أم تحويلا كـ (فهُم) و (قضُو) بمعنى اجاد القضاء كما مرّ في باب التعجب فيستعمل استعمال (نعم) و (بئس) فيقال: (خبث الرجل سالم) و (كرم الرجل سعيد) فيكون بعد تحويله جامدا بعد أن كان متصرفا ولازما إن كان قبل تحويله متعديا ومن ذلك (ساء) المستعمل في الذم نحو قوله تعالى: ﴿فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذَرين - الصافات ١٧٧﴾، وقوله ﴿ألا ساء مايزرون - الانعام ٣١﴾ فأصله (ساء يسوء) وهو فعل متصرف متعد تقول: (ساءني هذا الامر) و (يسوؤني ما تفعل) ثم حول الى (فعُل) بقصد الذم فأصبح لازما جامدا.

جاء في (الهمع): "وأُلحِق بها، أي: بـ (نعم) في المدح و (بئس) في الذم عملاً فعُل بضم العين وضعاً كلؤم أو شرُف أو مصوغاً محولا من ثلاثي مفتوح أو مكسور كعقل ونجس"[٥٩].

"ومن امثلته (ساء)... فانه في الاصل (سوَأ) بالفتح من السوء ضد السرور من (ساءه الامر يسوؤه) اذا أحزنه فهو متعدّ متصرف فحوّل الى (فعُل) بالضم فصار قاصراً ثم ضمّن معنى (بئس) فصار جامداً قاصرا محكوما له ولفاعله بما ذكرنا في بئس"[٦٠].

وهذه الافعال تكون للمدح الخاص أو للذم الخاص بخلاف (نعم) و (بئس) فانها للمدح العام والذم العام، فاذا قلت مثلا: (كرم الرجل سعيد) كنت مدحته بالكرم، واذا قلت: (شرف) كنت مدحته بالشرف، واذا قلت: (لؤم) كنت ذممته باللؤم واذا قلت (بخُل) كنت ذممته بالبخل[٦١].

---

(٥٩) الهمع ٢/ ٨٧ وانظر شرح ابن يعيش ٧/ ١٢٩.

(٦٠) التصريح ٢/ ٩٨.

(٦١) انظر حاشية الخضري ٢/ ٤٥.

٢ – فاعل نعم وبئس

يكون فاعل نعم وبئس على ضربين :

الضرب الاول : ان يكون اسما ظاهراً معرفاً بـ (أل) او مضافا الى معرّف بـ (أل) فمن الاول قوله (نعم الأدام الخَلّ) وقوله تعالى : ﴿نعم المولى ونعم النصير– الانفال ٤٠﴾ ، ومن الثاني قوله تعالى : ﴿فنعم عقبى الدار– الرعد ٢٤﴾ . وما ورد بغير هاتين الصورتين قليل.

واختُلف في (أل) هذه فقال الجمهور هي للجنس. واختلف القائلون بذلك على رأيين :

احدهما انها للجنس حقيقة فاذا قلت (نعم الرجل خالد) كان الجنس كله ممدوحا ثم خصصت خالداً بالذكر فتكون قد مدحته مرتين ، مرة مع عموم الجنس ومرة افردته بالذكر وحده.

جاء في كتاب سيبويه : "اذا قلت (عبدالله نعم الرجل) فانما تريد أن تجعله من امة كلهم صالح ولم ترد أن تعرّف شيئا بعينه بالصلاح بعد نعم"[(٦٢)] .

الثاني انها للجنس مجازاً ، وذلك لانك لم تقصد الاّ مدح معيّن ولكنك جعلته جميع الجنس مبالغة فقولك (نعم الرجل خالد) معناه ان خالداً هو الجنس كله ، أي هو المتصف بصفات الرجولة الكاملة أو اجتمع فيه ما تفرّق في غيره من صفات الرجولة .

وقال آخرون : هي للعهد ، واختلف هؤلاء على قولين :

الاول : كونها للعهد الذهني أي تشير بها الى شيء معهود في الذهن كما تقول : (دخلت السوق) فأنت لا تقصد به الجنس كما لا تقصد به سوقا معينا تقدم ذكره ، ونحو قولك (اشتريت اللحم) وكذلك قولك (نعم الرجل خالد) فـ (الرجل) معهود ذهني ولا يقصد به شخص تقدم ذكره .

---

(٦٢) كتاب سيبويه ١/ ٣٠١ وانظر شرح ابن عقيل ٢/ ٤٢.

والقول الآخر انها للعهد الشخصي والمعهود هو الشخص الممدوح أو المذموم ، فاذا قلت (نعم الرجل محمد) فكأنك قلت : (نعم هو)[٦٣] .

الذي يبدو ان القول بأن (ال) تفيد الجنس أرجح وذلك انك تقول (نعم الفاكهة التفاح) ف (التفاح) جنس عام و (التفاح) خاص منه .

وتقول : (نعم الأدام الخلّ) فالادام عام و (الخل) خاص . و (نعم الشراب الماء) ف (الشراب) جنس عام و (الماء) قسم منه وخصه من بينه بالمدح ف (أل) ههنا جنسية كما هو واضح .

ومما يدل على أن (ال) للجنس لا للعهد أنك لا تمدح الشيء ب (نعم) اذا لم يكن معه فرد من جنسه ، فلا تقول مثلا (نعم مؤلف المفصل الزمخشري) ولا (نعم مؤلف لسان العرب ابن منظور) ولا (نعم الخارج من الجنة آدم) ولا (نعم ابو البشر آدم) لان مؤلف المفصل واحد هو الزمخشري ومؤلف لسان العرب واحد هو ابن منظور، لكن يصح أن تقول : (نعم المؤلف الزمخشري) ، لأن المؤلف جنس . ولا يصح كذلك أن تقول : (نعم الخليفة بعد أبي بكر عمر) لأن الخليفة بعد أبي بكر واحد ولكنك تقول (نعم الخليفة عمر) ، ولا تقول : (نعم الرشيد هرون) ولا (نعم الجاحظ عمرو بن بحر) ولا (نعم المبرد محمد بن يزيد) الاّ إذا قصدت الوصف وكان المقصود بالرشيد من اتصف بالرشد والمقصود بالجاحظ من اتصف بالجحظ عموماً وبالمبرد من اتصف بالتبريد .

ثم الا ترى انك لا تقول (نعم الهلال هذا) ولا (نعمت الشمس هذه) لان ليس هناك جنس تخصه من بينها الاّ اذا اردت مدح حال من احوالها كأن تكون الشمس مشرقة أو دافئة ونحو ذلك .

فاتضح بهذا أن فاعل (نعم) و (بئس) جنس و (أل) فيه جنسية . واما المخصوص بالمدح والذم فقد يكون فرعا من هذا الجنس وقد يكون فرداً تقول : (بئس الحيوان الذئب) فأنت ذممت جنس الذئب من بين جنس الحيوان . ف (الحيوان) عام و (الذئب) خاص منه . وتقول (بئس الرجال عبيد الشهوات) ف (الرجال) جنس عام و (عبيد الشهوات) جزء منهم . وتقول : (نعم العبد خالد) ف (العبد)

(٦٣) انظر التصريح ٢/ ٩٥ ، الهمع ٢/ ٨٥ .

عام و (خالد) واحد من هذا الجنس. فتبيّن من هذا أن الفاعل أعم من المخصوص دائماً وليس العكس فلا تقول (نعم الماء الشراب) ولا (بئس الذئب الحيوان).

وليس المقصود من هذا التعبير انك تمدح الجنس كله ثم تخص فرداً أو قسما منه بالذكر فتكون قد مدحته مرتين، ولا المقصود اجتماع خصال الجنس في الممدوح فيكون هو الجنس مبالغة، وانما المقصود تخصيص شيء من بين الجنس بالمدح فقولك (نعم الشراب الماء) ليس المقصود منه انك تمدح الشراب كله ثم تخص الماء منه بالذكر فتكون قد مدحته مرتين وانما المقصود أن تمدح الماء من بين الشراب وكذلك قولك (نعم الرجل خالد) فليس المقصود منه مدح الجنس كله وتخصيص خالد بالذكر، ولا المقصود اجتماع خصال الجنس فيه وانما المقصود تخصيص خالد بالمدح من بين افراد الجنس ولو كان المعنى على ما قاله الاولون لتناقض القولان (نعم الرجل محمد) و (بئس الرجل خالد) فانك في الاولى مدحت جنس الرجال كله ثم خصصت محمداً منهم بالذكر، وفي الثانية ذممت الرجال كلهم وخصصت خالداً منهم بالذم فتكون قد مدحت الجنس مرة وذممته مرة أخرى، ونحوه قولك: (نعمت التفاحة هذه) و (بئست التفاحة هذه) فمرة تكون مدحت الجنس كله ومرة تكون ذممت الجنس كله، ومثله (نعم الخُلُق الصدق) و (بئس الخُلُق الكذب) فتكون مرة مدحت الخلق ومرة ذممته.

ثم انك على هذا تُدخل في المدح مالا خير فيه من الجنس وتُدخل في الذم ما لا سوء فيه فيدخل في قولك (بئس الرجل خالد) ذم الانبياء والرسل، ويدخل في قولك (نعم الشراب الماء) و (نعم الطعام اللحم) مدح الغسلين والغسّاق والزقوم وما شاكله من طعام اهل النار وشرابهم مما ليس فيه شيء يمدح.

فهذا التفسير غير صحيح فيما أحسب، وكذلك التفسير الثاني وهو اجتماع خصال الجنس في شيء واحد فهذا لا يصح ايضاً. ألا ترى أنه في قولك (بئس الخُلُق الظن) لا يصح أن يقال اجتمع في الظن كل الخلق السيء، وانما المقصود كما ذكرت انك تمدح شيئا تخصه من بين جنسه أو تذمه.

والضرب الثاني من فاعل نعم أن يكون ضميراً مستتراً مفسَّراً بتمييز مطابق للمعنى نحو (نعم رجلا خالد) و (نعم رجالا انتم). قال تعالى: ﴿بئس للظالمين بدلا - الكهف ٥٠﴾ ولا يجوز أن يكون المرفوع فاعلا ل (نعم) اذ لو كان كذلك ما صح ان يقال (نعم رجلا أنت) بل لا تّصل بالفعل لانه لا يصح أن يقال (طاب نفسا أنت) بل يقال (طبت نفسا) ولأن المرفوع يدخل عليه الناسخ نحو (نعم رجلا كان محمد)[٦٤] ولو كان فاعلا لم يدخل عليه ناسخ. وتقدير الكلام (نعم الرجل رجلاً أنت) ولا يجتمع الفاعل والتمييز معاً وقد اجتمعا قليلا ومن ذلك قوله:

نعم الفتاةُ فتاةً هند لو بذلت ردّ التحية نطقا أو بايماء

ومن النثر ما حكي من كلامهم (نعم القتيل قتيلا اصلح بين بكر وتغلب)[٦٥].

ويدل اضمار الفاعل وتفسيره بالتمييز على أن الفعل خرج من الخبر الى معنى آخر كالتعجب او انشاء المدح والذم تقول (حسن شعراً قاله محمد) و (فشلت خطةً وضعها سالم) فهذا يفيد التعجب بمعنى (ما احسن شعراً قاله محمد) و (ما افشل خطةً وضعها سالم) أو يفيد انشاء المدح والذم ولا يفيد الاخبار بحسن الشعر وفشل الخطة ولو صرحت بالفاعل بدل التمييز فقلت (حسن شعرٌ قاله محمد) و (فشلت خطةٌ وضعها سالم) لاحتمل أن يكون اخباراً بذلك اي يكون اخباراً بأن شعراً قاله محمد قد حسن وان خطة وضعها سالم قد فشلت واحتمل المعنى الاول ايضا.

فالتمييز الذي يفسر الفاعل ينقل الفعل من دلالة الاخبار الى دلالة الانشاء.

وقد مرّ شيء من هذا في باب الفاعل.

نعمّا وبئسما:

تتصل بـ (نعم) و (بئس) (ما) فيقال: (نعم ما) و (بئس ما). وقد تدغم ميم (نعم) في ميم (ما) فيقال: (نِعِمّا). قال الله تعالى: ﴿ان الله نِعِمّا يعظكم به - النساء ٥٨﴾ وقال: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعِمّا هي - البقرة ٢٧١﴾ وقال:

---

(٦٤) شرح الاشموني ٣/ ٣٣.

(٦٥) انظر التصريح ٢/ ٩٥، شرح الاشموني ٣/ ٤٣.

﴿بئسما اشتروا به أنفسهم – البقرة ٩٠﴾ وقال : ﴿بئسما يأمركم به إيمانكم – البقرة ٩٣﴾ .

واختُلف في (ما) هذه على قولين :

الاول : انها تمييز بمعنى (شيء) فقوله تعالى : ﴿ان الله نعمّا يعظكم به﴾ معناه : نعم شيئا يعظكم به .

والآخر انها فاعل . وهي اسم موصول او معرفة تامة بمعنى الشيء أي : نعم الشيء يعظكم به .

وعلى اية حال فان (ما) كلمة مبهمة يؤتى بها لاغراض متعددة ، فقد يكون الغرض من الاتيان بها الابهام على السامع نحو أن تقول : (بئسما فعلت) فلا تذكر ما فعل لانك لا تريد أن يعلم احد بما فعل عدا المخاطب .

أو قد يكون الامر معلوما فلا تريد أن تعيد ذكره فتكتفي بالاشارة اليه .

أو قد يكون ذكره يتطلب كلاما كثيرا فلا تريد أن تطيل الكلام به ، بل توجز القول بوضع كلمة (ما) وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ان الله نعمّا يعظكم به – النساء ٥٨﴾ ولم يعد الوعظ ليجعله فاعلا لـ (نعم) ، بل جاء بـ (ما) للدلالة على ان كل ما يعظ به ربنا ممدوح .

٣– المخصوص بالمدح والذم

يؤتى بالمخصوص بالمدح والذم مرفوعا بعد الفعل وفاعله أو بعد التمييز إن وجد فيقال : (نعم الرجل خالد) و (نعم رجلا خالد) . وقد يؤتى به مقدما على الفعل فتقول : (خالد نعم الرجل) ، وقد يحذف للدلالة عليه كقوله تعالى : ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل – آل عمران ١٧٣﴾ أي هو. وقوله ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون – الصافات ٧٥﴾ أي : نحن .

وقد اختُلف في اعراب المخصوص بالمدح والذم على ثلاثة أوجه :

١ - انه مبتدأ خبره ما قبله.
٢ - انه خبر لمبتدأ محذوف وجوبا تقديره (هو) أي الممدوح أو المذموم.
٣ - انه بدل من الفاعل[٦٦].

والراجح الاول لانه لا يختلف اعرابه تقدم أو تأخر، فاذا قلت (نعم الرجل محمد) أو (محمد نعم الرجل) كان اعرابه واحدا. ولانه تدخل عليه النواسخ مقدما ومؤخرا فتقول: (نعم الرجل كان محمد) و (كان محمد نعم الرجل) ف (محمد) اسم (كان) و (نعم الرجل) خبرها تقدم أو تأخر. واسم كان مبتدأ في الاصل فدل ذلك على أن المخصوص مبتدأ. ولو كان المخصوص خبراً لا نتصب ب (كان) بل لم تدخل عليه (كان) لانها لا تدخل على المبتدأ اللازم الحذف[٦٧].

وتقول: (نعم الرجل ظننتك) و (ظننتك نعم الرجل) قال:[٦٨]:

يميناً لنعم السيدان وُجدتما   على كل حال من سحيل ومبرم

وأصل الكلام (لنعم السيدان انتما) ثم ادخل عليه الفعل الناسخ (وجد) مبنيا للمجهول فارتفع الضمير على أنه نائب فاعل وهذا يدل على أن الضمير كان مبتدأ وذلك انك تقول (ظننت محمدا قادما) ف (محمد) في الاصل مبتدأ فاذا بنيته للمجهول جعلت المفعول الاول نائب فاعل وابقيت المفعول الثاني منصوبا فتقول (ظُنَّ محمدٌ قادما) فدل ذلك على أن الضمير في البيت وهو المخصوص كان في الاصل مبتدأ.

وبذلك يُردّ قول من قال إنه بدل، فلو كان بدلا لم تدخل عليه النواسخ ثم انه "لازم وليس البدل بلازم"[٦٩].

---

(٦٦) شرح ابن يعيش ٧/ ١٣٤، شرح الاشموني ٣/ ٣٧.
(٦٧) انظر التصريح ١/ ١٨٣ - ١٨٤.
(٦٨) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٤٨، الهمع ٢/ ٨٧.
(٦٩) شرح الاشموني ٣/ ٣٧.

حبذا

من أفعال المدح (حبذا) تقول: (حبذا خالد). وهذه الكلمة مركبة من (حبَّ) و(ذا). و(حبَّ) فعل متصرف في الاصل تقول (حبّه يحبّه حبا). وتقول: (حبَّ إليّ هذا الشيء حبا وحبّبه إليّ جعلني أحبه)[1].

وحبذا الامر أي هو حبيب[2].

جاء في (الهمع) أن (حبذا) "كنعم في العمل وفي المعنى مع زيادة ان الممدوح بها محبوب للقلب. (حبذا) وأصله حبُب بالضم أي صار حبيباً لامن حبَب بالفتح ثم أدغم فصار حبّ"[3].

وجاء في (شرح ابن يعيش): "أعلم أن (حبذا) تقارب في المعنى (نعم) لانها للمدح كما ان نعم كذلك، الاّ ان حبذا تفضلها بأن فيها تقريباً للمذكور من القلب وليس كذلك نعم... و(حب) فعل متصرف لقوله منه: حبه يحبه... ولما نقل الى (فعُل) لاجل المدح والمبالغة كما قالوا قَضُوا الرجل ورمُو إذا أُحذق القضاء وأجاد الرمي منع التصرف لمضارعته بما فيه من المبالغة والمدح باب التعجب و(نعم) و(بئس). و(حبذا) لزم طريقة واحدة وهو لفظ الماضي وفاعله (ذا) وهو من أسماء الاشارة"[4].

وإما (ذا) فهو إسم إشارة قيل جيْ به ليدل على الحضور في القلب[5]. وقيل خلع منه الاشارة لغرض الابهام فـ (حبذا) بمعنى: حب الشيء. وقيل: (ذا) زائدة[6]، وقيل غير ذلك.

و(ذا) هذا لايتصرف ولا يتغير بل هو بلفظ الافراد والتذكير أيا كان المخصوص فتقول: (حبذا أحمد) و(حبذا عائشة) و(حبذا الرجلان القادمان) و(حبذا

---

(١) القاموس المحيط (حب) ١/ ٥٠.

(٢) القاموس المحيط ١/ ٥٠.

(٣) الهمع ٢/ ٨٨.

(٤) شرح ابن يعيش ٧/ ١٣٨ – ١٣٩.

(٥) شرح الأشموني ٣/ ٤٠.

(٦) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٥٣.

الرجال القادمون). وقد تركبت هاتان اللفظتان فأصبحتا لفظة واحدة تفيد المدح وتدل على أن الممدوح قريب من القلب. فإذا أردت الذم قلت: (لاحبذا).

إن طريقة التعبير بهذه اللفظة محددة ليس لك العدول عنها، فلابد أن تأتي بالفعل (حب) ف (ذا) ثم المخصوص. وليس لك أن تفصل بين حب وذا. فلا تقول: حب اليوم ذا خالد. وليس لك أن تقدم المخصوص فلا تقول (خالد حبذا). وليس لك ان تؤنث الفعل أو تثنيه أو تجمعه كما انه ليس لك ان تغير (ذا) فلا تؤنثه ولا تثنيه ولا تجمعه فهو أشبه شيء بالمثل كما يقول النحاة[7].

إن هذه اللفظة لفظة مركبة فقد فيها كل من عنصري التركيب خصائصه فليس في (حب) خصائص الفعل ولا في (ذا) خصائص اسم الاشارة وذلك أنه:

١- لا يجوز تأنيث (حب) إذا كان المخصوص مؤنثاً فلا تقول: حبت ذي هند.
٢- تدخل عليه (لا) النافية إذا أردت الذم فتقول (لاحبذا). و (لا) النافية لاتدخل على الفعل الماضي الاّ إذا تكرر أو أريد به الدعاء، ولاتدخل على فعل جامد. وهذا فعل ماض جامد ومع ذلك قد دخلت عليه (لا).
٣- إن اسم الاشارة (ذا) لايتغير بتغير المخصوص فلا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع.
٤- لايفصل بين الفعل و (ذا).

من هذا يتبين أن (حب) و (ذا) كلمتان تركبتا لافادة المدح ويؤتى بالمخصوص بعدهما.

المخصوص بالمدح:

يؤتى بالمخصوص بعد حبذا نحو قوله:

يا حبذا جبل الريان من جبل   وحبذا ساكن الريان من كانا

---

(٧) كتاب سيبويه ١/ ٣٠٢.

ولايجوز أن يتقدم المخصوص على الفعل فلا تقول (محمد حبذا) كما لايجوز أن يدخل عليه فعل ناسخ فلا تقول (حبذا كان محمد) كما يقال ؛ (نعم الرجل كان محمد)[٨] .

وقد يستغنى عنه إذا دل عليه دليل نحو قوله :

الا حبذا لولا الحياء وربما منحت الهوى من ليس بالمتقارب

وقوله :

فحبذا ربا وحب دينا

ويجوز أن يقع اسم إشارة فيقال : (حبذا هذا القادم). (حبذا هذا المسافر).

قال :

فيا حبذا ذاك الحبيب المبسمل

وقال :

الا حبذا ياعز ذاك التساتر[٩]

وهذا يدل على أن (ذا) خلع عنها معنى الاشارة إذا لوكانت باقية على معنى الاشارة لكان التعبير ضعيفاً سمجاً .

وقد يؤتى قبل المخصوص أو بعده باسم نكرة منصوب مطابق له في المعنى نحو: (حبذا رجلين الخالدان) و (حبذا الخالدان رجلين) ، وقد اختلف في هذا الاسم النكرة فقيل : هو تمييز مطلقاً . وقيل : حال مطلقاً ، وقيل : إن كان مشتقاً فهو حال وإن كان جامداً فهو تمييز. وقال ابو حيان : "المشتق ان اريد تقيد المدح به حال . وغيره وهو الجامد .

والمشتق الذي لم يرد به ذلك ، بل تبيين حسن المبالغ في مدحه تمييز.

مثال الاول ولايصح دخول (من) عليه (حبذا هند مواصِلةً) أي في حال مواصلتها . والثاني : وتدخل عليه (من) : حبذا زيد راكباً"[١٠] .

---

(٨) انظر شرح ابن يعيش ٧/ ١٣٩ ، التصريح ٢/ ٩٩.

(٩) الهمع ٢/ ٨٩.

(١٠) الهمع ٢/ ٨٩.

والحقّ انه بحسب المعنى فقد يكون تمييزاً وقد يكون حالاً وليس للجمود والاشتقاق دخل في ذلك. تقول: (حبذا الماء بارداً) وقيل: (حبذا المال مبذولاً بلا سرف) فهذا حال ولا يصح أن يكون تمييزاً بحال.

وتقول: (حبذا ذهبك سواراً) و (حبذا قمحك خبزاً) و (حبذا نارك رماداً) فالمنصوب ههنا حال وإن كان جامداً لأن المقصود أن الأمر محبوب في هذه الحال.

وتقول: (حبذا أخوك رجلاً) و (حبذا هند امرأة) وهذا تمييز وقد تدخل عليه (من): حبذا أخوك من رجل. قال:

ياحبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

وقد يحتمل في بعض التعبيرات الحالية والتمييز فان اردت تقييد المدح به فهو حال، وإن لم ترد كان تمييزاً وذلك نحو (حبذا أخوك راكباً) فإذا أردت أن تمدحه في حال ركوبه كان حالاً، وان لم ترد تقييد المدح في حال الركوب كان تمييزاً على معنى (حبذا أخوك من راكب) أي هو راكب جّيد. ونحوه (حبذا خالد أبا) فان أردت مدحه في حال أبوته كان حالاً وإذا أردت أنه أب جيد أي حبذا هو من أب، كان تمييزاً.

حبّ:

قد تفرد (حب) عن (ذا) فتقول: حب خالد وحب الشعر.

وهذا من باب تحويل الافعال الى (فعُل) بقصد المدح نحو بلُغ وعظُم ويجوز عند ذاك فتح حائها وضمها فتقول: (حَبّ سعيد) و (حُبّ سعيد) بفتح الحاء وضمها أما اذا ركبت فلا يجوز فيها الآّ الفتح[11].

---

(١١) انظر شرح ابن يعيش ٧/ ١٤١، شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٥٣، التصريح ٢/ ١٠٠.

ويجوز جر فاعلها بالباء الزائدة تشبيها بفاعل أفعِلْ في التعجب تقول : "حب بفلان أي ماحبه"[١٢] . قال الشاعر:

فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها وحب بها مقتولةً حين تقتل

وقال :

حب بالزُّور الذى لايرى منه الاّ صفحة او لمام[١٣]

أي أُحبِب بالزور

والخلاصة:

انه اذا افرد الفعل (حب) من (ذا) جاز فيه فتح حائه وضمها .
وجاز فيه جر فاعله بالباء الزائدة وعدمه .
اما اذا ركبت فلا يجوز فيه الاّ فتح الحاء ولا يجوز جر فاعله بالباء الزائدة .

وان الجر بالباء الزائدة يفيد التعجب وعدم الجر يحتمل المدح ويحتمل التعجب كما سبق تقرير ذلك في مكانه .

---

(١٢) القاموس المحيط (حب) ١/ ٥٠.
(١٣) انظر التصريح ٢/ ٩٩ ، شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٥٣.

اسم التفضيل

يفاضل بين الشيئين او الاشياء باسم التفضيل الذي يصاغ على وزن (افعل) بشروط معينة(*) ، نحو (أكرم) و (أحسن) وقد سقطت الهمزة من كلمتي (خير وشر) والاصل : أخير وأشر. قال تعالى : ﴿أنا خير منه – الاعراف ١٢﴾ . وقيل في (أحبّ) (حبّ) قليلا .

ويدل اسم التفضيل على الزيادة في اصل الفعل غالبا[1] ، ولا يخلو المفضل عليه من مشاركة المفضل في المعنى في الغالب كقولك : (خالد افضل من عباس) فان في كليها فضلا ، غير أن خالدا يزيد فضله على فضل عباس ، ومثله قولك (سيبويه انحى من الكسائي) "فالكسائي مشارك لسيبويه في النحو وان كان سيبويه قد زاد عليه في النحو"[2] .

وقد تكون المشاركة تقديرية لا حقيقية وليس ثمة مشاركة بين المفضل والمفضل عليه في اصل الوصف كقول القائل وقد خُيّر بين أن يُقتل بالسيف أو أن يُحرق بالنار (لأن أُقتل بالسيف أحبّ اليّ من أن أحرق بالنار) وليس في احدهما استحباب حقيقة ولكنه اختيار شيء مكروه على شيء أكره اليه يعني انه اذا كان لابد من اختيار احدى القتلتين فتلك أحبّ اليّ أو اقلّ بغضا اليّ .

جاء في (الهمع) : ﴿والمراد بقولنا ولو تقديراً مشاركته بوجه ما كقولهم في البغيضين : (هذا أحسن من هذا) وفي الشريرين : (هذا خير من هذا) وفي الصعبين (هذا أهون من هذا) وفي القبيحين (هذا احسن من هذا) وفي التنزيل : ﴿قال رب السجن أحب اليّ مما يدعونني اليه﴾[3] .
وتأويل ذلك : هذا أقل بغضا واقل شرا وأهون صعوبة وأقل قبحا"[4] .

(*) يصاغ اسم التفضيل من كل فعل ثلاثي تام متصرف مثبت مبني للمعلوم ليس الوصف منه على افعل فعلاء قابل للتفاوت. وهي الشروط التي مرت في صوغ فعل التعجب.

(١) انظر حاشية الخضرى ٢/ ٤٦. (٢) الهمع ٢/ ١٠٤.

(٣) يوسف ٣٣.

(٤) الهمع ٢/ ١٠٤.

قال تعالى: ﴿اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا – الفرقان ٢٤﴾ وليس ثمة اشتراك في الخير بين المستقرين. فليس عند اصحاب النار خير، بل هو شر محض.

ومن هذا القبيل ما يستعمل في التهكم نحو قولك (هو اخطب من الاخرس) و (هو انطق من الجدار وأعلم من الحمار) فليس ثمة مشاركة بين المفضل والمفضل عليه أصل الوصف، ولكنه يراد بذلك التهكم لانه يعلم أن الصفة منتفية عن المفضل عليه اصلا.

جاء في (شرح الكافية) للرضي: "ويقال في التهكم (أنت اعلم من الحمار) فكأنك قلت: ان امكن أن يكون للحمار علم فأنت مثله مع زيادة، وليس المقصود بيان الزيادة بل الغرض التشريك بينهما في شيء معلوم انتفاؤه عن الحمار"(٥).

وقد يكون التفضيل على وجه آخر وهو أن تفضل شيئا في كمال اتصافه بصفته على شيء آخر متصف بصفة أخرى مغايرة لتلك الصفة كقولهم (العسل احلى من الخل) وليس الخل مشاركا للعسل في الحلاوة، وانما المعنى أن اتصاف العسل بالحلاوة اكثر من اتصاف الخل بالحموضة، ومنه قولهم (الصيف احر من الشتاء) أي ان اتصاف الصيف بالحرارة اشد من اتصاف الشتاء بالبرودة.

جاء في (كليات أبي البقاء): "وقد يستعمل (افعل) لبيان الكمال والزيادة في وصفه الخاص وان لم يكن الوصف الذي هو الاصل مشتركا وعليه قولهم (الصيف احر من الشتاء) اي الصيف اكمل في حرارته من الشتاء في برودته"(٦).

قالوا وقد يأتي اسم التفضيل لغير قصد المفاضلة وذلك نحو قوله تعالى﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه – الروم ٢٧﴾ "فإنما تأويله وهو عليه هيّن لانه لايقال: شيء أهون عليه من شيء"(٧).

---

(٥) شرح الرضي ٢/ ٢٣٩، وانظر الكليات ابي البقاء ٣٩.

(٦) كليات ابي البقاء ٣٩ وانظر الهمع ٢/ ١٠٤.

(٧) المقتضب ٣/ ٢٤٥.

وأرى أن في هذا مفاضلة ايضاً وذلك لان الاعادة أسهل من الابتداء بالنسبة الى عقولنا وان لم يكن شيء أهون من شيء عليه سبحانه غير أن الكلام جاء على سبيل المحاجّة فانهم كانوا يستبعدون البعث حتى قال قائلهم ﴿من يحيي العظام وهي رميم – يس ٧٨﴾ فقال لهم إن الاعادة أسهل من البدء فهو الذي بدأ الخلق واعادته أهون وأيسر في حكم العقل فلماذا تستبعدون البعث بعد الموت؟

قالوا وقد يقصد باسم التفضيل "تجاوز صاحبه وتباعده عن الغير في الفعل لا بمعنى تفضيله بالنسبة اليه بعد المشاركة في أصل الفعل، بل بمعنى أن صاحبه متباعد في أصل الفعل متزايد الى كماله فيه على وجه الاختصار فيحصل كمال التفضيل"(٨).

وهذا الكلام فيه حق فإن اسم التفضيل قد يستعمل لا لتفضيل شيء على شيء آخر معيّن، بل قد يراد به مجرد الزيادة في أصل الوصف وذلك كقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم الاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده– الانعام ١٥٢﴾ فليس المقصود هنا التفضيل على شيء معيّن، بل المقصود أن يقربوا مال اليتيم بمزيد الحسن. ومثله قوله تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن– الاسراء ٥٣﴾ وقوله ﴿إدفع بالتي هي أحسن السيئة– المؤمنون ٩٦﴾ وقوله: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن– النحل ١٢٥﴾، فإن المراد من كل ذلك الزيادة في الحسن.

ولا يمتنع تقدير مفضل عليه كأن تقول (وجادلهم بالتي هي أحسن من غيرها) ونحو ذلك، غير أن ماذكرناه أظهر وأوضح والله أعلم.

ومما جاء في التفضيل قولهم: (هو أعقل من أن يكذب) و(هو أعلم من أن يجهل) و(أنت أكرم عليّ من أن أضربك) و(هو أبخل من أن يجود).

وظاهر هذا التعبير مشكل لاننا إذا أولنا أن والفعل بالمصدر صار الكلام (هو أعقل من الكذب وأعلم من الجهل وأكرم من الضرب وأبخل من الجود) ولا معنى له. وقد قدّر له سيبويه مضافاً محذوفاً هو (صاحب)، فالمعنى عنده (أنت أكرم من صاحب الضرب) و(أنت أحلم ن صاحب الجهل).

---

(٨) الكليات ٣٩.

جاء في (كتاب سيبويه): "ومثله في السعة: (أنت أكرم عليّ من أن أضربك) و (أنت أنكد من أن تتركه) إنما تريد أنت أكرم عليّ من صاحب الضرب، وأنت أنكد من صاحب تركه، لان قولك (أن أضربك وأن تتركه) هو الضرب والترك لان (أن) اسم و(تتركه وأضربك) من صلته كما تقول: يسؤوني أن أضربك، أي يسؤوني ضربك. وليس يريد أكرم عليّ من الضرب ولكن أكرم عليّ من الذي أوقع به الضرب"[9].

وهو بعيد لان قولك (هو أحلم من صاحب الجهل) أو (أحلم من صاحب جهله) و (أعقل من صاحب الكذب) و (أبخل من صاحب الجود) لايعطي المعنى المراد كما أنه لامدح فيه فهو تفضيل على الناقص.

وقيل المقصود بالمصدر الوصف فالمقصود بقولك (أنت أكرم عليّ من أن أضربك) أنت أكرم عليّ من المضروب، وكذلك: (أنت أحلم من الجاهل) و (أعقل من الكاذب) و (أبخل من الجواد) وهو تفضيل على الناقص ايضاً[10] في غير الاخيرة ولا يؤدي المعنى.

والمقصود من هذا التعبير بُعد المفضل عن الشيء المذكور بسبب وصفه فقولك (أنت أعقل من أن تكذب) معناه أنت بعيد من الكذب بسبب عقلك، وقولك (أنت أحلم من أن تجهل) معناه أنت بعيد من الجهل بسبب حلمك. و(من) هذه ليست تفضيلية بل هي لمجرد المجاوزة وأصلها ابتداء الغاية كقولك (خرج من الدار) فان معناه انه فارقها وتركها بخروجه وكان ابتداء خروجه منها. وكذلك (هو أعقل من أن يكذب) معناه أنه فارق الكذب بسبب عقله وفارق الجهل بسبب حلمه وليس المقصود تفضيل شيء على شيء وإنما جيء بالوصف على صيغة (أفعل) لبيان الزيادة في الوصف.

---

(٩) كتاب سيبويه ١٠٩/١.

(١٠) أنظر حاشية الصبان ٥٠/٣.

جاء في (شرح الرضي على الكافية): "وأما نحو قولهم: (أنا أكبر من الشعر) و (أنت أعظم من أن تقول كذا) فليس المقصود تفضيل المتكلم على الشعر، والمخاطب على القول بل المراد بعدهما عن الشعر والقول.

وأفعل التفضيل يفيد بعد الفاضل من المفضول وتجاوزه عنه فـ (من) في مثله ليست تفضيلية بل هي مثل ما في قولك (بنتُ من زيد وانفصلت منه) تعلقت بـ (أفعل) المستعمل بمعنى متجاوز وبائن بلا تفضيل. فمعنى قولك (أنت اعزّ عليّ من أن أضربك) أي بائن من أن أضربك من فرط عزتك عليّ. وإنما ذلك لان (من) التفضيلية يتعلق بأفعل التفضيل بقريب من هذا المعنى. الا ترى أنك إذا قلت (زيد أفضل من عمرو) فمعناه زيد متجاوز في الفضل عن مرتبة عمرو. فـ (من) فيما نحن فيه كالتفضيلية الاّ في معنى التفضيل ومنه قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه (ولهي بما تعدك من نزول البلاء بحسنك والنقص في قوتك أصدق وأوفى من أن تكذبك أو تغرك) أي هي متجاوزة من فرط صدقها عن الكذب[11]".

ويجوز فيما أرى أن أصله (أنت أعقل من أن تكون شخصاً يكذب) و (هو أحلم من أن يكون شخصاً يجهل) فحذف ما حذف فصار (أنت أعقل من أن تكذب وهو أحلم من أن يجهل) فيبقى التفضيل على حاله ومعناه والله أعلم.

تعديه الى المفعول:

إن اسم التفضيل لايتعدى بنفسه الى المفعول بل يتعدى بواسطة حرف الجر فهو يتعدى الى المفعول به عموماً باللام. تقول (هو أطلب للثأر، وأضرب منك لزيد) وأصله يطلب الثأر ويضرب زيداً. قال تعالى: ﴿ثم بعثناهم لنعلم أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا– الكهف ١٢﴾ وأصله: يحصي مالبثوا.

فإن كان من فعل دال على علم أو جهل عدي بالباء تقول (هو أعرف به وأدرى بكم وأجهل به) أي يعرفه ويدريكم ويجهله. قال تعالى: ﴿ربكم أعلم بكم–

(١١) شرح الرضي على الكافية ٢/٢٣٩.

الاسراء ٥٤﴾ وأصله يعلمكم. وهذه الباء قد تستعمل مع مفعول هذه الافعال فأنت تقول (هو يعلم به ويجهل به ويدري به). قال تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى– العلق ١٤﴾.

وإن كان اسم التفضيل من فعل دال على الحب والبغض عدي باللام الى ماهو مفعول في المعنى وبـ (الى) الى ماهو فاعل في المعنى. تقول: (همأحب الناس الى خالد) أي ان خالداً يحبهم. وتقول: (هم أحب الناس لخالد) أي هم يحبون خالداً. قال تعالى: ﴿والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله– البقرة ١٦٥﴾ أي يحبون الله. ونقول (هم أبغض الناس الى سعيد) أي ان سعيداً يبغضهم، وتقول: (هم أبغض الناس لسعيد) أي هم يبغضونه.

وإن كان من فعل يتعدى الى اثنين عُدي الى اولها باللام وترك الثاني منصوباً نحو (هو اكسى الناس للفقراء الثياب).

وإن كان من فعل يتعدى بحرف جر عُدّي اسم التفضيل بذلك الحرف نفسه تقول: (هو أزهد في الدنيا وأسرع الى الخير[١٢]).

أوجه التفضيل

يستعمل اسم التفضيل على أحد ثلاثة أوجه:

١ – أن يكون مجرداً من (أل) ومن الاضافة فيكون مفرداً مذكراً وتتصل به (من) لفظاً نحو (محمد أفضل من بكر) او تقديراً نحو قوله تعالى: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً– الكهف ٣٤﴾ أي منك[١٣] وإذا كان اسم التفصيل يفيد مجرد الزيادة في اصل الوصف لاتفضيل شيء على شيء لم تقترن به (من) كما سبق ذكره.

٢ – أن يكون مضافاً وهو على ضربين:

---

(١٢) أنظر شرح الاشموني ٥٦/٣، شرح الرضي ٢٤٤/٢، الهمع ١٠٢/٢.
(١٣) أنظر شرح ابن عقيل ٤٦/٢ – ٤٧، شرح ابن يعيش ٩٦/٦–٩٧.

أ- أن يكون مضافاً الى نكرة فيلزم الافراد والتذكير نحو: (محمد أفضل رجل) و (عائشة أفضل امرأة) ويلزم المضاف اليه أن يطابق الموصوف نحو (المحمدان أفضل رجلين) و (المحمدون أفضل رجال) و (الهندات أفضل نسوة).

ب- أن يكون مضافاً الى معرفة ويجوز فيه المطابقة وعدمها نحو: (هند أفضل النساء أو فُضلى النساء) و (المحمدان أفضل الرجال أو أفضلا الرجال). قال تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة – البقرة ٩٦﴾ فأفرد. وقال: ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها – الانعام ١٢٣﴾ فطابق.

وثمة فرق بين المطابقة والافراد، فإن الافراد يقصد به التفضيل تنصيصاً وأما المطابقة فهي تحتمل أن المراد باسم التفضيل مجرد الزيادة في الوصف وتحتمل التفضيل ايضاً كما يحتمل أن المقصود به الذات لا الوصف. قال تعالى: ﴿ولتجدنّهم أحرص الناس على حياة – البقرة ٩٦﴾ وقال ﴿لتجدنّ أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا، ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى – المائدة ٨٢﴾، وقال ﴿أولئك هم خير البرية – البينة ٧﴾، وقال: ﴿أولئك هم شرّ البرية – البينة ٦﴾ فأفرد في كل ذلك والمقصود به التفضيل نصاً.

وقال: ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها – الانعام ١٢٣﴾ وقال: ﴿وما نراك اتّبعك الا الذين هم أراذلنا – هود ٢٧﴾ فطابق، وقد يقصد بذلك التفضيل وقد يقصد بهم الاشخاص الموصوفون بهذه الصفات أي الذوات بمعنى هذا الصنف من الناس، وقد يكون المقصود به الزيادة في الوصف. فانك قد تقول مثلاً (هذا أحسن العراق) ولا تقصد به التفضيل على العراق وإنما تقصد هذا هو الاحسن الذي في العراق أو الاحسن العائد الى العراق، فإن قصدت نحو هذا المعنى وجبت المطابقة لانك لم تقصد به المفاضلة فتقول: (هؤلاء أحاسن العراق) أي الاحاسن العائدون الى العراق. فالإفراد يدل على التفضيل نصاً وأما المطابقة فهي تحتمل التفضيل وعدمه.

جاء في (شرح الاشموني): "وما لمعرفة أضيف ذو وجهين منقولين عن ذي معرفة هما المطابقة وعدمها. هذا إذا نويت بـ (أفعل) معنى (من) أي التفضيل على ما

أضيف اليه وحده... وإن لم تنو بأفعل معنى (من) بأن لم تنويه المفاضلة أصلاً او
تنويهاً لا على المضاف اليه وحده بل عليه وعلى كل ما سواه فهو طبق ما به قُرن وجهاً
واحداً كقولهم (الناقص والاشج اعدلا بني مروان) أي عادلاهم ، ونحو: (محمد
ﷺ أفضل قريش) أي أفضل الناس من بني قريش ، وإضافة هذين النوعين
لمجرد التخصيص ولذلك جازت إضافة (أفعل) فيها الى ما ليس هو بعضه بخلاف
المنوي فيه معنى (من) فانه لايكون الاّ بعض ماأضيف اليه ، فلذلك يجوز (يوسف
أحسن اخوته) ان قصد الاحسن من بينهم أو قصد حَسَنهم ، ويمتنع إن قصد
أحسن منهم [١٤]».

ولا يضاف (أفعل) اذا قصد به التفضيل الى شيء الا وهو بعضه كقولك :
(خالد أفضل الرجال) فإن خالداً رجل ولا يصح أن تقول (خالد أفضل النساء).
وتقول : (أبو بكر أفضل بني تميم) أي هو منهم ولا يصح أن تقول (أبو بكر أفضل بني
مخزوم) لانه ليس منهم بل يجب أن تقوله بـ (من) اذا أردت ذلك فتقول : (أبو بكر
أفضل من بني مخزوم) و (فاطمة أفضل من كثير من الرجال) فإن التفضيل بـ (من)
لايشترط أن يكون المفضل من جنس المفضل عليه.

جاء في (المقتضب) : "ولا يضاف (أفعل) الى شيء الاّ وهو بعضه كقولك :
(الخليفة أفضل بني هاشم). ولو قلت : الخليفة أفضل بني تميم كان محالاً لانه ليس
منهم .... وكذلك تقول (الخليفة أفضل من بني تميم) لان (من) دخلت للتفضيل
واخرجتهم من الاضافة [١٥]».

وقد تقول : مالفرق بين قولك : (محمد أفضل رجل) و (محمد أفضل الرجال)؟

والجواب أن قولك (محمد أفضل الرجال) يقصد به تفضيل محمد على جميع
الرجال أي هو الرجل الذي لاأفضل منه.

---

(١٤) شرح الاشموني ٤٨/٣–٤٩ وانظر التصريح ١٠٥/٢

(١٥) المقتضب ٣٨/٣ وانظر شرح ابن يعيش ٩٦/٦.

وأما قولك (محمد أفضل رجل) فمعناه أن محمداً فيه صفات الرجل الافضل أي إنك إذا عرفت كيف يكون الرجل الفاضل فى أعلى صفاته وفضله فذلك الرجل الفاضل جداً هو محمد.

جاء في كتاب (التطور النحوي) : "فاضافة الوصف الى مفرد منكر ك (أفضل رجل) خاصة بالعربية فنكروا المضاف اليه بدل تعريفه فأشاروا بذلك الى أن الرجل ليس بالافضل الذي لاأفضل منه بين الرجال البتة بل واحد من الافاضل وأفردوا المضاف اليه بدل جمعه لانهم لو قالوا (أفضل الرجال) لكان المعنى : الافضل الذي لاأفضل منه بين بعض الناس ، وهذا غير المراد. فالاضافة في (أفضل رجل) قريبة منها في (مدينة بغداد)ومثلها أي تبيينية فكما أن (مدينة بغداد) معناها المدينة التي هي بغداد فكذلك (أفضل رجل) معناها فضل كثير الفضل هو رجل.

والاضافة في (أفضل الرجال) تخالف تلك فهي اضافة البعض الى الكل. فينتج من الفرق في طبيعة الاضافة بين العبارتين فرق في المعنى زائد على ماينتج من تنكير الرجل وافراده في (أفضل رجل)، وذلك أن معنى (أفضل رجل) لايكاد يزيد على : رجل فاضل جداً(١٦)".

٣- أن يكون معرّفاً ب (أل) وتلزم فيه المطابقة ولا تذكر معه (من) التفضيلية تقول : (محمد الافضل) و (خديجة الفضلى).

وهذه الصفة تستلزم أن يكون الموصوف بها في أعلى درجات المفاضلة. قال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين- آل عمران ١٣٩﴾ ، وقال : ﴿ولله الاسماء الحسنى- الاعراف ١٨٠﴾ وقال ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا- التوبة ٤٠﴾ وقال : ﴿ولله المثل الاعلى- النحل ٦٠﴾ وقال : ﴿هل ننبئكم بالاخسرين اعمالاً- الكهف ١٠٣﴾ وقال : ﴿لاتخف إنك أنت الاعلى- طه ٦٨﴾ وقال : ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى - طه ٧٥﴾ وقال : ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون- الدخان ١٦﴾.

فالتفضيل ب (ال) هو أعلى وأعم درجات المفاضلة.

---

(١٦) التطور النحوي ١٠١.

النداء

المنادى هو المطلوب اقباله بحرف نداء ظاهر أو مقدّر[1].

وحروف النداء هي: (يا وأيا وهيا وآ وأي والهمزة) وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ياآدم انبئهم باسمائهم – البقرة ٣٣﴾ وقول الشاعر:

أيا شجر الخابور مالك مورقاً   كأنك لم تحزن على ابن طريف

وقوله

فقلت: هيا ربّاه ضيفُ ولا قِرى   بحقك لاتحرمه تا الليلةَ اللحما

وقوله:

أفاطم مهلاً بعضَ هذا التدلل   وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

وأشهرهن (يا) ولم يرد من حروف النداء في القرآن الكريم غيرها.

وأمّا أيا وهيا فهما ليسا الآ (يا) مسبوقة بالهمزة او بالهاء.

وقد ذهب قسم من النحاة الى أن ماعدا الهمزة من أحرف النداء وهي (يا وأيا وهيا وآ وأي) تكون لنداء البعيد أو من هو بمنزلته، وأما الهمزة فللقريب.

جاء في (الكتاب): "الا أن الأربعة غير الألف[2] قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم او للانسان المعرض عنهم الذي يرون أنه لايقبل عليهم الآ باجتهاد أو النائم المستثقل.

---

(١) المنادي عند النحاة هو المطلوب اقباله بحرف نائب مناب ادعو لفظاً او تقديراً ـ شرح الرضي على الكافية ١٤١/١.

(٢) لم يذكر سيبويه الالف الممدودة (آ) وقد ذكرها ابن مالك – أنظر شرح ابن عقيل ٧١/٢.

وقد يستعملون هذه التي للمد في موضع الالف ولا يستعملون الالف في هذه المواضع التي يمدون فيها[٣]».

وذهب آخرون الى أن (يا وأيا وهيا) للبعيد ومن هو بمنزلته و (أي) والهمزة للقريب.[٤]

وقيل إن (أيا وهيا) للبعيد و (أي والهمزة) للقريب و (يا) لهما. وقيل إن (أي) للمتوسط[٥].

والحق ان (أي) لاتكون للبعيد لان البعيد يحتاج الى مد الصوت لندائه و (أي) ليس فيها مد بخلاف (يا) واخواتها.

جاء في (شرح ابن يعيش): "وأي والهمزة تستعملان اذا كان صاحبك قريباً، وإنما كان كذلك من قبل أن البعيد والمتراخي والنائم والمستثقل والساهي يفتقر في دعائهم الى رفع صوت ومده. وهذه الاحرف الثلاثة التي هي (يا) و (ايا) و (هيا) اواخرهن الفات والألف ملازمة للمد فاستعملت في دعائهم لامكان امتداد الصوت ورفعه وليست الياء هنا في (أي) كذلك لانها ليست مدة والهمزة ليست من حروف المد فاستعملت للقريب[٦]".

وقد ينادى القريب بما هو للبعيد كقولك (ياأخي) مع أنه قريب منك قال تعالى: ﴿قالوا يأبانا مالك لاتأمنّا على يوسف– يوسف ١٢﴾ وقال: ﴿ياصاحبي السجن– يوسف ٣٩﴾.

حذف حرف النداء:

يجوز حذف حرف النداء نحو قوله تعالى: ﴿يوسف اعرض عن هذا– يوسف ٢٩﴾ وقوله: ﴿اعملوا آل داود شكراً– سبأ ١٣﴾، ويلزم ذكر حرف النداء مع

(٣) كتاب سيبويه ٣٢٥/١، وانظر شرح ابن عقيل ٧١/٢.
(٤) المفصل ٢٠٢/٢.
(٥) شرح الاشموني ١٣٤/٣.
(٦) شرح ابن يعيش ١١١/٨.

(الله) ومع اسم الجنس سواء كان نكرة مقصودة أم غير مقصودة واسم الاشارة ، فاذا ناديت (الله) قلت : ياألله وكذا اسم الجنس واسم الاشارة نحو (يارجل) و (ياهذا) وليس لك أن تحذف حرف النداء وشذ (أصبحْ ليل) أي ياليل و (افتدِ مخنوقُ) اي يا مخنوق و (أطرِقْ كَرا) أي يا كَروان ويلزم الحرف في الاستغاثة والتعجب والندبة[7] نحو يالخالد ويا للهول و وامحمداه.

ويبدو أن للحذف اغراضاً وخصوصاً في الكلام الفني ومن ذلك :

١ - الحذف للعجلة والاسراع بقصد الفراغ من الكلام بسرعة نحو قولك (خالد احذر) وكقولك (أحمد احمد انتبه).

٢ - وقد يكون الحذف للايجاز وذلك لان المقام قد يكون مقام ايجاز واختصار لامقام تبسط واطالة وذلك نحو قوله تعالى في سورة الاعراف : ﴿قال ابنَ أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني - ١٥٠﴾ فحذف حرف النداء (يا) من المنادى (ابن ام) في حين قال في سورة طه :
﴿قال يابنَ أمّ لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي - ٩٣﴾ بذكر (يا).

والسبب والله أعلم ان السياق في سورة الاعراف سياق إيجاز واختصار بخلاف آيات طه واليك كلاً من السياقين :

قال تعالى في سورة الاعراف : ﴿ولما رجع موسى الى قومه غضبان آسِفاً قال : بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجرّه اليه قال : ابنَ أُمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تُشمِتْ بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ١٥٠ قال : رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وانت أرحم الراحمين ١٥١﴾.

وقال في سورة طه : ﴿فرجع موسى الى قومه غضبان أسِفاً قال : ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً؟ أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ٨٦ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حُمّلنا اوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري ٨٧ ...﴾.

---

(٧) أنظر شرح الرضي على الكافية ١٧٢/١ ، شرح الاشموني ١٣٥/٣.

ثم ذكر موقف هرون : ﴿ولقد قال لهم هرون من قبلُ : ياقوم إنما فُتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتّبعوني وأطيعوا أمري ٩٠﴾ ثم توجّه باللوم الى هرون : ﴿قال ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلّوا ألا تتبعن أفعصيت أمري ٩٢ ، ٩٣﴾ .

فأجابه هرون : ﴿قال يابن أمَّ لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشِيت أن تقول فرّقت بين بني اسرائيل ولم ترقُب قولي ٩٤﴾ ويستمر الكلام .

فالكلام في سورة الاعراف كان مختصراً موجزاً وكان الموقف موقف عجلة واسراع ولانقول موقف تسرع فقد جاء موسى غضبان اسفا والقى الالواح وأخذ برأس اخيه يجره اليه من دون سؤال أو استفهام فحذف (يا) النداء تمشيا مع هذا الحذف والاختصار.

واما في سورة طه فالسياق سياق اطالة وسؤال وأخذ وردّ ولوم فجاء بـ (يا) وكأن هرون في الآية الاولى اراد الاسراع في تبيين الامر لموسى إذ لامجال للاطالة وقد اخذ موسى برأسه يجرّه اليه فحذف (يا) حتى ان القرآن لم يذكر هنا قول هرون (لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي) تمشيا مع الايجاز في الكلام وهوالمناسب لموقف العجلة التي اتّسم بها السياق .

واما في آيات طه فالسياق سياق اطالة وتبسط في الكلام ، فقد جاء موسى غضبان اسفا وسأل قومه موبخا لهم على فعلتهم قائلا : ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا . . .

فأجابوه قائلين : (ما اخلفنا موعدك بمَلْكنا ولكنا حُمّلنا اوزاراً من زينة القوم فقذفناها . . . .)

ثم ذكر موقف هرون منهم فقال : (ولقد قال لهم هرون من قبل ياقوم إنما فُتنتم به . . .)

وجواب قومه له : (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى). ثم توجه بالسؤال واللوم الى هرون : (قال ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ألّا تتبعن؟ . . .)

فأجابه هرون موضحا له الامر: (قال يابن أم لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي . . .)

فجاء بـ (يا) متودداً محاولا كسر حدة غضبه .

فحذفُ (يا) من آية الاعراف هو المناسب لسياق الايجاز والعجلة وذكرُها في سورة طه هو المناسب لسياق التبسط في الكلام والايضاح والتبيين.

ومن الحذف للاختصار قوله تعالى ﴿يوسفُ أعرض عن هذا واستغفري لذنبك - يوسف ٢٩﴾ فقد ارادوا ستر المسألة والكف عن الخوض فيها فقالوا ذلك بأخصر طريق حتى انهم لم يذكروا حرف النداء ، فحذف حرف النداء تمشيا مع هذا الاختصار والتستر.

٣- قد يكون ذكر (يا) للزيادة في التنبيه وللزيادة في التقريع وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قل ياأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السماوات والارض - الاعراف ١٥٨﴾ وقوله : ﴿ياايها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم - الحج ١﴾ وقوله : ﴿ياايها الناس ضُرب مثَل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضَعُف الطالب والمطلوب - الحج ٧٣﴾ وقوله : ﴿ياايها الانسان ماغرّك بربك الكريم الذي خلقك فسوّاك فعدّلك - الانفطار ٦، ٧﴾ بخلاف قوله تعالى : ﴿إن يشأ يُذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا - النساء ١٣٣﴾ ففي الآيات الاولى من الزيادة في التنبيه ومد الصوت للاسماع ماليس في الاخيرة. وهو واضح.

٤- قد يكون الحذف لقرب المنادى من المنادي سواء كان القرب حقيقيا ماديا ام معنويا فكأن المنادى لقربه لايحتاج الى واسطة لندائه ولو كان حرف نداء كأن تقول لمن تناديه وهو قريب منك : (خالد أتدري ماذا حلّ بفلان؟) ونحو قوله تعالى : ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت - هود ٧٣﴾ وقوله : ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا - الاحزاب ٣٣﴾ . وقوله : ﴿اعملوا آل داود شكرا - سبأ ١٣﴾ فهذا للقرب المعنوي بخلاف قوله تعالى : ﴿ياأهل الكتاب لم تُحاجّون في ابراهيم - آل عمران ٦٥﴾ .

اللهم :

نداء لله تعالى ولايذكر معه (يا) . قال تعالى : ﴿قل اللهمّ مالك الملك – آل عمران ٢٦﴾ .

وعند البصريين ان اصله (ياألله) والميم بدل من (يا) بدليل أنك لو اسقطت الميم لوجب ذكر (يا) فتقول : (ياألله) .
وعند الكوفيين ان الميم مقتطعة من جملة (أُمّنا بخير)[٨] .
وقد دلت الدراسات الحديثة على أن اصلها عبري هو (ألوهيم) ، ومعناها (الآلهة) وهم يريدون به الواحد وانما جمعوه للتعظيم .
"وقد تخرج (اللهم) عن النداء فيستعمل في وجهين آخرين :

احدهما ان يذكرها المجيب تمكينا للجواب في نفس السامع يقول لك (أزيد قائم؟) فتقول : (اللهم نعم) ، أو (اللهم لا) .
الثاني ان تستعمل دليلا على الندرة وقلة وقوع المذكور كقولك : (أنا لا ازورك اللهم الاّ أن تدعوني) الا ترى أن وقوع الزيارة مقرونة بتقدم الدعاء قليل؟"[٩] .

والظاهر في هذا ونحوه ان اصله نداء ثم انمحى عنه معنى النداء وذلك ان قولك لمن قال لك (أزيد قائم؟) : (اللهم نعم) هو إشهاد لله على جوابك فكأنك قلت : ياألله اشهد على ما اقول . وهذا الإشهاد تمكين للجواب في نفس السامع . وكذلك ما بعده وهو كونها دليلا على الندرة نحو قولك (انا لا ازورك اللهم الاّ أن تزورني) فهذا إشهاد لله على قولك كالاولى ، وأما الندرة فهي مفهومة من العبارة ولو لم تذكر (اللهم) . والمعنى على النداء ، ويدلك على ذلك أننا في الدارجة نستعمل (يارب) في نحو هذا فنقول مثلا (أنا لا أذهب اليه يارب الاّ إذا جاء واعتذر الّي .) وهذا نداء كما ترى غير أنه انمحى منه الاحساس بالنداء في التعبير.

---

(٨) أنظر كتاب سيبويه ١/ ٣١٠ ، شرح الرضي على الكافية ١/ ١٥٧ ، الهمع ١/ ١٧٨ ، التصريح ٢/ ١٧٢ .

(٩) التصريح ٢/ ١٧٢ ، وانظر شرح الاشموني ٣/ ١٤٧ .

المنادى

المنادى إذا كان مفردا معرفة بني على ما يرفع به نحو ياخالدُ ويارجلُ بلاتنوين.
ويدخل في المفرد المعرفة العلَمُ المفرد والنكرة المقصودة نحو (يارجلُ) وذلك لانك تقصد به واحداً بعينه وغيرهما نحو (ياهذا).

ومن المعلوم أن المراد بالمفرد هنا ماليس مضافا ولا شبيها بالمضاف فيدخل فيه المثنى والجمع فقولك (يارجلان) و (يارجالُ) منادى مفرد.
وإذا كان مضافا أو شبيها بالمضاف اوكان نكرة غير مقصودة فهو منصوب فالمضاف نحو ياعبد الله ويابائع الصحف.

والشبيه بالمضاف هو ما اتصل به شيء من تمام معناه بعملٍ اوعطف قبل النداء.
والعمل اما رفع او نصب أو جر بالحرف. فالرفع نحو (ياحسناً وجهُه) و (يامضروباً أخوه).
والنصب نحو (يامهيناً أباه) (ياسائرا فوق الخشبة).
والجر نحو (ياماراً بخالد) (يارؤوفا بالعباد).
والعطف قبل النداء نحو (ثلاثة وثلاثين) فيمن سميته بذلك قبل النداء وذلك نحو أن تضع ارقاما للافراد فتناديهم بأرقامهم: ياخمسة، ياستة، ياسبعة عشر، ياثلاثة وثلاثين، فهذا يجب نصبه للطول "وان ناديت جماعة هذه العدة عدتها فلايخلو اما أن تكون معينة أولا، فان كانت غير معينة نصبتها ايضا. اما الاول فلأنه اسم نكرة غير مقصودة. واما الثاني فلأنه معطوف على منصوب، وان كانت معينة ضممت الاول لانه نكرة مقصودة معرفة بالقصد والاقبال وعرفت الثاني بـ (أل) ونصبته أو رفعته بالعطف على المحل أو اللفظ كما في قولك: (يازيد والضحاك)" [10].

وكذا إذا ناديت رجلا وامرأة فان كانا نكرتين غير مقصودتين قلت: (يارجلاً وامرأةً) بنصبها، وان كانا مقصودين قلت: (يارجلُ والمرأة) بضم الرجل ورفع المرأة ونصبها وتعريفها بـ (ال) وقيل يجوز (يارجلُ وامرأةُ) [11].

---

(١٠) التصريح ٢/ ١٦٧ - ١٦٨.

(١١) انظر حاشية الصبان ٣/ ١٤١.

والنكرة غير المقصودة نحو قولك (ياغافلاً والموت يطلبه أفق) وكقول الاعمى: (يامارا خذ بيدي) ولايقصد به واحد بعينه.

فالقرق بين النكرة المقصودة وغير المقصودة ان المنادى في الاولى معين وفي الثانية غير معين.

ويتبين من هذا:

١ – ان المنادى المضموم معرفة دوما نحو قولك (يارجلُ) و(ياقائمُ) (ياخالدُ).

جاء في (كتاب سيبويه): "ان كل اسم في النداء مرفوع معرفةٌ وذلك انه إذا قال يارجل ويافاسق فمعناه كمعنى ياايها الفاسق وياايها الرجل"[١٢].

وقد حذف منه التنوين للدلالة على التعريف.

جاء في (الكتاب): "ومما يقوّي أنه معرفة تركُ التنوين فيه"[١٣].

وقالوإن سبب بنائه على الضم انه لو بني على الكسر لالتبس بالمنادى المضاف الى ياء المتكلم عند حذف يائه اكتفاءً بالكسرة فاذا قلت (ياغلام) دل ذلك على أنه مضاف الى ياء المتكلم بمعنى ياغلامي. قال تعالى: ﴿قال ربِّ ارجعوني – المؤمنون ٩٩﴾.

ولو بني على الفتح لالتبس به عند حذف الفه اكتفاء بالفتحة[١٤]. فقولك (ياغلامَ) معناه (ياغلامي). قال تعالى ﴿يابن أمَّ لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي – طه ٩٣﴾، أي: (يابن امي).

وسواء كان هذا اختياراً مقصوداً من العرب الاوائل ام لا فانه لاشك ان معنى الضم غير معنى النصب والكسر.

٢ – ان المنادى النكرة منصوب نحو (يارجلاً) (يامارًا).

---

(١٢) كتاب سيبويه ١/ ٣١٠.

(١٣) كتاب سيبويه ١/ ٣١١.

(١٤) حاشية الصبان ٣/ ١٣٧ وانظر حاشية الخضرى ٢/ ٧٢.

جاء في (الكتاب) : "وقال الخليل : اذا اردت النكرة فوصفت أو لم تصف فهذه منصوبة"[15] .

٣- المنادى المضاف والشبيه بالمضاف منصوب نحو (ياعبدَ الله) (ياطيّباً أصله) .

وعلى هذا فقولك :

١ - ياغلامُ- هو نداء لغلام معيّن .

٢ - ياغلامِ- هو نداء لغلامك بمعنى ياغلامي .

٣- ياغلامَ- هو نداء لغلامك بمعنى ياغلامي .

٤ - ياغلاماً- نداء لأيّ غلام كان أي نكرة غير مقصودة .

٥ - ياغلامَ محمد- نداء لغلام محمد .

نداء المعرّف ب (ال) :

يتوصل الى نداء المعرّف ب (أل) ب (أيّ) ويؤتى بالمنادى مرفوعا فيقال (يا ايها الرجلُ) قال تعالى : ﴿ياايها النبّيُ حسبك الله- الانفال ٦٤﴾ وقال : ﴿قل ياايها الكافرون- الكافرون ١﴾ فالنبّي في الحقيقة هو المنادى وليس (أياً) وكذلك مابعده وانما جئ ب (أيّ) توصلا لنداء مافيه (أل) .

وقد ذهب النحاة الى أن معنى المنادى المعرّف ب (أل) والنكرة المقصودة واحد لانها معرفة فقولك (يارجل) كقولك (ياايها الرجل) .

قال سيبويه : "اذا قال يارجل ويافاسق فمعناه كمعنى يا ايها الفاسق ويا ايها الرجل"[16] .

والحقيقة انه ليس معناهما واحداً فان المنادى في قولك (يارجل) نكرة في الاصل فقصدته بندائك له . واما المعرّف ب (أل) فهو معرفة قبل قصده بالنداء . ف (ال) هذه قد تكون (ال) الجنسية او العهدية .

---

(١٥) كتاب سيبويه ١/ ٣١١، ٣١٣.

(١٦) كتاب سيبويه ١/ ٣١٠.

فثمة فرق بين قولك (يانبي) و (يا ايها النبّي) و (يارسول) و (يا ايها الرسول) و (ياملك) و (يا ايها الملك).

ف (نبّي) نكرة في الاصل ثم قصدته بالنداء وكذلك (رسول) و (ملك) وأما (النبّي) في (يا ايها النبّي) فمعرفة وهو معيّن قبل ندائه فناديت هذه المعرفة.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ياأيها الذي نُزّل عليه الذكر إنك لمجنون – الحجر ٦﴾ فالذي نزل عليه الذكر معرفة قبل ندائه.

ان الفرق بين هذين المناديين كالفرق بين قولك (يارجل) و (ياخالد) فرجل نكرة قبل ندائه وقد قصدته بالنداء، واما (خالد) فهو معرفة قبل ندائه فناديته.

وقد يؤتى بـ (أيّ) للتعظيم نحو: (ياأيها الملك) (ياأيها العزيز) بخلاف مالو قلت (ياملك) (ياعزيز) فانه ليس في هذا تعظيم.

جاء في (تفسير الرازي): "قول القائل (يارجل) يدل على النداء وقوله (يا ايها الرجل) يدل على ذلك ايضا وينبئ عن خطر خطب المنادى له أو غفلة المنادى"[17].

وقد يتوصل الى نداء المعرّف بـ (ال) باسم الاشارة ايضا نحو (ياهذا الرجل) و (ياهذه المرأة) فيكون في الرجل والمرأة الرفع فحسب.

ويصح في نحو هذا أن تنادي اسم الاشارة وتجعل مابعده تابعا له فيكون فيه الرفع والنصب.

والخلاصة ان المعرّف بـ (ال) اما أن يتوصل الى ندائه بـ (أيّ) واما أن يتوصل الى ندائه باسم الاشارة فيقال (يا ايها الرجل) و (ياهذا الرجل) ويكون فيه الرفع فحسب في الحالتين.

غير أنه يصح أن تنادي اسم الاشارة مفرداً او متبوعا بتابع فتقول (ياهذا) و (ياهذا الرجل)، و (ياهذه) و (ياهذه المرأة)، (وياهؤلاء) (ياهؤلاء الرجال) فيكون مابعده تابعا له فيه الرفع والنصب[18]. في حين انه لايصح الاكتفاء بنداء (أيّ) فلا يقال: (يا أيّ) ولا (ياأيها).

---

(١٧) التفسير الكبير ٢٥/ ١٨٩.

(١٨) انظر كتاب سيبويه ١/ ٣٠٦، ٣٠٧، شرح ابن يعيش ٢/٧– ٨، التصريح ٢/ ١٧٤– ١٧٥، شرح الاشموني ٣/ ١٥٠– ١٥٣.

فقولك (يا ايها الرجل) هو نص في نداء الرجل ، واما قولك (ياهذا الرجل) فهو يحتمل نداء الرجل ونداء اسم الاشارة .

ومن هذا يتضح أن الفرق بين نداء (أيّ) واسم الاشارة من اوجه اهمها :

١ – انه لايجوز الاكتفاء بـ (أيّ) ويجوز الاكتفاء باسم الاشارة فلا تقول (ياايها) ويصح أن تقول : (ياهذا) .

٢ – ان قولك (يا ايها الرجلُ) هو نص في نداء الرجل ، واما قولك (ياهذا الرجل) ففيه احتمالان : نداء اسم الاشارة ونداء المعرّف بـ (أل) .

٣ – انه لايجوز غير الرفع في تابع (أيّ) ويجوز الرفع والنصب في تابع اسم الاشارة .

٤ – ان قولك (ياهذا الرجلَ) – بنصب الرجل – نص في نداء اسم الاشارة .

٥ – ان في النداء بـ (أي) من التعظيم ماليس في الاشارة ففي قولك (ياايها الملك) من التعظيم ماليس في قولك (ياهذا الملك) والله اعلم .

المنادى المضاف الى ياء المتكلم

فيه لغات ، اجودها حذف الياء والاكتفاء بالكسرة نحو قوله تعالى : ﴿ربِّ ابن لي عندك بيتا في الجنة – التحريم ١١﴾ .

والثانية اثبات الياء نحو (ياأخي) و (ياصديقي) .

والثالثة أن تفتح الياء نحو (ياغلاميَ) قال تعالى : ﴿قل ياعباديَ الذين اسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله – الزمر ٥٣﴾ . وقد تقلب الياء الفا نحو (ياغلاما) .

وهناك لغة أخرى وهي حذف الالف والاكتفاء بالفتحة نحو (ياغلامَ) . وبهذا تكون اللغات في نداء المضاف الى ياء المتكلم على النحو الآتي :

١ – ياغلامِ

٢ – ياغلامي

٣ – ياغلاميَ

٤ – ياغلاما

٥ – ياغلامَ

ولما كانت هذه لغات لم يكن الاختلاف فيها لأمر يتعلق بالمعنى ، فمن العرب من يقول : (ياغلامِ) وهي اشهر اللغات ، ومنهم من يقول : (ياغلامي) ، وهكذا[19] .

تابع المنادى

واحواله قائمة على اختلاف اللغات ايضا ، فمن العرب من يقول مثلا (يا اخانا خالداً) ومنهم من يقول (يا اخانا خالدُ) ، ومنهم من يقول (ياخالدُ والنضرُ) ومنهم من يقول (ياخالدُ والنضرَ)[20] .

وهذا لايتعلق به اختلاف معنى لانه أمر يقوم على اختلاف اللغات وهو نظير قول الحجازيين (ما محمد حاضراً) وقول التميميين (ما محمد حاضرٌ) لايتعلق باختلاف الحركة اختلاف معنى.

غير أن الاختلاف يكون تابعا للمعنى اذا كان الامر متعلقا بالتنكير والتعريف نحو (ياخالد ورجلاً) و (ياخالد ورجلُ) فـ (رجلا) المنصوبة نكرة و (رجل) بالضم معرفة[21] .

وقد ذكرنا في المشبه بالمضاف أنه اذا عطف على المنادى نكرة مقصودة ، وجب تعريفه بـ (ال) فتقول (يارجل والمرأة) ، واجاز بعضهم (يارجل وامرأة) .

ويبدو لي أن كليهما جائز وأن المعنى مختلف بين ادخال (أل) وحذفها وذلك ان المعرّف بـ (أل) هو معرفة قبل دخول (يا) عليه فناديته ، واما النكرة المقصودة فهو نكرة غير أنك عرفته با لقصد وقد مرّ تبيين ذلك بما فيه الكفاية.

وعلى هذا يصح أن نقول :

١ – يارجلُ وامرأةً – فيكون الرجل معرّفا بالقصد وتكون المرأة نكرة.

٢ – يارجلاً وامرأةُ – المنادى نكرة غير مقصودة والمعطوف معرّف بالقصد.

---

(١٩) انظركتاب سيبويه ١/ ٣١٦– ٣١٧ ، شرح ابن يعيش ٢/ ١١ .

(٢٠) انظر كتاب سيبويه ١/ ٣٠٤ ، ١/ ٣٠٥.

(٢١) انظرشرح الرضي على الكافية ١/ ١٤٦ .

٣- يارجلاً وامرأةً- كلا هما نكرة غير مقصودة.

٤- يارجلُ وامرأةُ- كلاهما معرّف بالقصد.

٥- يارجلُ والمرأةُ- الاول معرّف بالقصد والثاني معرّف قبل دخول حرف النداء عليه. واما حركة المعطوف المعرّف بـ (ال) ففيها لغتان: الرفع والنصب ولا ينبني عليها اختلاف في المعنى.

الترخيم

وفيه لغتان[1] : لغة من ينتظر ولغة من لاينتظر فتقول (يا أحمَ) في نداء (أحمد) على لغة من ينتظر و (ياأحمُ) على لغة من لاينتظر. ولا يتعلق بذلك اثر في المعنى لانها لغتان. واللغة الاولى اكثر استعمالا[2] .

اما الغرض من الترخيم :

١ – فقد يكون للفراغ من النداء بسرعة للافضاء الى المقصود وهو المنادى له . جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "الترخيم في المنادى دون غيره لكثرته ولكون المقصود في النداء هو المنادى له فقصد بسرعة الفراغ من النداء الافضاء الى المقصود بحذف آخره اعتباطاً"[3] .

٢ – اظهار أن المتكلم عاجز عن اتمام بقية المنادى لضعفه عن ذلك بمرض أو نحوه فيقول مثلا (ياخال) مناديا (خالدا) كأنه لايستطيع اتمام بقية الاسم. وهذا يحصل كثيراً في حياتنا اليومية فاننا نسمع المريض احيانا ينادي ابنه أو أخاه أو صديقه فلا يتم اسمه كأنه يعجز عن ذلك.

٣ – قد تقتضي الضرورة الشعرية هذا الحذف ليستقيم الوزن كقوله :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت   وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

وقوله :

أصاح ترى برقا أريك وميضه   كلمع اليدين في حبّي مكلل

---

(١) انظر كتاب سيبويه ١/ ٣٢٩– ٣٣٣ ، شرح ابن يعيش ٢/ ٢١ ، الهمع ١/ ١٨٤، التصريح ٢/ ١٨٨ .

(٢) انظر الهمع ١/ ١٨٤ ، التصريح ٢/ ١٨٨ .

(٣) شرح الرضي على الكافية ١/ ١٦٠ .

الاستغاثة

الاستغاثة هي نداء من يخلص من شدة أويعين على مشقة[1] . والغالب في نداء المستغاث أن يجر بلام مفتوحة وجوبا نحو (يالَخالد) إذا دعوته ليعينك ، وغير الغالب أن يحذف حرف الجر ويؤتى في آخر المستغاث بالف نحو (ياخالداه) .

وعناصر الاستغاثة هي :

١ - المستغاث : ويسمى ايضا المستغاث به نحو (يالَلّه) وقد ذكرنا أنه يجر بلام مفتوحة الاّ اذا كان المستغاث ياء المتكلم فانه يجر باللام المكسورة نحو (يالي) ، وكذا إذا كان معطوفاً ولم تُعد معه (يا) فإن اعدت (يا) وجب فتح اللام. تقول (يالَخالد ولسعيدٍ) بفتح اللام في خالد وكسرها في سعيد فان كررت (يا) فتحت اللام الداخلة على سعيد ايضا فتقول (يالَخالدِ ويالَسعيد) .

٢ - المستغاث له : ويجر بلام مكسورة فتقول (يالَلّه لِلمسلمين) و (يالَمحمد لِسعيد) فـ (محمد) مستغاث به وسعيد مستغاث له[2] .

واذا قلت (يالِمحمد) بكسر اللام علم أنه مستغاث[3] له وليس مستغاثا به .

قال سيبويه : "(هذا باب ماتكون فيه اللام مكسورة لانه مدعوّ له ههنا وهو غير مدعوّ) وذلك قول بعض العرب : ياللعجب ويالِلماء وكأنه نبّه بقوله (يا) غير الماء للماء"[4] .

٣ - المستغاث[5] منه وهو المستنصَر عليه ويجر بـ (من)[6] فتقول (يالَمحمد من خالد) إذا استنصرت بمحمد على خالد. وتقول (يالِمحمد من خالد) بكسر

---

(١) التصريح ٢/ ١٨٠ .

(٢) انظر كتاب سيبويه ١/ ٣١٩ - ٣٢١ ، التصريح ٢/ ١٨٠ - ١٨١ ، شرح الاشموني ٣/ ١٦٥ ، شرح ابن يعيش ١/ ١٣١ .

(٣) انظر شرح ابن يعيش ١/ ١٣١ .

(٤) كتاب سيبويه ١/ ٣٢٠ .

(٥) يسمي النحاة المستغاث منه : المستغاث من اجله والمستغاث له وآثرت هذه التسمية لانها ادل على المعنى واظهر (انظر شرح الاشموني ٣/ ١٦٥ ، شرح الرضي على الكافية ١/ ١٤٤) .

(٦) انظر شرح الرضي على الكافية ١/ ١٤٤ ، شرح الاشموني ٣/ ١٦٥ ، حاشية الصبان ٣/ ١٦٥ .

اللام إذا دعوت لنصرة محمد من خالد. وتقول (يالَمحمد لِسالم من خالد) إذا استغثت بمحمد لأن ينصر سالماً من خالد. وتقول: (يالله من ألم الفراق) و (يالِي من النوى) للمعنى نفسه.

٤- المنادى المهدد يجر باللام المفتوحة نحو قولك (يالَزيد لاقتلنّك) فأنت تهدده وتتوعده.

قال سيبويه في قول الشاعر:

يالَبكرٍ انشروا لي كليبا   يالَبكرٍ أين أين الفرار

" فاستغاث بهم لأن ينشروا له كليبا وهذا منه وعيد وتهدد. واما قوله (يالبكر أين أين الفرار) فانما استغاث بهم لهم أي لمَ تفرون استطالةً عليهم ووعيداً" [7].

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): "وقد تدخل اللام المفتوحة على المنادى المهدد نحو (يالَزيد لاقتلنك) قال مهلهل:

يالَبكرٍ أنشروا لي كليبا   يالَبكرٍ أين أين الفرار

وقولهم إن هذه لام الاستغاثة كأنه استغاث بهم لنشر كليب واستغاث بهم للفرار تكلف ولامعنى للاستغاثة ههنا حقيقة ولا مجازاً" [8].

٥- يجوز أن تحذف لام الجر من المستغاث ويختم حينئذ بالالف فتقول: (يامحمداه) أي (يالمحمد)، و (ياعجبا) أي (ياللعجب).

جاء في (الكتاب): "وزعم الخليل أن هذه اللام بدل من الزيادة التي تكون في آخر الاسم إذا اضفت نحو قولك (ياعجباه) و (يابكراه) إذا استغثت او تعجبت فصار كل واحد منها يعاقب صاحبه" [9].

---

(٧) كتاب سيبويه ١/ ٣١٨ - ٣١٩.

(٨) شرح الرضي على الكافية ١/ ١٤٤.

(٩) كتاب سيبويه ١/ ٣٢٠، وانظر الهمع ١/ ١٨١، شرح الاشموني ٣/ ١٦٦.

ويبدو أن الاتيان بالالف ينبيء عن استغاثة اقوى وأشد لما فيها من مدّ الصوت. فالمستغيث بالالف يمد صوته طالباً النجدة فقوله : (يابكراه) اشد استغاثة من (يالبكر). وقد اشرنا الى ذلك في باب التعجب.

وقد يؤتى بالالف لكون المستغاث بعيداً حقيقة أو تجوزا فيمدّ صوته لاسماعه.

التعجب باسلوب الاستغاثة: علمنا في باب التعجب أنه قد يتعجب باسلوب الاستغاثة فيقال : (ياللماء) (ياللداهية) ، وعلمنا ايضا أنه قد تحذف اللام ويؤتى في آخر المتعجب منه بالالف فتقول : (ياعجبا) فلانعيد ماسبق ذكره.

الندبة

المندوب هو المتفجع عليه أو المتوجَّع منه ويكون مسبوقا بـ (وا) أو (يا) فالاول نحو: (وامحمداه) والثاني نحو: (واكبداه)[10].

وتلحق آخر المندوب الف الاّ اذا أوقع في لبس، فلك أن تجعل المد مجانسا لحركة ماقبله نحو (وا أباكِيْه) و (وا أبا هُوه) في ندبة (ابيكِ) و (أبيه).

ويصح أيضاً أن تعامله معاملة المنادى فلاتمده فتقول (ياعمر)، و (وا محمد)[11]. غير أن الحاق الف الندبة اظهر تفجعا او توجعا لما فيه من مد الصوت.

وتندب المعرفة فقط ولاتندب النكرة ولا المبهم فلايقال: (وا رجلاه) ولا (وا هذاه)[12].

والحمد لله رب العالمين في البدء والختام

---

(١٠) التصريح ٢/ ١٨١، شرح الاشموني ٣/ ١٦٧.

(١١) انظر كتاب سيبويه ١/ ٣٢١، شرح الاشموني ٣/ ١٦٨.

(١٢) انظر كتاب سيبويه ١/ ٣٢٤، شرح ابن عقيل ٢/ ٨٢.

مراجع الكتاب

- الاتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ط ٣/ ١٣٧٠هـ - ١٩٥١ م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.
- احياء النحو لابراهيم مصطفى - القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٩.
- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لابي السعود محمد العمادي مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٢١٠٣.
- اساس البلاغة لجار الله الزمخشري - مطابع الشعب ١٩٦٠.
- اساليب القسم في اللغة العربية - كاظم فتحي الراوي - مطبعة الجامعة بغداد ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- أسرار العربية لابي البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري، تحقيق محمد بهجة البيطار - مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧م.
- اسماء الافعال والاصوات دراسة ونقد - عبد الهادي الفضلي - رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب بجامعة بغداد - بالآلة الكاتبة.
- اسم الفعل دراسة وطريقة تيسير - بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد السادس عشر للدكتور سليم النعيمي.
- الاشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي ط٢ - حيدر آباد - الدكن سنة ١٣٥٩ هـ.
- الاصوات اللغوية لابراهيم أنيس.
- الاقتضاب في شرح ادب الكتاب لابن السيد البطليوسي - المطبعة الادبية - بيروت - سنة ١٩٠١ م.
- الامالي الشجرية لابي السعادات هبة الله بن الشجري ط ١، مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد - الدكن ١٣٤٩ هـ.
- الامالي النحوية لابن الحاجب مصورة عن مخطوطة الرياض.

- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير الاسكندرى طبع بهامش الكشاف- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- الانصاف في مسائل الخلاف لابي البركات الانبارى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٣- مطبعة السعادة.
- الانموذج في اصول الفقه للدكتور فاضل عبد الواحد ط ١ مطبعة المعارف بيغداد ١٣٨٩ هـ- ١٩٦٩م.
- الايضاح في علل النحو لابي القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك- مطبعة المدني- مصر ١٣٧٨ هـ- ١٩٥٩ م.
- الايضاح في علوم البلاغة تأليف جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني، تحقيق لجنة من اساتذة الازهر- مطبعة السنّة المحمدية.
- البحر المحيط لابي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان ط١ سنة ١٣٢٨ هـ- مطبعة السعادة بمصر.
- بدائع الفوائد لابن القيم- الطباعة المنيرية.
- بديع القرآن لابن ابي الاصبع المصرى، تحقيق حفني شرف ط١ مكتبة نهضة مصر.
- البرهان في علوم القرآن- لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ط١/ ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٧ م. دار احياء الكتب العربية.
- تاج العروس شرح القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي منشوات مكتبة الحياة- بيروت- تصوير الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ.
- تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي جـ ٧/ القسم اللغوي- مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧ م.
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد احمر صقر- دار احياء الكتب العربية.
- تحرير التحبير لابن ابي الأصبع المصرى، تحقيق حفني شرف- نشر لجنة احياء التراث الاسلامي- القاهرة.

- تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل لمحمد تاج الدين أبي الحسن البكرى- مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٢٣٢٠.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك- تحقيق محمد كامل بركات ١٣٨٧ هـ- ١٩٦٧ م دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- التطور النحوى للغة العربية للاستاذ برجشتراسر- مطبعة السماح- طبعها حمد حمدى البكرى سنة ١٩٢٩ م.
- تفسير فتح القدير للشوكاني ط١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٤٩.
- التفسير القيم لابن القيم جمع محمد أويس الندوى- مطبعة السنّة المحمدية ١٣٨٦ هـ- ١٩٤٩م.
- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي- المطبعة البهية- مصر.
- الجمل لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ط٢ سنة ١٩٥٧م- ١٣٧٦ هـ مطبعة كلنكسيك- ١١ شارع ليل.
- جواهر الادب في معرفة كلام العرب للامام علاء الدين بن علي بن الامام بدر الدين بن محمد الاربلي- المطبعة الحيدرية- النجف ١٣٨٩ هـ-١٩٧٠م.
- حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل- مطبعة دار احياء الكتب العربية.
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب- مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني بمصر.
- حاشية السيد الشريف ابن الحسن الجرجاني على الكشاف- طبعت مع الكشاف.
- حاشية الشمني على مغني اللبيب- المطبعة البهية بمصر.
- حاشية الصبان على شرح الاشموني- دار احياء الكتب العربية.
- حاشية على شرح التصريح للشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي طبعت مع شرح التصريح.
- حاشية على الكشاف لمجهول- مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٢٢٤٧.
- حاشية على الملا جامي طبعت مع الملا جامي.

- حدائق الدقائق شرح الانموذج للزمخشري للبردعي مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ١٣٥٥ .
- خزانة الادب ولب لسان العرب للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي ط١ بولاق .
- الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار – مطبعة دار الكتب المصرية .
- دراسات لاسلوب القرآن الكريم – محمد عبد الخالق عضيمة – مطبعة السعادة .
- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري – الدكتور فاضل صالح السامرائي – مطبعة الارشاد – بغداد ١٣٩٠ هـ – ١٩٧١ م .
- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي – منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط١ / ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .
- درة الغواص في اوهام الخواص لابي محمد القاسم بن علي الحريري – نشرته بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد .
- دلائل الاعجاز – عبد القاهر الجرجاني – ط ٣ أصدرتها دار المنار بمصر سنة ١٣٦٦ هـ .
- ذيل فصيح ثعلب – تأليف موفق الدين أبي محمد عبد اللطيف بن الحافظ بن ابي العز يوسف بن محمد البغدادي نشر وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي .
- الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط ١ .
- رسالة ابن كمال باشا في تحقيق معنى (كاد) نشرها الدكتور رشيد العبيدي في مجلة كلية الدراسات الاسلامية ببغداد – العدد الخامس سنة ١٩٧٣م – ١٣٩٣هـ .
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي ادارة الطباعة المنيرية – دار احياء التراث العربي .
- شرح ابن عقيل – دار احياء الكتب العربية .
- شرح الاشموني على الفية ابن مالك – دار احياء الكتب العربية .
- شرح الفية ابن مالك لابن الناظم – المطبعة العلوية في النجف سنة ١٣٤٢ هـ .

- شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله الأزهري – دار احياء الكتب العربية.
- شرح رضي الدين الاستراباذي على الكافية لابن الحاجب.
- شرح السيرافي على كتاب سيبويه مطبوع بهامش الكتاب.
- شرح شذور الذهب لابن هشام الانصارى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- شرح شواهد الاشموني طبع مع شرح الاشموني – دار احياء الكتب العربية.
- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك تحقيق عدنان الدوري مطبعة العاني ببغداد ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الانصاري – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط٩ سنة ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧م.
- شرح المختصر على تلخيص المفتاح للتفتازاني – طهران.
- شرح المغني للدماميني بهامش حاشية الشمني على المغني – المطبعة البهية بمصر.
- شرح المفصل للزمخشري لموفق الدين ابن يعيش، طبع ونشرة ادارة الطباعة المنيرية.
- شرح المقدمة الكافية في علم الاعراب لابن الحاجب – دار الطباعة العامرة نسخة مصورة.
- الشرط بان واذا في القرآن الكريم – بحث للدكتور علي فودة نشر في مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض – المجلد الرابع – السنة السابعة ١٣٩٥هـ – ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٥م – ١٩٧٦ م.
- الصحاح للجوهري – مطابع دار الكتاب العربي – مصر.
- ضوابط الفنون لابي البقاء الحسيني الكفوى – مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٦٠١٠.
- الطراز ليحيى بن حمزة العلوى – مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٣٣٢ هـ – ١٩١٤ م.
- العربية ليوهان فك – ترجمة دكتور عبد الحليم النجار – مطبعة دار الكتاب العربي – القاهرة ١٣٧٠ هـ – ١٩٥١ م.

- العمدة لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط٢/ ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م.
- الفروق اللغوية لابي هلال العسكري - نشر مكتبة القدسي سنة ١٣٥٣ هـ.
- الفعل زمانه وابنيته - الدكتور ابراهيم السامرائي - مطبعة العاني بغداد ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م.
- فقه اللغة لابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي - مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م.
- في النحو العربي - مهدي المخزومي.
- القاموس المحيط - لمجد الدين الفيروزابادي ط ٥ شركة فن الطباعة - مصر.
- قضية الاعراب في العربية بين ايدي الدارسين للدكتور رمضان عبد التواب مقال نشر في مجلة (المجلة) العدد ١١٤ يونيو ١٩٦٦.
- الكامل لابي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق الدكتور زكي مبارك ط١/ ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
- كتاب الاصول لابن السراج تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي - مطبعة النعمان - النجف الاشرف.
- كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق - نشر مكتبة المثنى ببغداد.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل - لجار الله الزمخشري مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨م:
- الكليات لابي البقاء الحسيني الكفوى طبعة بولاق ط٢.
- لسان العرب لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى - مصور على طبعة بولاق.
- اللغات السامية لنولدكه ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٦٣ م.
- المباحث اللغوية في العراق - الدكتور مصطفى جواد ط٢/ ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م - مطبعة العاني ببغداد.

- المثل السائر لنصر الله بن الاثير- مطبعة نهضة مصر ط١/ ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م.
- مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هرون- دار المعارف بمصر.
- مختصر المعاني للتفتازاني.
- المخصص لابن سيده- المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ببيروت مصور عن الطبعة الاميرية سنة ١٣٢١ هـ.
- المزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد احمد جاد المولى وجماعة- دار احياء الكتب العربية ط ٤ سنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨م.
- معاني القرآن لابي زكرياء يحيى بن زياد الفراء- مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- معترك الاقران في اعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد علي البجاوي. دار الثقافة العربية للطباعة.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- المفردات في غريب القرآن لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني- طهران.
- المفصل في علم العربية للزمخشري نشره محمود توفيق- مطبعة حجازي بالقاهرة.
- المقتضب لابي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة- القاهرة ١٣٨٦ هـ.
- المقرب لابن عصفور، تحقيق احمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري مطبعة العاني- بغداد.
- ملا جامي- نشرته بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد.
- من اسرار اللغة لابراهيم أنيس.
- منثور الفوائد لابي البركات بن الأنباري، مخطوطة بمكتبة احمد الثالث برقم ٢٧٢٩.

- نحو الفعل لأحمد عبد الستار الجواري – مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م :
- النحو الوافي لعباس حسن ط ٢ دار المعارف بمصر.
- النحو والنحاة بين الازهر والجامعة – محمد احمد عرفة – مطبعة السعادة بمصر.
- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز للفخر الرازي – مطبعة الاداب والمؤيد بمصر القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي ، ط ١ سنة ١٣٢٧ هـ مطبعة السعادة بمصر.

الفهرست